الوعي الإسلامي

إسلامية شهرية جامعة

al-Wael al-Islami

العدد ٤٠٢ ـ السنة السادسة والثلاثون ـ صفر ١٤٢٠ هـ ـ مايو / يونيو ١٩٩٩ م

مستقبل الإسلام في القرن المقبل

الفكر ضرورة أم ترف ؟

من أين ننطلق في تغيير الواقع المحيط بنا ؟

الجنسية التأسيسية ومأساة كوسوفا

رد الشبهات عن الإرث في الإسلام

دور الوقف في تنمية العمل في مجال الدعوة الإسلامية

الوحدة الاسلامية ... مطلب مستمر

هديتك مع العدد براعم الإيمان

الأمانة العامة للأوقاف

شارك معنا من خلال

السهم الوقفي

بقيمة

١٠

د.ك

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

إذا مات الإنسان إنقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له

« رواه مسلم »

- بـ ١٠ د.ك فقط يكون لديك صدقة جارية الى ما شاء الله.
- احرص معنا على اقتناء سهم وقفي أو أكثر.
- بالانفاق المباشر أو بالاستقطاع الشهري بواسطة البنك.

للاستفسار :

رقم : (٢٤١-٨٠٠٨) صباحاً

ولخدمة التحصيل السريع

بيجر : (٩٢٥٠-٩٢٥)

السهم الوقفي

صدقة جارية .. لخدمة الدين والمجتمع

الوعي الإسلامي

al-Waei al-Islami

إسلامية ❖ شهرية ❖ جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The
Ministry of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

رئيس التحرير
CHIEF EDITOR
د. صالح أحمد الراشد
Dr. SALEH A. AL-RASHED

المشرف الإداري والمالي
ADMN. & FINANCE DIRECTOR
خالد عبداللطيف بوقماز
KHALED A. BUQAMMAZ

الإشراف الفني
ART DESIGNER
صالح محمد صالح
SALEH M. SALEH

العدد 402 . السنة الخامسة والثلاثون - صفر 1420 هـ . مايو / يونيو 1999 م

كلمة العدد

بين المجلة وقرائها

التفاعل الإيجابي البنّاء بين ما يُنشر في المجلة من موضوعات وتحقيقات ودراسات وبين الإخوة القراء والأخوات القارئات يعزّز الثقة في المجلة، ويقوّي جسور التواصل الفكري بينها وبين قرائها. وصولاً إلى صيغة ورؤية فكرية ناضجة وواحدة تجاه مختلف القضايا المطروحة على الساحة الإسلامية وبما يخدم توجهات مجتمعاتنا الإسلامية سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وفكرياً وغيرها، كما يعد هذا التفاعل سبباً رئيساً في تطور المجلة وازدهارها وتقدمها وتصويب مسيرتها دائماً نحو الأفضل والأحسن بإذن الله.

إن قراءنا مطالبون - وهذه أمانة ومسؤولية - بتعزيز هذا النهج وترسيخه بتقديم الملاحظات والاقتراحات والآراء، ونحن من جانبنا لن نبخل في فتح صفحات المجلة لكل التوجهات مادامت تخدم الأهداف النبيلة التي نسعى للوصول إليها، ولن تثنينا عن هذا التوجه بعض رسائل النقد والعتاب الرقيق التي نتلقاها من بعضهم متهمة إيّانا بإهمال رسائلهم وعدم الرد عليها، مع أن المجلة حريصة كل الحرص على الاهتمام بالرسائل الواردة إليها بكل أمانة وإخلاص ومسؤولية، فليطمئن إخواننا القراء وأخواتنا القارئات وليعذرونا إن حدث شيء من التقصير تجاههم لظروف خارجة عن إرادتنا في بعض الأحيان.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل ،،،

الوعي الإسلامي

الأسعار

الكويت : ٣٥٠ فلسا . السعودية : ٤ ريالات . البحرين : ٣٠٠ فلس . قطر : ٤ ريالات . الامارات : ٤ دراهم . سلطنة عمان : ٣٠٠ دنانير . اليمن : ٥ ريالات . لبنان : ١٠٠٠ ليرة . سوريا : ٢٠ ليرة . المغرب : ٦ دراهم . ليبيا : ٥٠٠ مليم . اوروبا : جنيه استرليني واحد او مايعادله . امريكا وبقية دول العالم الاخرى : دولاران او مايعادلهما

المراسلات

المراسلات كافة باسم رئيس التحرير
مجلة الوعي الإسلامي
ص.ب : ٢٣٦٦٧ - الصفاة - 13097 - الكويت
هاتف ٢٤٨٧٢١٠ (٩٦٥+) فاكس ٢٤٣١٧٤٠(٩٦٥+)

al-Waei al-Islami
P.O. BOX 23667 SAFAT
13097 KUWAIT
TEL. 965 2487210 FAX 965 2431740

e.mail: al_waei@hotmail.com
Homepage: www.kuwait.net/~awqafnet

الاشتراكات

- داخل الكويت :
للأفراد ٥ دنانير . للمؤسسات ١٠ دنانير كويتية .
- الدول العربية :
للأفراد ٦ دنانير كويتية (او مايعادلها).
- دول العالم :
للأفراد ١٠ دنانير كويتية (او مايعادلها).
- للمؤسسات :
٢٠ ديناراً كويتياً (او مايعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى إدارة المجلة باسم مجلة الوعي الاسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

المجلة غير ملتزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر. والمقالات لا تعبر بالضرورة عن رأي الوزارة

مطابع السياسة - الكويت

وكيل التوزيع شركة الخليج لتوزيع الصحف هاتف ٤٨١٦٨٨٤/٥ / ٤٨٣٥٠٤٧ ص.ب ٤٢٠٥٧ الشويخ 70651 الكويت - برقيا نيوزپيپر

في العدد

دعوة

دور الوقف في تنمية العمل في مجال الدعوة الإسلامية

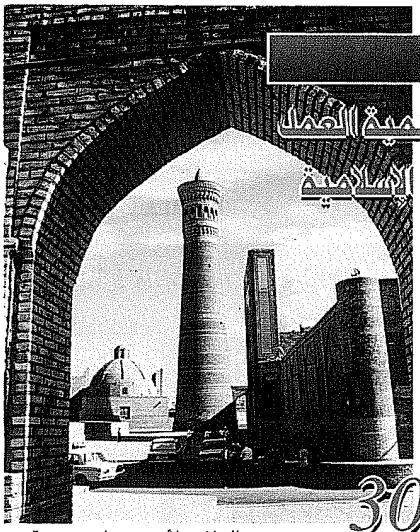

للوقف دور مهم في تمويل أعمال الجهاد في سبيل الله وفي اهتداء غير المسلمين إلى الإسلام، وفي صد الهجمة الاستعمارية على بلدان المسلمين وفي مقاومة سياسة الغزو الفكري والتنصيري.

30

صورة الغلاف لأحد مساجد مدينة بخارى والمئذنة الضخمة تتوسط ساحته.

قضايا فكرية

الفكر ضرورة أم ترف؟

34

في مجتمعنا اليوم تياران تجاه الفكر وجذوره الأول: تيار زاهد في الفكر ويعتقد أنه ترف. وتيار يعتقد أن الإصلاح يبتدئ بالأفكار. فأيهما أصح؟

إعلام

وظائف الأخبار في الإعلام الإسلامي

52

كيف عالج الإسلام وظائف الإعلام بشكل عام ووظائف الأخبار الصحفية بشكل خاص؟ ومن أين تنطلق الوظائف العامة للأخبار في الإعلام الإسلامي

في الأعداد المقبلة

ظاهرة الاستشراق الصحفي	د. حسن عزوزي
حوار مع وفد المركز الثقافي الإسلامي لروسيا	د. عماد الدين عثمان
حاجتنا إلى التقريب بين المذاهب الفقهية	محمود النجيري
مكانة العرب في القرآن بين التشريف والمسؤولية	د. محمد الزحيلي
حرية التعبير في منهج الإعلام الإسلامي	عبدالله بدران
نظام المواصفات والمقاييس في الحضارة الإسلامية	محمد عودة السلمان
النص الثابت والواقع المتغير كيف نوفق بينهما	غازي التوبة

الفهرس

٣	كلمة العدد/ بين المجلة وقرائها	التحرير
٥	الافتتاحية / الوحدة الإسلامية مطلب مستمر	رئيس التحرير
٦	بريد القراء	التحرير
٨	أنشطة الوزارة/ الندوة التاسعة لقضايا الزكاة المعاصرة	تمام أحمد
١٠	أخلاق/ الرحمة خلق إنساني رفيع	محمد عبدالمتجلي
١٤	شعر/ كوسوفا	د. عدنان النحوي
١٦	حوار مع محمد سلطان ذوق الندوي	تمام أحمد
١٨	حدث في مثل هذا الشهر / صفر	وائل الهنيدي
١٩	تحقيق/ صندوق إعانة المرضى	أحمد عثمان
٣٠	دعوة/ دور الوقف في تنمية العمل في مجال الدعوة ٢/٢	د. محمد الدسوقي
٣٤	قضايا فكرية/ الفكر ضرورة أم ترف؟	د. نعمان السامرائي
٣٦	فكر/ من أين ننطلق في تغيير الواقع المحيط بنا؟	غازي التوبة
٣٨	حوار الحضارات	عطية فتحي الويشي
٤٠	رعاية الإسلام للعقل	د. أحمد السايح
٤٦	دراسات قرآنية/ اكتشاف معجزة جديدة في القرآن	د. أحمد الفنجري
٤٩	نظرات في آيات النمل	د. حسان باشا
٥٢	إعلام/ وظائف الأخبار في الإعلام الإسلامي	عبدالله بدران
٥٥	قضايا عالمية/ الجنسية التأسيسية لحقوق الإنسان ومأساة كوسوفا	أحمد بكر موسى
٥٨	أحكام/ رد الشبهات عن الإرث في الإسلام	د. محمد الزحيلي
٦١	تعاليق على طفل الأنابيب	عبدالوكيل صافي
٦٤	ندوات/ مستقبل الإسلام في القرن المقبل	د. عماد الدين عثمان
٦٨	الأسرة المسلمة/ تحريم الزواج العرفي في الكتاب والسنة	د. أحمد عبدالوارث
٧١	أيها الأزواج مزيداً من الرعاية والصبر	محمد رشيد العويد
٧٢	الكذب عند الأطفال	أشرف سعد
٧٥	لماذا هذه الازدواجية؟	منى السعيد الشريف
٧٦	جروح الطلاق النفسية لدى الأبناء	د. محمد الفيومي
٧٨	المرأة والتدخين	عبدالحميد غزي
٨٠	التهاب اللوزتين المزمن ولحمية خلف الأنف	د. كمال أبو الحمد
٨٣	قراءة في كتاب/ الله ليس كذلك لزيغرد هونكة	عبدالرحيم الوهابي
٨٦	ثمرات الفكر	محمد هاني
٨٩	نافذة على العالم	التحرير
٩٢	ترجمات/ الجذور العميقة للصراع العرقي في البلقان	عبدالمنعم أحمد
٩٤	حديقة الوعي	أحمد عبدالجبار
٩٦	فتاوى	إدارة الإفتاء
٩٨	المرسى/ يحيا العدل	محمود عبدالرحمن

الوحدة الإسلامية مطلب مستمر

الافتتاحية

لا ينكر أحد ولا يختلف اثنان في أن وحدة المسلمين مطلب أساس ومهم، وانه الشأن الدائم على مدى الأزمان والدهور، ولا يردّ ذلك إلا عنيد ومكابر وجاحد وجاهل، إذ أكدت هذا آيات كتاب الله الحكيم، وهدي الأحاديث الشريفة في توجيهات الرسول الكريم ﷺ، وما أكده أيضاً علماء الأمة على أن تعاون المسلمين وترابطهم وتناصرهم كونهم أمة واحدة يُعدُّ أمراً واجباً لا مناص منه ولا ردة عنه، وأن قوة المسلمين في قوة منعتهم وتعاضدهم وتماسكهم.

وتأكيداً لمعاني الوحدة بين المسلمين على مختلف الأصعدة مكاناً ومذهباً وزماناً، كان بيان الله سبحانه بأنهم إخوة بقوله جل وعلا (إنما المؤمنون إخوة)، ومن ثمَّ كانت دعوتهم إلى التعاون والاعتصام بكتاب الله سبحانه وما نهيهم عن التفرق إلا خيفة الضعف على قوتهم قال تعالى: (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) وقال عز وجل: (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا)، وقال سبحانه: (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم). وقد جاء توجيه النبي الكريم ﷺ مؤكداً لمعاني الوحدة والدعوة إليها والتمسك بها بداية من الفرد المسلم، وانتهاء بالأسرة المسلمة، والمجتمع الإسلامي الكبير، وذلك بحرص الأخ على أخيه وكشفه كربته كما جاء الحض على التناصر والتأييد فيما بين المسلم وأخيه المسلم أو بين المسلمين جميعاً.

قال سيدنا المصطفى ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»، وقال ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يسلمه ولا يظلمه»، وقال عليه الصلاة والسلام: «من فرّج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرّج الله بها عنه كربة من كرب يوم القيامة»، وما أكثر كرب المسلمين في هذه الأيام. فمن يدرك هول القيامة لا ينام إلا وقد فرّج الكربة عن أخيه المسلم إن استطاع إلى ذلك سبيلاً.

وحضنا نبينا الكريم ﷺ على التعاضد والترابط وعدم التدابر بقوله عليه الصلاة والسلام: «لاتباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً»

هكذا حرصاً على الرباط الأخوي الإسلامي جاء الأمر بإحسان القول بين المسلمين، كما جاء التناصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنهي عن الإيذاء باللسان أو اليد والنهي عن الغيبة والنميمة والكذب وكل ما من شأنه أن يبث التفرقة بين المسلمين أفراداً وجماعات.

إن الحديث عن وحدة المسلمين يذكرنا اليوم بما يعيشه المسلمون الذين وقع عليهم العذاب في أقطارهم وبخاصة في إقليم كوسوفا، الذي يعيش أهلوه معاناة الجوع والفقر والمرض والحرمان، ويواجهون القتل والتشريد فهلاّ تبعنا هدي رسولنا عليه الصلاة والسلام بقوله: «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم»، وقوله ﷺ: «صنائع المعروف تقي مصارع السوء».

إنه الشأن الأهم أن يهتم المسلمون بأبعاد الحديث عن الوحدة الإسلامية وعوامله ودواعيه وإدراك معوقاته، وأن السعيَ لتحقيق الوحدة واجب إنساني ومطلب شرعي، فإذا ما تحققت معاني الوحدة عاشت الأمة الإسلامية عزيزة قوية مرهوبة الجانب وولى الضعف والذل وغاب شبح الخوف والأذى والتشريد، وعليه فلابد للقائمين على أمة الإسلام، من العلماء والمفكرين والمجامع العلمية والفكرية والعسكرية والاقتصادية وغيرهم، من السعي الحثيث لتأكيد هوية الأمة والرقي بها فكرياً واجتماعياً واقتصادياً وعسكرياً والمناداة برفع راية الجهاد، إذ بجهود المخلصين في تلك الأمة الإسلامية يستمر عطاء الخير وإنه لأمل عزيز أن يكتب لها الظهور والنصر... وما ذلك على الله بعزيز. ■

رئيس التحرير

سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز

انتقل إلى رحمة الله تعالى يوم الخميس ٢٧ محرم ١٤٢٠هـ الموافق ١٩٩٩/٥/١٣م سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز المفتي العام للمملكة العربية السعودية عن عمر يناهز ٨٩ عاماً، بعد سنوات حافلة بالعطاء، وقد شيعت المملكة العربية السعودية والأمة الإسلامية الفقيد الراحل إلى مثواه الأخير عقب صلاة الجمعة حيث صُلِّيَ عليه في المسجد الحرام في مكة المكرمة، يوم ٢٨ محرم ١٤٢٠هـ، وَوري الثرى في مقابر مكة المكرمة، وقد نعى الديوان الملكي السعودي سماحة الشيخ ابن باز وأشار البيان إلى أن المسلمين خسروا بوفاة سماحته عالماً جليلاً كرَّس حياته في سبيل العلم والمعرفة وخدمة الإسلام والمسلمين.

وأعرب العاهل السعودي الملك فهد وولي العهد الأمير عبدالله بن عبدالعزيز والنائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء الأمير سلطان بن عبدالعزيز عن تعازيهم لأسرة الفقيد والشعب السعودي والعالم الإسلامي في وفاة الشيخ ابن باز سائلين الله أن يتغمده بواسع رحمته ومغفرته ويسكنه فسيح جناته وينزله منازل الشهداء.

كما نعته وزارات الأوقاف في الدول العربية... وقُدمت التعازي لخادم الحرمين من أصحاب الجلالة والفخامة ملوك ورؤساء الدول العربية والأجنبية.

كما نعته رابطة العالم الإسلامي حيث أعرب الأمين العام للرابطة الدكتور صالح العبيد في بيان صحفي عن أحرَّ التعازي إلى خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز في الفقيد وللشعب السعودي ولأسرته وللأمة الإسلامية.

سمو الأمير يعزي

في غضون ذلك بعث سمو أمير البلاد ببرقية تعزية ومواساة إلى أخيه خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية الشقيقة بوفاة سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز المفتي العام للمملكة العربية السعودية ورئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء ورئيس المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي.

على صعيد متصل، قدم وزير العدل ووزير الأوقاف والشؤون الإسلامية أحمد الكليب تعازي سمو أمير البلاد إلى خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز في وفاة سماحة الشيخ عبدالعزيز

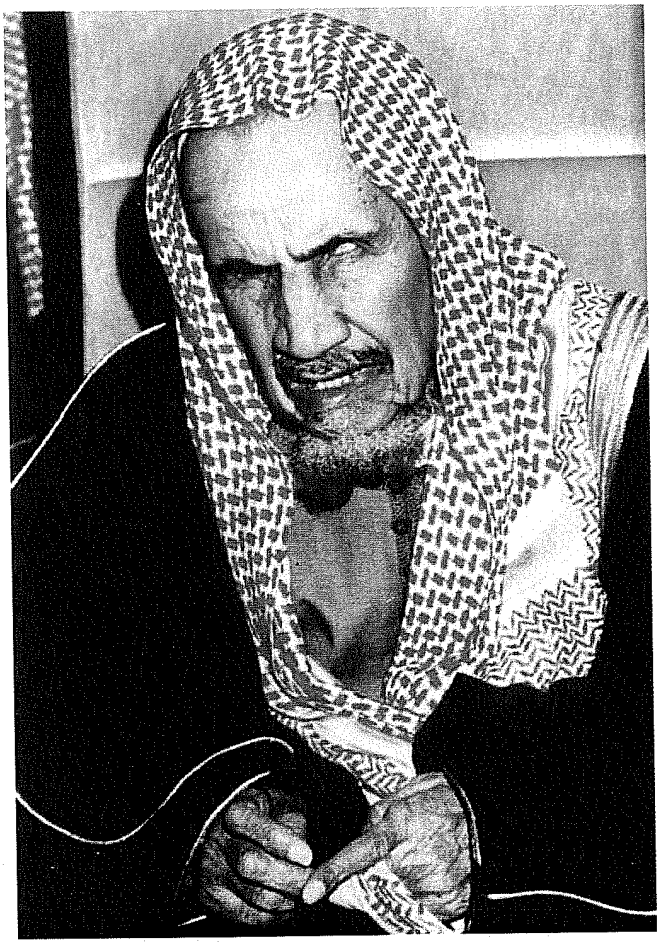

بن باز، وأوفد سمو أمير البلاد وزير العدل وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية إلى المملكة العربية السعودية لتقديم التعازي والمشاركة في تشييع جثمان الفقيد.

ورافق وزير الأوقاف في أداء واجب العزاء وفد ضم سفير الكويت لدى السعودية الشيخ جابر الخالد الصباح، ورئيس الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية يوسف الحجي. كما ضم الوفد رئيس اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة

الإسلامية الشيخ الدكتور خالد المذكور ومدير إدارة الإفتاء في وزارة الأوقاف الشيخ مشعل الصباح وقنصل عام الكويت في جدة.

كما نعت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت إلى العالم الإسلامي وإلى الشعب الكويتي الكريم علماً من أعلام العصر، وفقيهاً من فقهاء الأمة العلامة الشيخ عبدالعزيز بن باز مفتي المملكة العربية السعودية ـ الرئيس العام لإدارات البحوث والإفتاء والدعوة والإرشاد ـ ورئيس هيئة كبار العلماء الذي وافاه الأجل المحتوم.

وأوضحت الوزارة في بيان لها: إن الفقيد العظيم واحد من أبرز علماء الأمة نذر حياته الخصبة لإثراء الفقه الإسلامي، والمحافظة على أصوله، والذود، بالعلم الغزير، والنظرة الثاقبة، والتدبّر الواعي، عن صفاء العقيدة وتنقيتها من أي شوائب.

نشأة طيبة

ولد الشيخ ابن باز في الرياض العام ١٣٣٠هـ ـ ١٩١٠م، وحفظ القرآن الكريم قبل البلوغ، وتلقى العلم في الرياض على عدد من المشايخ ومنهم الشيخ محمد بن عبداللطيف آل الشيخ، والشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، والشيخ سعد بن حمد بن عتيق، والشيخ حمد بن فارس، والشيخ سعد وقاص البخاري، وسماحة المفتي الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ.

وتولى الشيخ ابن باز الذي يعدّ من كبار العلماء المجتهدين في مجال الحديث والفقه، القضاء في منطقة الخرج أربعة عشر عاماً، ثم انتقل للتدريس في المعاهد والكليات العلمية العام ١٣٧١هـ - ١٩٥١م، ودرس الفقه والتوحيد والحديث في كلية الشريعة، ثم أسندت إليه نيابة رئاسة الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة في العام ١٣٨١هـ ـ ١٩٦١م، وصدر بعد تسعة أعوام من هذا التاريخ أمر ملكي بتعيينه رئيساً للجامعة وظل في منصبه حتى العام ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م، حيث صدر أمر ملكي بتعيينه في منصب الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد بمرتبة وزير، وفي العام ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م عين مفتياً عاماً للمملكة ورئيساً لإدارة البحوث العلمية والافتاء «بمرتبة وزير»، كما شغل قبل وفاته منصب عضو هيئة كبار العلماء، وعضو المجلس الأعلى للجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وعضو الهيئة العليا للدعوة الإسلامية في المملكة العربية السعودية، ورئيس المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، ورئيس المجلس الأعلى العالمي للمساجد، ورئيس مجلس المجمع الفقهي الإسلامي، التابع لرابطة العالم الإسلامي.

ويعد ابن باز من العلماء الذين التزموا الكتاب والسنة منهجاً ولم يحد عنهما، فلم يُعلم عنه أنه تعصب لمذهب أو لفئة من الفئات، بل كان ملتزماً نهج السلف الصالح.

ويعتبر الشيخ ابن باز أحد أبرز علماء الأمة الإسلامية في الوقت الراهن، إن لم يكن أبرزهم قاطبة، وقد كان شغوفاً بالعلم جاداً في طلبه، ولم يوقفه فقد بصره عن الاستمرار والجد والعزيمة الاستزادة في العلم ... ولم يكن وحيداً من علماء السعودية في فقده للبصر فقبله كان مفتي الديار السعودية الشيخ محمد بن إبراهيم والشيخ عبدالله بن حميد رئيس مجلس القضاء الأعلى سابقاً - والد عضو مجلس الشورى وإمام وخطيب المسجد الحرام الشيخ د. صالح بن حميد - وغيره كثير من العلماء الذين برزوا وأصبحوا أعلاماً بارزة في العلم الشرعي في السعودية.

مؤلفاته

حفلت حياة الشيخ عبدالعزيز بن باز بالكثير من العطاء من خلال المؤلفات أو الكتب والرسائل والفتاوى التي صدرت عنه.

ولعل أشهر المؤلفات والرسائل التي حملت اسم الشيخ ابن باز:

- المباحث الجليلة في المباحث الفرضية «طبع مرات عدة».
- توضيح المناسك « طبع مرات عدة وترجم ».
- رسالة في نكاح الشغار.
- الجوانب المفيدة في أحكام التصوير.
- رسالة في التبرج والحجاب.

أبرز فتاواه

كان لفتاوى الشيخ ابن باز الصدى الواسع ليس في داخل المملكة فحسب، بل في شتى أرجاء العالم الإسلامي ولم يكن الفقيد الراحل يتعصب لمذهب بعينه في إصدار فتاواه.

ومن أبرز فتاوى الشيخ:

- النهي عن تعظيم الآثار الإسلامية لأنها إذا عظمت فلن تزار كما تزار آثار ـ الفراعنة أو الآثار الأخرى... وإنما تُزار للتعبد والتقرب إلى الله... لذلك فهي تفضي إلى الشرك.
- لا يجوز الحكم بوفاة الميت دماغياً.
- يجوز للضعاف الانصراف من مزدلفة في النصف الأخير من الليل.
- أفتى بسقوط وجوب المبيت في منى.
- لا يجوز استقدام العمالة غير المسلمة للجزيرة.
- لا يجوز تجنيد المسلمات في الجيوش.
- نسخ برامج الكمبيوتر حرام.
- مسيرات البراءة في الحج بدعة.
- زكاة الفطر ليست نقوداً.
- نشر قوات غربية وأمريكية العام ١٩٩٠م أثناء أزمة الخليج جائز.
- يجوز الصوم عن الميت المصلي.
- يجوز التقاط الجمار خلال الأيام الثلاثة سواء من مزدلفة أو منى.

إن الوعي الإسلامي إذ آلمها هذا المصاب الجلل لتضرع إلى الله العلي القدير أن يرحم الفقيد ويسكنه فسيح جناته، ويجزيه خير الجزاء على ما عمل وقدم للمسلمين وأن يلهم آله وذويه ومحبيه الصبر والسلوان.

إنا لله وإنا إليه راجعون.

الندوة التاسعة لقضايا الزكاة المعاصرة

كتب : تمام أحمد

تحت رعاية ملك المملكة الأردنية الهاشمية عبدالله بن الحسين وبمشاركة وفد كويتي كبير من العلماء والمفكرين ترأسه وزير العدل وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية رئيس مجلس إدارة بيت الزكاة الأستاذ أحمد خالد الكليب إضافة إلى مشاركة كبيرة من نخبة من العلماء والخبراء والباحثين والقانونيين وعدد من المعنيين بقضايا الزكاة عقد بيت الزكاة الكويتي بالتعاون مع صندوق الزكاة الأردني الندوة التاسعة لقضايا الزكاة المعاصرة في العاصمة الأردنية عمان خلال الفترة من ١٠ - ١٣ محرم ١٤٢٠هـ الموافق ٢٦ - ٢٩ أبريل ١٩٩٩م.

اشتمل حفل الافتتاح على تلاوة من القرآن الكريم ثم كلمة وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية التي ألقاها معالي وزير الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية الأردني الدكتور عبدالسلام العبادي، حيث شكر في بدايتها جلالة الملك عبدالله بن الحسين على تفضله بشمول انعقاد هذه الندوة برعايته السامية، وانتدابه صاحب السمو الملكي الأمير غازي بن محمد، ثم شكر صاحب المعالي الأستاذ أحمد خالد الكليب على مبادرته عقد هذه الندوة في عمان عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية وحضوره افتتاح أعمالها، وسجل تقديره وإعجابه بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت على إنجازاتها الرائعة وجهودها الكبيرة في مجال الأوقاف والشؤون الإسلامية، كما رحب بالسادة العلماء المشاركين في هذه الندوة واستعرض معاليه أهمية الموضوعات المطروحة في الندوة وآثارها على المجتمع المعاصر.

وألقى بعد ذلك سعادة وزير العدل وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت كلمة أعرب فيها عن تقدير وشكر دولة الكويت أميراً وحكومة وشعباً للمملكة الأردنية الهاشمية على احتضانها ندوة الزكاة واستضافتها لهذا الجمع الطيب من خيرة علماء ومفكري العالم الإسلامي. لقد كان لبيت الزكاة شرف القيام بتأسيس الهيئة الشرعية العالمية للزكاة في العام ١٩٨٧م بناء على التوصية الرابعة الصادرة عن مؤتمر الزكاة الأول المنعقد في دولة الكويت العام ١٩٨٤م، والتي نصت على تشكيل لجنة علمية من الفقهاء والمتخصصين لمعالجة الأمور المعاصرة المتعلقة بالزكاة ورفع توصياتها للجهات المعنية.

وأضاف الكليب: اجتماعكم اليوم عظيم وشريف بعظم وشرف ما أنتم مجتمعون من أجله وأي شرف يعادل الإسهام في الجهود الرامية إلى إحياء هذه الفريضة وتطوير أساليب تطبيقها وحل إشكالياتها الفنية والميدانية وفق أحكام الشريعة الإسلامية السمحة.

وقال الكليب مخاطباً العلماء: نحن على ثقة أن الإضافات الكثيرة التي حملتموها معكم سيكون لها أكبر الأثر في معالجة الكثير من مشاكل التطبيق التي تثار على الساحة الإسلامية وأن الشهور والأعوام المقبلة ستشهد بعون الله آثار جهودكم الطيبة ونتائج بحوثكم القيّمة التي ستكون مرشداً وهادياً لمؤسسات الزكاة الكويتية في العالم الإسلامي.

وقال الكليب: إن الكويت بتوجيهات من أمير البلاد سمو الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح ورعاية كريمة من سمو ولي عهده الشيخ سعد العبدالله الصباح آلت على نفسها أن تسهم بفعالية وإيجابية فيما يبذله علماء هذه الأمة وروادها من جهود مخلصة لإحياء دور الزكاة في المجتمع الإسلامي.

وأضاف: إنه أسس لذلك بيت الزكاة الكويتي العام ١٤٠٣هـ الموافق العام ١٩٨٢م بدعم ومباركة من الشعب الكويتي المسلم وهو أمر جعل من هذا الصرح الإسلامي مفخرة لكل مسلم حيث جاء إنشاء هذه الهيئات الرائدة ترجمة عملية لأمال وطموحات الكويت حكومة وشعباً في تطوير العمل الخيري ونقله إلى الإطار المؤسسي. وأضاف الكليب قائلاً: إن ذلك «ما كان ليتحقق دون دعم من حكومة الكويت وتقبل لأداء فريضة الزكاة من المسلمين في داخل الكويت وخارجها ولا يفتوني في هذه المناسبة أن أشكر الهيئة الشرعية العالمية للزكاة على ما قامت به من جهد وما قدمته من إنجازات، وكرر الكليب شكره على رعاية الملك عبدالله لهذه الندوة وعلى الحفاوة وحسن الاستقبال الذين حظي بهما مع العلماء المشاركين في هذا اللقاء العلمي الكبير الذي سيناقش آخر القضايا والمستجدات التي تواجه فريضة الزكاة أحد أركان ديننا الإسلامي الحنيف.

● وزير العدل وزير الأوقاف في مقدمة المشاركين في الندوة

● إحدى جلسات المناقشات

كما شكر العلماء والمشايخ على تحملهم عناء الحضور والمشاركة في فعاليات هذه الندوة المباركة وللأخوة الذين أعدوا لها وهيأوا سبل نجاحها في تحقيق أهدافها لما فيه خير الإسلام والمسلمين.

وألقى رئيس الهيئة العالمية لقضايا الزكاة المعاصرة الدكتور عجيل جاسم النشمي كلمة في حفل افتتاح الندوة رحب فيها بالعلماء المشاركين وقال إن هذه الندوة العلمية التي تقيمها الهيئة العالمية لقضاء الزكاة المعاصرة إنما تنبع من قناعة تامة بأن تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية ليس قراراً سياسياً مجرداً

وإنما علم وإيمان أولاً ثم عمل ثانياً فالعلم بالأحكام وكيفية تطبيقها أساس لنجاح التطبيق وإتقانه.

وأضاف: إن اهتمام الهيئة العالمية بهذا الركن العظيم ينطلق من أن تمهيد حسن التطبيق لهذه الفريضة وسيلة دعوية واجبة لتحقيق صفة الإيمان.

وقال الدكتور النشمي: «من أجل ذلك تحملت الهيئة هذه المسؤولية فعدّت ثماني ندوات مضت وبذل العلماء غاية وسعهم واجتهدوا في زهاء ثلاثين ومئة قرار وتوصية في شتى المجالات الشرعية العلمية والعملية في قضايا الزكاة وقد أصبح لهذه القرارات والتوصيات مكانة رفيعة وتطبيق محمود على مستوى الأفراد أو التجار أو الشركات أو المؤسسات أو عناية بعض الحكومات الإسلامية.

وأكد أن تطبيق الزكاة يقضي على الفقر وهو داء المجتمعات في كل عصر بل إن الزكاة ترفع المجتمعات من حد الفقر إلى حد الغنى وشاهد ذلك متكرر في كثير من الحضارات الإسلامية.

وألقى مفتي تونس السابق محمد المختار السلامي كلمة نيابة عن العلماء المشاركين في الندوة قال فيها: «إن هذه الهيئة العالمية للزكاة العالمية المباركة التي انبعثت في الكويت منذ ثماني سنوات وكنت مع إخواني المؤسسين لها نعلق عليها آمالاً كبيرة ونعتبرها بانضمامها إلى أخواتها مؤسسة ضرورية للبناء التشريعي والفكري للأمة الإسلامية».

وأكد أن الهيئة العليا «ما هي إلا إحدى حسنات الدولة الكويتية وشعبها النبيل، فبالرعاية السامية لأمير البلاد سمو الشيخ جابر الأحمد الصباح وولي عهده وحكومته الرشيدة انبعثت هذه المؤسسة».

بحث المشاركون في الندوة ثلاثة موضوعات هي: معادلة الأوزان والمكاييل الشرعية بالأوزان والمكاييل المعاصرة، ومفهوم النماء، ومصرف ابن السبيل وتطبيقاته المعاصرة. فضلاً عن مناقشة مادة كتاب دليل الإرشادات لمحاسبة زكاة الشركات، وبعد مناقشة هذه الموضوعات توصل المشاركون إلى الكثير من الأحكام والآراء والتوصيات ومن أبرزها: أن المثقال والدرهم أساس الأوزان الشرعية أجزاء أو أضعافاً وأن المد والصاع أساس المكاييل الشرعية، وأن النماء عند الفقهاء يطلق على الزيادة الحقيقية للمال وعلى مظنتها، وأنه يختلف باختلاف أجناس الأموال، وأن التمكين من النماء شرط لوجوب الزكاة، وقد عرف ذلك بالاستقراء وفي مصرف ابن السبيل ثم انتهى المشاركون إلى أن ابن السبيل يعطى من مال الزكاة بشرط ألا يكون سفره سفر معصية وألا يتمكن من الوصول إلى ماله ويعطى مقدار حاجته من الزاد والرعاية والإيواء وتكاليف السفر إلى مقصده ثم الرجوع إلى بلده كما لا يطالب بإقامة البينة على ضياع ماله أو نفاد نفقته وعليه ألا يقترض ولو وجد من يقترضه وعليه أن يرد ما فضل في يومه من مال الزكاة عند وصوله إلى بلده، وفي مناقشة الباب الأول والثاني من الدليل وأُجلت ما لم تتم مناقشته إلى دورة لاحقة لاستكمال الدراسة على ضوء ملاحظات المشاركين في الندوة وما ترى إضافته على أن ترفع دراستها وما توصلت إليه إلى الندوة المقبلة إن شاء الله تعالى لإقرار مادة الكتاب واعتمادها. ■

وزارة الأوقاف تحتفل بذكرى الهجرة النبوية الشريفة

احتفلت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت يوم ١٩٩٩/٤/١٦م في مسجد الدولة الكبير بذكرى الهجرة النبوية الشريفة بحضور وكيل الوزارة خالد الزير والوكلاء المساعدين عبدالعزيز بدر القناعي والوكيل الدكتور. عادل الفلاح وبدر المطيري، وأقيمت ندوة دينية في هذه المناسبة تحت عنوان «الهجرة طريق لوحدة المسلمين»، حاضر فيها د. محمد عبدالسميع جاد الأستاذ المساعد في كلية الشريعة بجامعة الكويت، والدكتور محمد سيد نوح الأستاذ في كلية الشريعة، واستهل الحفل بكلمة لعريف الحفل الشيخ سامي بلال الذي قال إن الهجرة النبوية الشريفة تحل علينا ويجب أن نتذكر من خلالها ما يتعرض له إخواننا المسلمون في كوسوفا على يد الصرب الحاقدين، ويجب أن نجعل من هذه المناسبة الدينية الكبرى وقفة حق إلى جانب ما يتعرض له المسلمون في فلسطين والبوسنة والهرسك وكل بقاع الأرض.

الإسلام مستهدف

وأكد د. عبدالسميع جاد أننا نحتفل هذا اليوم بذكرى هجرة سيد الخلق النبي المصطفى عليه أفضل الصلاة والتسليم وعالمنا الإسلامي يتعرض لأشد البلاء من الأعداء، واعتبر الدكتور جاد أن هذا البلاء الذي يتعرض له المسلمون في فلسطين والبوسنة، وكوسوفا هو في الواقع ابتلاء من الله لأن المسلمين تخلوا عن الكثير مما أمرهم به الله على لسان رسوله الكريم.

وقال إن الله عز شأنه أنزل القرآن الكريم إلى المهاجرين والأنصار الذين يقتدون بنبينا محمد ﷺ، وهو أفضل من خلق الله على وجه الأرض وسيظل هذا القرآن يُتلى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وقال إن المطلوب من المسلمين أن يجسدوا ما أمرهم به ربهم حيث يصبحون أخوة متراحمين كالجسد الواحد يشد بعضه بعضاً ولو طبق هذا المبدأ بشكله الصحيح لتغيرت أحوال الأمة الإسلامية وأزال عنهم الله ما يتعرضون له من مصائب لا تنتهي على يد أعداء الإسلام.

وأكد الدكتور عبدالسميع جاد اننا سنحتفل مرات ومرات بهذه الذكرى العطرة وهذا لا يكفي ما لم تتحقق وحدتنا على كلمة الله الواحدة فهي وحدة المشاعر والمصير.

ثمرات الهجرة

ومن جانبه ألقى الدكتور محمد سيد نوح كلمة بهذه المناسبة فقال: إن الهجرة النبوية الشريفة يجب أن نقتبس من ثمارها بالابتعاد عن كل ما يغضب الله وأن نتجه إلى مرضاة الله ونتقرب إليه سراً وعلانية.

وقال: إن من أشد علامات التقرب إلى الله رفع الظلم عن المظلومين فمثل هذا الأمر هو من أخلاق الرسول عليه الصلاة والسلام، وكذلك هجر المعاصي والسيئات فكل هذه هجرات يجب أن يتجه إليها المسلم.

وقال إن الذي يمر به إخواننا في كوسوفا هذه الأيام على أيدي الصرب الحاقدين على الاسلام والمسلمين لهو على رأس الظلم الذي يجب علينا جميعاً أن نسهم في رفعه عنهم، وأن نجعل من هذه الذكرى ذكرى هجرة رسولنا الكريم بداية إلى العمل الجاد والمخلص لوجه الله، فهل نحن فاعلون؟

وقال: إن هناك نحو ١٠٠ ألف شاب في كوسوفا من المسلمين دفنوا أحياء تحت الرمال وهذا عمل إجرامي تقشعر له الأبدان بحق، إضافة إلى تشريد نحو مليون نسمة من النساء والأطفال والشيوخ شردهم وأذلهم جند الصرب الذين يسعون إلى تنصير الذين يقعون تحت أيديهم دون شفقة أو رحمة.

واختتم الدكتور نوح محاضرته بالدعوة لمحاربة الظلم وألا ندع هذه المناسبة العظيمة تمرُّ دون أن نعتبر منها. ■

بقلم : محمد رجاء حنفي عبدالمتجلي

الرحمة
خلق إسلامي رفيع
وعاطفة إنسانية سامية

يعد الإسلام دستور الحياة، وقانون الإنسانية، بما يشتمل عليه من عقائد، ويحتويه من عبادات، وما يتضمنه من معاملات، وأخلاق، تقيم الروابط السليمة بين الناس، ويؤدي التمسك بها إلى سعادة الفرد، وسعادة المجتمع، يقول المولى سبحانه وتعالى: (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره. ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) الزلزلة:٧-٨.

ويقول المصطفى - صلوات الله وسلامه عليه : «لن تزول قدما عبد حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا فعل به».

والإسلام يستمد مبادئه من كتاب المولى سبحانه وتعالى، ومن سنة رسوله ﷺ ، اللذين قد تضمنا كل ما يخص الإنسان في حياته الفانية والخالدة، وضمنا في الوقت نفسه لهذه المبادئ التجدد، والدوام، والاستقرار، والصلاح والإصلاح.

ولقد بشّرا بالسعادة والنعيم كل من يتمسك بهذه المبادئ، ويستمسك بما شرعه الحق سبحانه من أخلاقيات، يقول سبحانه وهو أصدق القائلين : (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار) البقرة:٢٥.

كما توعّد كل من يخالف مبادئ الإسلام، ولا يسير في حياته على الطريق المستقيم بالعذاب الأليم، يقول سبحانه: (يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) التحريم:٦.

ويقول رسول الله - ﷺ -: «إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها، وحدّ حدوداً فلا تعتدوها، وحرّم أشياء فلا تنتهكوها».

إن الدنيا معبر للآخرة، وجسر موصّل إليها، وأجل الإنسان فيها مغيَّب عنه، وعمره فيها محسوب عليه، والتبعة التي يحملها أمام المولى سبحانه وتعالى، وأمام ضميره، وأمام الناس، ثقيلة لمن أنزلها منازلها، وقدَّرها حق قدرها، ولا يقدر على حملها إلا من هيّأهم الله سبحانه وتعالى لها، وهيأها لهم.

وما أكثر عثرات الإنسان في الحياة، وهو على الطريق يؤدي واجبات العبودية للمولى سبحانه وتعالى في الأرض، ويمشي في مناكبها لتحصيل رزقه ومعاشه.

وما أكثر تقلبات الدنيا، وقسوة الأيام، إذا أعطت أرهقت وأتعبت، وإذا حرمت أذلت وأهانت، وإذا استردت استأصلت واجتثت، فالإنسان فيها مواجه بخطر عظيم، وخطوب متعددة، إن استغنى بما في يده فتن، وإن افتقر فيها ذلّ.

وفي كلتا الحالين قد يضل الإنسان السعي في الطريق فيغوي، ويصبح في حاجة ماسة إلى نور يضيء له ما أظلم من حياته، وضياء تتسع به النفوس، وتكثر به المواساة، ولن يتوقع ذلك إلا في عاطفة الرحمة، تلك العاطفة التي يبذلها رقيقو القلوب، وأصحاب الفطر السليمة لذوي الزلات، وأرباب الخطايا، يغيثون بها الملهوف، ويساعدون الضعيف، ويطعمون الجائع، ويكسون العاري، ويداوون المريض، ويواسون الحزين، فحينئذ تصبح الرحمة - بلا شك - خلقاً إسلامياً رفيعاً، وعاطفة إنسانية سامية، وسجية من سجايا النفوس الطاهرة، والضمائر الحية.

معنى الرحمة

الرحمة في اللغة: رقة القلب.. ولما كانت الرحمة من الكيفيات التابعة للمزاج المستحيل عليه سبحانه وتعالى، حمّلت على اعتبار غايتها وهي وصول الإحسان إلى المرحومين بالفعل.

وهذا الحمل يستوي أن يكون إما على طريقة المجاز المرسل، بذكر لفظ السبب، وهو الرحمة، وإرادة المسبب، وهو وصول الإحسان فعلاً.. أو أن يكون على طريقة التمثيل، بأن شبه حاله سبحانه وتعالى بالقياس إلى المرحومين في إيصال الخير إليهم، بحال الملك إذا رقّ لرعاياه فأصابهم معروفه وإنعامه... وإما على طريقة الاستعارة التصريحية، وبأن يشبه الإحسان أو إرادة الإحسان بالرحمة، بجامع ترتب الانتفاع على كل من الإحسان أو إرادته، ويستعار له الرحمة، ويشتق منها «الرحمن الرحيم»، وذلك على حد قولهم: الحال ناطقة بكذا.. وإما على طريقة الاستعارة المكنية التخييلية، بأن يشبّه معنى الضمير فيهما العائد إليه سبحانه وتعالى، بملك رقّ قلبه على رعيته، تشبيهاً مضمراً في النفس، ويحذف المشبه به، ويثبت له شيء من لوازمه، وهو «الرحمة».

وقيل: الرحمة في ذلك حقيقة شرعية

بالنسبة لإسنادها إلى المولى عزَّ وجلّ وكل صفة وصف بها الحق سبحانه جلّ شأنه نفسه، فهي محمولة على الحقيقة، من غير تحديد لكيفيتها، فهو سبحانه وتعالى أعلم بحقيقة ذاته، وحقيقة صفاته، ودعوى المجاز محاولة لتفهيم العباد، وتقريب المعاني لهم إن أرادوا مزيداً من الإيضاح.

ومن البدهيّات المسلم بها أن السلف الصالح كانوا يوقنون أن ما وصف به الحق سبحانه وتعالى نفسه محمول على الحقيقة، من غير تحديد لكيفية، فلما جاء الخلف، وانتشر الجدل، وطلبوا مزيداً من الإيضاح، اضطر البعض لاستخدام كلمة «المجاز»، و«الاستعارة»، وما إلى غير ذلك، لتوضيح المعاني.

ومن العلماء من قال: إن «الرحمن» أبلغ من «الرحيم»، لأن زيادة البناء تدل على زيادة المعنى، ففي كلمة «الرحمن» زيادة ألف ونون، وفي كلمة «الرحيم» زيادة ياء فقط، وهذه الزيادة تؤخذ تارة على اعتبار الكمية، وتارة أخرى على اعتبار الكيفية، فعلى اعتبار الزيادة قيل: «يا رحمن الدنيا»، لأنه يعم المؤمن والكافر، و«رحيم الآخرة لأنه يخص المؤمن وحده».

وعلى اعتبار الزيادة في الكيفية، قيل: «يا رحمن الدنيا والآخرة»، ولأن النعم الأخروية كلها جسام عظام، و«رحيم الدنيا» لأن النعم الدنيوية منها الجليل، ومنها القليل.

وهناك البعض من الناس يعتبر التخفيف في بعض الحالات رحمة، ومن أجل ذلك اعتبروا أن الفاجر في الدنيا نالته رحمة المولى سبحانه وتعالى، وهذا مخالف للحقيقة، إذ إن القرآن الكريم يأبى ذلك، يقول المولى سبحانه وتعالى في محكم كتابه: (ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين) آل عمران: ١٧٨.

ويقول سبحانه وهو أصدق القائلين في محكم كتابه: (فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذّبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون) التوبة: ٥٥.

إن الإمهال الذي اعتبره البعض رحمة، إنما هو في الحقيقة غضب ونقمة، وأن بعض النعم الظاهرة تحمل في داخلها السخط والمقت، ومن أجل ذلك لا اعتبار لأن يكون معنى الرحمة في الدنيا أعمّ من الرحمة في الآخرة، نظراً لكثرة أفراد المرحومين في الدنيا، وقلّتهم في الآخرة، إذ إن الرحمة في الآخرة غير متناهية، بينما الرحمة في الدنيا متناهية.

مظاهرة الرحمة:

لقد ضمَّ القرآن الكريم مواثيق محكمة، غاية في الدقة والإحكام، ليأخذ المسلمون بها أنفسهم، وليتعاملوا بهديها مع غيرهم، ابتداء من الكلمة الخيّرة الطيّبة، واليد السخيّة المبسوطة، إلى السيف العادل، ينصر به الحقّ سبحانه وتعالى حججه وبراهينه، رحمة بالعباد، وكفّاً للأيدي المعتدية الأثيمة، ومطاردة لأصحاب البدع والمنكرات، وحفاظاً على الدين من دعاة المذاهب المنحرّفة، والفلسفات المضللة، والعقائد البشرية الواهية، التي تهبّ على المسلمين من حين لآخر، ويغذيها حقد دفين، للنيل من الإسلام والمسلمين، مهما طال الزمان، ومهما تظاهر المخالفون للإسلام والمسلمين بالتعاطف نحوهم، والمودة معهم.

ولمظاهر الرحمة مستويات عدة، من أهمها:

١ ـ على مستوى الدولة:

إن الرحمة تتحقق على مستوى الدولة، بأن يكون الوفاء لقيادة المسلمين الدينية والدنيوية خلق المحكومين، وسمة بارزة، وعلامة مميزة على صدر سلوكهم وتصرفاتهم.

وتتحقق الرحمة بالمحكومين بأن تضع الدولة في أيديهم ما به تستقيم أمور دنياهم، وتصلح به أخراهم، فتعطى العقول حقها من العلم والتعليم، والنفوس قسطها من الأمن والأمان، والطمأنينة والاستقرار، وتنمّي في الصدور حب الخير والبر، والوفاء والتضحية والرحمة، وتقتلع منها الأهواء، والأغراض والشهوات، حتى تنقلب النفوس في مراتب العزة والكرامة، وترضى من طيبات الحياة بكيانها الحقيقي، المبني على الكرامة الإنسانية، ومعرفتها لحدودها، بما لها وما عليها.

وعلى الدولة أن تضع من القواعد المناسبة، التي يسمح بها الدين، ما تضمن به سيطرتها على تصرفات أبنائها، ضبطاً لسلوكهم دون ميل مع هوى، أو اتجاه مع غرض، حتى يتحقق بذلك صالح الحكام والمحكومين، وفي هذا الشأن يقول رب العزة في محكم كتابه: (ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن) المؤمنون:٧١.

ويقول المولى سبحانه: (واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم) الحجرات:٧.

إن الحكم بالعدل، والتسوية بين جميع الأفراد على اختلاف طبقاتهم، على أساس ما على كل واحد منهم من حقوق، وما له من واجبات، وذلك حسب إمكاناتهم الطبيعية، وقدراتهم العادية «رحمة».

واستعمال الأصلح، ثم الأمثل فالأمثل على أموال المسلمين وأعمالهم، وذلك عن طريق اختيار الأفراد الأكفاء الأمناء، القادرين على أداء كل ما يكلفون به، وإبعاد الضعفاء الخائنين «رحمة».

والضرب على أيدي الظالمين، وكل من تسوّل له نفسه إلحاق الضرر بالآخرين، بقوّة لا تعرف الضعف، وشدة لا تعرف اللين، حتى تتآلف الأهواء والميول المختلفة، وتجتمع القلوب المتفرقة، وتنكمش الأيدي المتغالبة، وتنقمع القلوب المتعادية «رحمة».

والأمر بمعروف ظهر تركه، والنهي عن منكر ظهر فعله، ومطاردة أصحاب البدع والمنكرات، والضرب على أيدي أعداء المولى سبحانه وتعالى، وأولياء الشيطان، في كل زمان، وفي كل مكان، تحت أي شعار رفعوا، وفي أي لباس ظهروا، وعلى أي صورة برزوا، حرصاً على كيان الأمة ووحدتها، وصيانة لأمنها واستقرارها، وحفاظاً على سلامتها «رحمة».

٢ ـ على مستوى قمع تحديات تحرير الإنسان المسلم

يعد من مظاهر الرحمة قمع تحديات تحرير الإنسان المسلم، ومن الأمثلة على ذلك تيارات الإلحاد الجارفة، والمبادئ الفاسدة، والنظريات الزائفة، التي تهب على المجتمعات الإسلامية، فتفرق وحدتها، وتمزق شملها، وتضعف عزيمتها، وبخاصة تلك المبادئ التي تدّعي لنفسها صفة العقائد، وتحت هذا الشعار تستطيع التسلل والتوغل داخل المجتمعات شأنها في ذلك شأن الأمراض الخبيثة، التي لا ينفع معها حذر، ولا يجدي تجاهها اتقاء، ومن هنا يجب استئصالها واجتثاثها، ولن يكون هذا إلا باستخدام أسلوب القوة،

شأنها في ذلك شأن الحية الرقطاء، التي يعتبر قتلها «رحمة».

٣ ـ على مستوى القضاء على الكلمة الخبيثة.

إن القضاء على الكلمة الخبيثة، بكل صورها وأشكالها، مكتوبة أو مسطورة أو مقالة غير مكتوبة، أو مترجمة إلى صورة متحركة منظورة، تبذر جراثيم الميوعة والاستهتار في نفوس الشباب، الذين هم عدّة اليوم، وأمل الغد، وحملة مشعل التقدم والازدهار لأمتهم، فتتركهم فريسة للفوضى والانحلال، لا يرجى نفعهم لأنفسهم، ولا لأوطانهم، ولا يؤمن شرّهم على أنفسهم، ولا على أوطانهم.

وهذا ما يلحظه كل من يتتبع تواريخ الأمم والشعوب، ويتتبع دورات رقيّها وتقدمها، ودورات انحطاطها وتخلّفها، فإنه يجد أن على رأس أسباب التقدم والرقي والازدهار الكلمة الطيبة، بسحرها وجمالها، وقوة تأثيرها على النفوس، ويجد على قمة أسباب التخلف والانحطاط الكلمة الخبيثة المسمومة، بوحشيتها، وضراوتها، وضررها، فالقضاء على الكلمة الخبيثة «رحمة».

الرحمة هي العلامة المميزة في خلق الرسول الكريم.

تعد الرحمة هي الحقيقة الكبرى في مبعث رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، فهو نبي الرحمة بلا جدال، يقول المولى سبحانه وتعالى في محكم كتابه: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) الأنبياء:١٠٧.

وقد اتصفت بالرحمة جميع أعمال المصطفى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ومواقفه، وأقضيته، في حياته العامة والخاصة، على نحو نادر المثال، ومنقطع الشبه والنظير، وكانت جميع معاملاته تتصف بها، وكانت هي العلامة المميزة في خلقه العظيم، وفي آدابه الربانية العليا، وفي سبيلها تحمّل الكثير من العذاب، والعناء والتضحية.

وصفة الرحمة عند رسول الله ـ ﷺ ـ مع اتساعها لكل المعاني الإنسانية النبيلة، تتميز كذلك بالعموم والشمول، فليست قاصرة على قريب لمجرد قرابته، أو على صاحب لمجرد أنه صديق، أو مؤمن لأنه دخل في الدعوة واستجاب لها، أو على إنسان لمجرد أنه آدمي، بل اتسعت حتى شملت الخلائق أجمعين، وكانت خيراً وسعادة لجميع العاملين، فلم تكن رحمته تتأثر بفرح النفس وغضبها، كما هو الحال في غيره من بني الإنسان، بل كان في رحمته وهي ملاك خلقه العظيم يرتفع عن مستوى ذاته إلى المشاركة الوجدانية، في إطارها الإنساني الواسع.

كانت «زينب» كبرى بنات رسول الله ـ ﷺ ـ زوجاً لأبي العاص بن الربيع، وقد أسلمت في الوقت الذي تأخر فيه إسلام زوجها، فكان فيمن حضروا موقعة «بدر» مع المشركين، يحارب ضد المصطفى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ فوقع أسيراً بين يدي المسلمين، وكانت «زينب» ما تزال مقيمة بـ«مكة»، ممنوعة من الهجرة، فأرسلت بفدائه إلى أبيها، فأطلق سراحه على عهد ووعد منه بأن يخلي سبيلها إليه، فلمّا عاد إلى مكة جهزها، وقدم لها أخوه كنانة بن الربيع بعيراً ورحلاً، وخرج بها نهاراً على طريق المدينة.

وعلم بعض الرجال من قريش بالأمر، فأرسلوا في إثرهم جماعة من شرارهم، وعلى رأسهم هبار بن الأسود، فلما أدركوها روّعوها ترويعاً شديداً، ورماها هبار برمحه وهي في هودجها فأصابها، وكانت حاملاً فطرحت ما في بطنها، وأصابتها من جرّاء ذلك علة شديدة، وعندما علم رسول الله صلوات الله وسلامه عليه بما حدث غضب غضباً شديداً، وأرسل رجالاً يتعقّبون هبار بن الأسود والإيقاع به، قائلاً لهم: «إن ظفرتم به فحرّقوه بالنار»، ثم عاد بعد قليل فألحق بهم رسولاً يقول لهم: «إني أمرتكم بتحريقه، ثم رأيت أنه لا ينبغي لأحد أن يعذّب بالنار إلا الله، فلا تفعلوا» ويختفي هبار، فلا يعثر له على أثر.

وفي ذات يوم، وبينما رسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ جالس مع أصحابه، إذا برجل يقدم عليه مخفياً وجهه تحت لثامه، ثم يكشف عن وجهه، فإذا هو هبار بن الأسود، يقدّم نفسه، ويدفع برمحه تحت قدمي المصطفى ـ عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ـ ليصنع به ما يشاء، عقاباً له على ما قد صنع بابنته.

وهنا تعلو رحمة الإنسان على غضبة الأب في نفس رسول الله ـ ﷺ ـ، فيأمر هباراً أن يذهب، فقد سامحه وعفا عنه، ولن تمتد إليه يد أي أحد بسوء، فيسلم هبار ويدخل في الدين الإسلامي.

بعض من مظاهر رحمته ﷺ :

لقد كان صلوات الله وسلامه عليه محباً للناس جميعاً ولم يعرف الحقد والبغض طريقاً إلى قلبه السمح الطاهر فهو لم ينهر خادماً قط ولم يضرب بيده الشريفة شيئاً أبداً إلا أن يجاهد في سبيل الحق سبحانه عز وجل، وكما كان رسول الله ﷺ رحمة في حياته العامة، كان ـ أيضاً ـ رحمة في حياته الخاصة، وأكثر من ذلك أنه جعل حسن معاشرة الزوجة ميزاناً لأفضلية المسلم، وزيادة قربه من الحق سبحانه وتعالى، فقال عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم».

وقال ﷺ في حديث آخر: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي».

وكان ـ ﷺ ـ يدخل السرور على أهل بيته، والسعادة على نفوسهن، ويسعى في قضاء حوائجهن، ويتولى خدمة البيت معهن، مساعدة لهن، ورحمة بهن، وتطييباً لنفوسهن، وليتأسى به المسلمون.

ولقد قالت السيدة عائشة بنت أبي بكر الصديق ـ رضي الله تعالى عنهما ـ عندما سئلت عما كان يصنع رسول الله ـ ﷺ ـ في بيته: «كما يصنع أحدكم، يشيل هذا ويحط هذا، ويخدم في مهنة أهله، ويقطع لهم اللحم، ويقمّ البيت ـ «أي يكنسه» ـ ويعين الخادم في خدمته».

كان يداعب على الدوام ابن السيدة فاطمة الزهراء ابنته ـ رضي الله تعالى عنها ـ الحسن والحسين، ويحملهما، ويقبّلهما، ويحنو عليهما حنواً عظيماً.

ومما يروى أنه عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام كان على المنبر يخطب في الناس، وخلال الخطبة دخل الحسين يتكفأ في سيره، فنزل رسول الله ـ ﷺ ـ من فوق المنبر، وحمله، وصعد به المنبر، ثم قال: (إنما أموالكم وأولادكم فتنة).

وفي أحد الأيام كان الأقرع بن حابس جالساً عنده، وشاهده وهو يقبّل الحسن، فقال له مستغرباً: إن لي عشرة من الأولاد، ما قبّلت منهم أحداً قط.. فنظر إليه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه، وقال

له: «أوَ أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة؟.. من لا يَرْحَم لا يُرْحَم»، فجعل رسول الله - ﷺ - تقبيل الصغير، والحنو عليه من رحمة القلب، التي يودعها المولى سبحانه وتعالى في قلب من يشاء من عباده.

ومن مظاهر رحمته عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام أنه كان رفيقاً بالناس جميعاً، فلا يكلفهم بما لا يطيقونه وما يشق عليهم، وكان ينهاهم أن يشقوا على أنفسهم، ويدعوهم إلى الرفق في كل أمورهم، ويحذرهم من إرهاق العباد، وإلحاق المشقة بهم، فيقول صلوات الله وسلامه عليه: «من يُحْرَم الرفق يحرم الخير كله».

ويقول سيّد الخلق عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام: «إن الله رفيق، يحبُّ الرفق في الأمر كله».

ومن مظاهر رحمته صلوات الله وسلامه عليه بالناس، ما يرويه ابن عمر - رضي الله تعالى عنه - عن النبي - ﷺ - أنه قال: «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم، فإنما أهلك من كان قبلكم كثرة مساءلتهم أنبياءهم، شَدَّدوا فشدد الله عليهم».

رحمته مع أعدائه

لقد لقى المصطفى صلوات الله وسلامه عليه من مشركي «مكة» ما لقي من صنوف العذاب، وألوان التنكيل والاضطهاد، فلما أظهره المولى سبحانه وتعالى عليهم، ودخل «مكة» فاتحاً، في العام الثامن من الهجرة، أقبل على البيت الحرام، فطاف به سبعاً وهو على راحلته، ثم وقف على باب الكعبة، وأبو بكر الصديق - رضي الله عنه - واقف وراءه، متقلداً سيفه، ودعا عثمان بن طلحة، ففتح له باب الكعبة، فدخلها، وصلى بها ركعتين، ثم وقف على باب الكعبة وقال: «لا إله إلا الله وحده... صدق وعده... ونصر عبده... وأعز جنده... وهزم الأحزاب وحده».

وبعد ذلك ألقى رسول الله - ﷺ - خطبته الجامعة، والتي تعد أول وثيقة لحقوق الإنسان في التاريخ، وقد بيَّن فيها حقوق المسلم على أخيه المسلم، وأكد فيها مبدأ المساواة بين الناس، وأن لكل إنسان حق التمتع بجميع الحقوق والحريات، دون أدنى تمييز بسبب العنصر أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين، وأكد حقوق المرأة وبيَّن أن النساء شقائق الرجال.

وأوضح صلوات الله وسلامه عليه في هذه الخطبة الكثير من الأحكام الإسلامية، حين قال: «يأيها الناس: إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلم لآدم وآدم من تراب... إن أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود فضل إلا بالتقوى ... ألا هل بلغت... اللهم فاشهد... ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب».

ثم قال: «يا معشر قريش: ماذا تقولون؟... وماذا تظنون أني فاعل بكم؟»، قالوا: خيراً أخ كريم، وابن أخ كريم... فقال صلوات الله وسلامه عليه: «أقول لكم كما قال أخي يوسف: لا تثريب عليكم اليوم، يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين... اذهبوا فأنتم الطلقاء».

ترى... هل كان أهل مكة يطمعون في مثل هذا التسامح، ومثل تلك الرحمة، لو أن الذي فتح مكة كان قائداً من القواد؟!.

أعتقد أننا لو تصفحنا التاريخ كله من أوله إلى آخره، لما وجدنا قائداً واحداً وقف من أعدائه مثل هذا الموقف النبيل الكريم، بل ليس في التاريخ كله موقف بلغ من السماحة والرحمة والسمو مثل هذا الموقف، ولا صورة وصلت إلى أقصى درجات الرفعة مثل ما وصلت إليه هذه الصورة.

إن من المستحيل أن يوجد في الناس أجمعين إنسان بلغ الكمال الإنساني الذي بلغه رسول الله - ﷺ - ولا وصل إلى المستوى الأخلاقي الذي وصل إليه رسول الله، فهو رحمة من الله سبحانه وتعالى إلى عباده، أرسله لينقذ البشرية من الغيّ والضلال، ويهديهم إلى الصراط المستقيم.

أليس بين هؤلاء الناس الواقفين أمامه من وقفوا في وجه الدعوة الإسلامية، وحاربوها بكل ما أوتوا من قوة، وعذبوه هو وأصحابه؟

أليس بين هؤلاء الناس الواقفين أمامه من ائتمروا به ليقتلوه، ليلة أن خرج من مكة مهاجراً إلى المدينة؟

أليس بين هؤلاء الناس الواقفين أمامه من حاصروه في غزوة الأحزاب، أملاً في تحطيم الدولة الإسلامية، والقضاء عليها وعلى دعوتها؟

أليس بين هؤلاء الناس الواقفين أمامه ممن منعوه هو وأصحابه من دخول مكة، ومنعوهم من أداء العمرة، والطواف بالبيت الحرام، في العام السادس من الهجرة؟

لقد نظر عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام إليهم جميعاً، وهم في قبضة يده، وأمره نافذ في رقابهم، وأرواحهم رهن إشارة من يده، فلم يفكر في الانتقام لنفسه وللمسلمين نظير ما لحق بهم من أذى وعدوان على أيدي «قريش»، بل نظر إليهم نظرة حانية، نظرة عميقة، نظرة اتسمت بالصفاء والشفافية، نظرة امتلأت بالحب والحنان، والعطف والرحمة وهم نظروا إليه نظرة ملؤها الخوف، والرعب والرهبة.

وشتَّان ما بين النظرتين، فهم لم يكونوا يتوقعون على وجه الإطلاق أن يعفو عنهم، لأنهم يعرفون ما فعلوه وما ارتكبوه، ولو كان واحد منهم في مثل موقفه ما عفا عنهم، ولكنه رسول الله - ﷺ - ذو الخلق العظيم وتربية المولى سبحانه وتعالى، فقال لهم وصدره يجيش بكل معاني التسامح، وبكل معاني الرحمة، وأنظارهم متعلقة بشفتيه: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»، فضرب بذلك مثلاً كريماً في سمو النفس، والعفو عند المقدرة.

فما أجدرنا أن نستلهم من سيرة رسول الله - صلوات الله وسلامه عليه وسلوكه وتعامله مع الغير، ما يضيء لنا ظلمات حياتنا، وأن نترسم منهج هذه القدوة المثلى، فنتراحم فيما بيننا، وتسود علاقاتنا الرحمة، والحب والحنان، ونردد على الدوام قول الحق سبحانه وتعالى:

(ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم) غافر:٧.

إن المولى سبحانه وتعالى يتولى الرحماء بعنايته، ويكلؤهم برعايته وتوفيقه ويأخذ بيدهم إلى الخير، يؤمنهم من كل خوف، ويمنحهم العزة في مواقف الذل، والقوة في مواطن الضعف، والحب في مواقف البغض.

ولن يهزم بأي حال من أحب في الله سبحانه وتعالى، وأبغض في الله سبحانه وتعالى، وعفا ورحم مرضاة لله عز وجل. ■

لاَلِئُ فِي السُّفُوحِ وفِي الجِبَالِ
وَطَيْفُكِ مِنْ جَمَالِكِ وَالْجَلاَلِ
عَلَىٰ رَبَواتِكِ الشُّهَدَاءِ جَادُوا
فَكَانُوا كَالْجَوَاهِرِ وَاللآلِي
دِمَاؤُكِ يَا كُسُوفُو! أَيُّ نُورٍ
سَرَىٰ مِنْهَا يَمُوجُ بِكُلِّ غَالِ
دِمَاؤُكِ يَا كُسوفُو! أَيُّ عِطْرٍ
نَشَرْتِ عَلَىٰ الرُّبَىٰ عَبَقَ اللَّيَالِي
وَأَيْنَ رَوَائِعُ التَّارِيخِ تَجْرِي
مُحَمَّلَةً بِأَشْوَاقِ الْمَعَالِي
وَأَيْنَ مَضَاجِعُ الشُّهَدَاءِ فِيهَا
تُعِيدُ جَلاَلَ أَيَّامٍ خَوَالِي
عَلَىٰ سَاحَاتِكِ الْخَضْرَاءِ مَاجَتْ
مَلاَحِمُ فِي السُّهُولِ وَفِي الْجِبَالِ
تَمُرُّ بِكِ الْقُرُونُ تَظَلُّ تَرْوِي
فَوَاجِعَ جُزْنَ آفَاقَ الْخَيَالِ
كَأَنَّ الأَمْسَ عَادَ الْيَومَ حَيًّا
تَدَفَّقَ بِالدِّمَاءِ وَبِالْغَوَالِي
وَأَكْوَامٍ مِنَ الأَشْلاَءِ تَعْلُو
وَأَحْزَانٍ تَطُوفُ بِهَا ثِقَالِ
وَصَيْحَاتِ الأَرَامِلِ وَالثَّكَالَىٰ
عَلَىٰ هَوْلِ الْعَوَاصِفِ وَالْعِيالِ(١)
وَكَمْ مِنْ غَادَةٍ حَسْنَاءَ عَفَّتْ
عَلَىٰ طُهْرِ الْعَزِيمَةِ وَالدَّلاَلِ
غَزَاهَا الْمُجْرِمُونَ وَجَرَّدُوهَا
عَلَىٰ قَهْرِ الْجَرِيمَةِ وَالْفِعَالِ
وَأَطْفَالٍ تَهِيمُ بِكُلِّ شِعْبٍ
وَأَشْوَاقٍ مَرَرْنَ بِهَا عِجَالِ

تُطَارِدُهَا الْفَوَاجِعُ حَيْثُ تَمْضِي
وَأَصْدَاءُ الْمَلاَحِمِ وَالْقِتَالِ
فَكَمْ طِفْلٍ تَلَفَّتَ: أَيْنَ أُمِّي؟
وَأَيْنَ أَبِي وَعَمِّي؟ أَيْنَ خَالِي
وَأَيْنَ...؟ وَغَابَ وَاضْطَرَبَتْ رُؤَاهُ
لِتَطْوَىٰ فِي الدُّمُوعِ وَفِي انْهِمَالِ
فَكَمْ مِنْ دَمْعَةٍ رَوَّتْ دُرُوبَاً
مَشَاهَا؟ كَمْ أَسَىٰ؟ كَمْ مِنْ سُؤَالِ
وَكَمْ مِنْ حُرْقَةٍ فِي الصَّدْرِ أَضْحَتْ
تَفَجَّرُ بِاللَّهِيبِ وَبِاشْتِعَالِ
فَيَأْخُذُ مِنْ بِسَاطِ الأَرْضِ صَدْرَاً
يَحِنُّ عَلَيْهِ مِنْ وَهَنِ الكَلاَلِ
وَيَلْتَحِفُ السَّمَاءَ! وَهَلْ لَدَيْهِ
بَقِيَّةُ عَزْمَةٍ عِنْدَ ارْتِحَالِ
وَيَنْظُرُ فِي مَدَىٰ الآفَاقِ يُحْيِي
عَزِيمَتَهُ بِآمَالٍ طِوَالِ
تَلَفَّتَ! أَيْنَ عَهْدُ اللَّهِ يَبْنِي
بِدَارِ الْمُسْلِمِينَ عُرَا الْوِصَالِ
وَأَيْنَ كَتَائِبُ الإِسْلاَمِ؟! أَضْحَتْ
مُقَطَّعَةَ الْوَشَائِجِ وَالْجِبَالِ
أَيَعْبَثُ فِي مَحَارِمِنَا ذِئَابٌ
وَتَنْشَبُ مِنْ مَخَالِبِهَا الثَّعَالِي
عَجِبْتُ وَيُشْفِقُ «النَّائِي» عَلَيْهِمِ
وَيُقْبَلُ كُلُّ مُحْتَالٍ وَقَالِي
وَيَغْفُو الْمُسْلِمُونَ عَلَىٰ هَوَانٍ
كَأَنَّكَ لاَ تَرَىٰ أَحَدَاً يُبَالِي
أَمَاتَ هَوَانُهُمْ آمَالَ عِزٍّ
وَنَخْوَةَ مُنْجِدٍ وَهَوَىٰ النِّزَالِ

فَكَمْ رَجُلٍ لَهُ بِالْمَوتِ عُمْرٌ
وَكَمْ تُحْيِي الشَّهَادَةُ مِنْ رِجَالِ
وَيُدْفَنُ فِي الْحَيَاةِ أَخُو هَوَانٍ
يَمُوتُ مِنَ الْهَوَانِ بِلاَ قِتَالِ
وَلاَ تَهِبُ الزَّخَارِفُ أَيَّ نَصْرٍ
وَلاَ يُدْنِي الشِّعَارُ مِنَ النَّوَالِ
فَكَمْ ضَجَّ الشِّعَارُ عَلَىٰ فَضَاءٍ
وَغَابَ عَنْ الْمَوَاقِعِ وَالنِّزَالِ

رُوَيْدَكِ يَا «كُسُوفُو» كَمْ رَأَيْنَا
بِأَرْضِ «الْبُوسْنِ» قَبْلَكِ مِنْ مِثَالِ
غُزَاةُ الصَّرْبِ وَالْكُفَّارِ مَالُوا
بِأَحْقَادٍ تَفَجَّرُ بِالضَّلاَلِ
دِيَارَ «الْبُوسْنِ وَالْهِرْسِكْ» أَفِيضِي
وَقُولِي كَمْ بَلَوْتِ مِنَ التَّقَالِي
لَقَدْ تَخِذُوا «الدِّيَانَةَ» بَابَ حِقْدٍ
بِمَا كَذَبُوا وَحَاكُوا مِنْ خَبَالِ
فَيُخْفُونَ الْمَطَامِعَ فِي صُدُورٍ
وَيُبْدُونَ الْعَدَاوَةَ بِالنِّصَالِ
هِيَ الأَهْوَاءُ وَالدُّنْيَا عُرُوضٌ
تُجَمِّعُ مِنْ دَعِيٍّ أَوْ مُوَالِ

دِمَاؤُكِ يَا «كُسُوفُو» أَيْنَ تَجْرِي
وَأَيْنَ تَصُبُّ مِنْ صَحْبٍ وَآلِ؟!
تَصُبُّ بِأَبْحُرٍ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ
دِمَاءُ الْمُسْلِمِينَ بِذُلِّ حَالِ
فَكَمْ مِنْ سَاحَةٍ فِي الأَرْضِ صَبَّتْ
دَمَاً مِنْ مُسْلِمٍ غَافٍ وَسَالِ

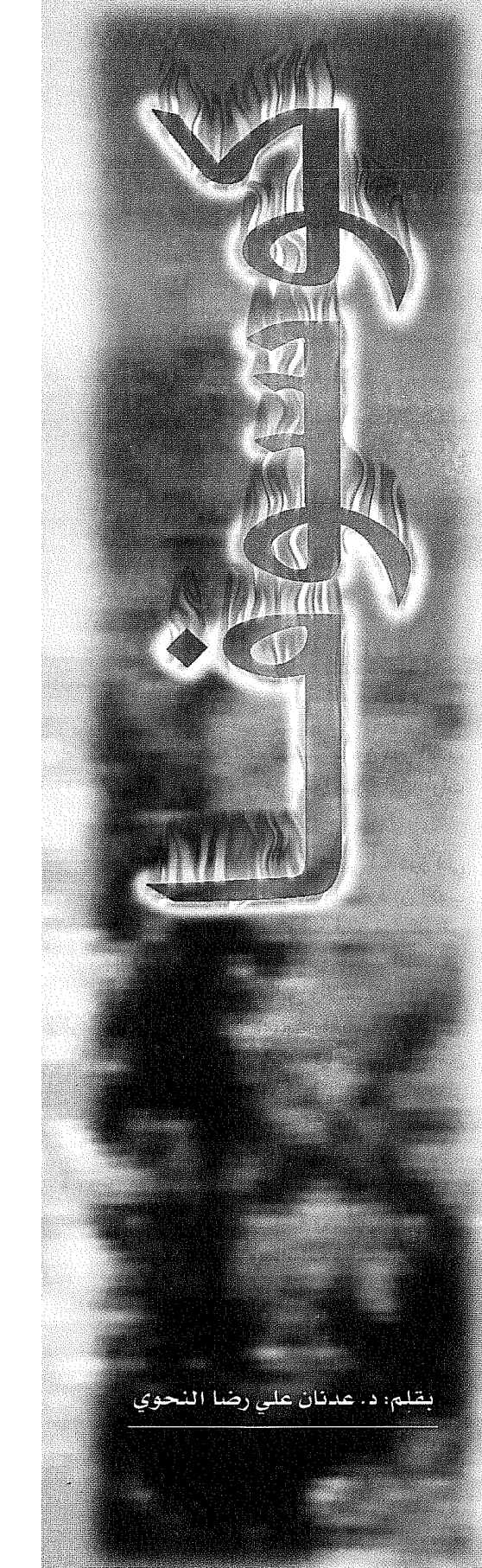

إِذَا هَانَتْ نُفُوسُ الْقَومِ هَانَتْ
دِمَاؤُهمُ وَمَالُوا للزَّوَالِ

رُوَيْدَكِ يَا كُسُوفُو! كَيْفَ هَانَتْ
وَأُفْرِغَتِ الدِّيَارُ مِنَ الرِّجَالِ
وَكَيْفَ تُسَاقُ أَفْوَاجُ الضَّحَايَا
وَأَطْفَالٌ وَرَبَّاتُ الحِجَالِ
حُشُودُ النَّازِحِينَ تَمُوجُ حَيرَى
بِأَوْدِيَةٍ تَغُورُ وفِي التِّلَالِ
تُسَدُّ أَمَامَهَا سُبُلٌ وَتُلْقَى
عَلَى الآفَاقِ تَائِهَةَ النَّوَالِ
تُصَدُّ عَنِ الْحُدُودِ فَأَيْنَ تَأْوِي
وَكُلٌّ فِي لَهِيبِ الْمَوتِ صَالِ؟!
فَمَا مِنْ مُسْعِفٍ إِلاَّ جَحِيمٌ
وَمَا مِنْ مَلْجَأٍ أَوْ مِنْ ثِمَالِ(٢)
تَدُبُّ خُطَاهُمُ هُوْنَاً وَتَمْضِي
بِآمَالٍ تَذُوبُ عَلَى الرِّمَالِ
قَوَافِلُ لِلُّجوءِ تَصُبُّ صَبَّاً
عَلَى هَوْلِ الْمَذَلَّةِ وَالْوَبَالِ
فَكَمْ مِنْ سَاحَةٍ أَلْقَتْ بَنِيهَا
إِلَى هَلَكِ الضَّيَاعِ أَوِ النِّصَالِ
تَزَاحَمَتِ الدُّرُوبُ بِهِمْ وَضَاقَتْ
وَوُسِّعَتِ الْمَجَازِرُ لِلنِّكَالِ
لَقَدْ نَعِمُوا بِطِيبِ الْعَيْشِ حِيناً
عَلَى خَدَرٍ وَلَهوٍ وَاخْتِيَالِ
يُمَنِّيهِمْ عَدُوُّ اللهِ مَكْراً
بِزُخْرُفِ فِتْنَةٍ وَغُرُورِ حَالِ
وَيَخْدَعُهُمْ بِدَعْوَى السِّلْمِ حِيناً
وَحِيناً بِالْفَسَادِ أَوِ الضَّلَالِ

فَأَلْقَوْا عَنْ كَوَاهِلِهِمْ سِلاَحاً
وَدَارُوا فِي هَوَى قِيلٍ وَقَالِ
فَفُتِّحَتِ الْقُلُوبُ لِكُلِّ غَازٍ
وَفُتِّحَتِ الدِّيَارُ لِكُلِّ قَالِ(٣)
وَفَاجَأَهُمْ سِلاَحٌ ذُو مَضَاءٍ
يُقَتِّلُ بِاليَمِينِ وَبِالشِّمَالِ

رُوَيْدَكِ يَا دِيَارَ «الْبُوسنِ» صَبْراً
رُوَيْداً يَا كُوسُفو الْحَقُّ غَالِ!
رُوَيْدَكُمُ فَوَعْدُ اللهِ حَقٌّ
فَأَوْفُوا بِالْعُهُودِ وَبِالخِلالِ
رُوَيْدَكِ يَا «فِلِسْطِينُ اسْتَعِدِّي
وَيَا «كَشْمِيرُ» شُدِّي فِي النِّضَالِ
وَيَا «صُومَالُ» لِمِّي مِنْ صِرَاعٍ
أَصَابَكِ مِنْهُ أَلْوَانُ الهُزَالِ
وَيَا دَارَ الجَزَائِرِ كَمْ بَلاءٍ
أُصِبْتِ بِهِ وَكَمْ مَرَضٍ عُضَالِ
دِيَارُ الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ أَضْحَتْ
مُمَزَّقَةً بِهُونٍ وَاعْتِلاَلِ
فَلُمُّوا مِنْ صُفُوفِكُمُ جَمِيعاً
عَلَى حَقٍّ أَشَدَّ مِنَ الجِبَالِ
أَقِيمُوا أُمَّةَ الإِسْلامِ فِيكُمْ
بِنَاءً شِيدَ مِنْ عَزْمِ الرِّجَالِ
وَمِنْ عَزْمِ التُّقَاةِ إِذَا أَنَابُوا
عَلَى سَاحِ الشَّهَادَةِ وَالنِّزَالِ

الهوامش:

١ ـ صال: صولاً وصيالاً: سطا ووثب.
٢ ـ ثِمال: غياث.
٣ ـ القالي: الكاره هو العدو.

بقلم: د. عدنان علي رضا النحوي

أجرى الحوار : تمام أحمد

خلال زيارته الأخيرة لدولة الكويت، التقت مجلة الوعي الإسلامي الأستاذ محمد سلطان ذوق الندوي «عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية» ومدير جامعة دار المعارف الإسلامية في شيتاغونغ . بنغلاديش ورئيس تحرير مجلة منار الشرق الفصلية، حيث دار حديث مطوّل تناول الحركة الأدبية الإسلامية المعاصرة داخل وخارج جمهورية بنغلاديش...

رئيس تحرير مجلة منار الشرق في بنغلاديش لمجلة الوعي الإسلامي

الأدب الإسلامي وجد منذ وجد الإسلام

● كيف تقوّمون دور الأدب الإسلامي في مواجهة التيارات الفكرية الوافدة؟

- لا شك أن الأدب الإسلامي له دور في مواجهة التيارات الهدامة، فإن الأدب الإسلامي يتوقع منه العصر أن ينهض بإبداعه الأدبي والفني ويجسد التصور الإسلامي عن الخالق والإنسان والكون والحياة من خلال أعماله الأدبية وأنشطته الفنية، ويزف إلى شعبه ما يحتاج إليه من تحقيق الأهداف الإسلامية الصحيحة ويعبّر عن قيم الإسلام الروحية، ومثله العليا وعن واقع المسلمين وآمالهم وآلامهم كما يجب، فالأدب الإسلامي يستطيع أن يؤدي دوره في مقاومة الفتن الحضارية ومواجهة التيارات الفكرية الوافدة ومناقشة قضايا الإسلام والمسلمين المعاصرة.

● هل أنتم راضون عن الحركة الأدبية الإسلامية المعاصرة؟

- نعم نحن راضون عن الحركة الأدبية الإسلامية المعاصرة ومعتنون بها، ونرجو أن تتغلب هذه الحركة على الأوضاع المعاكسة والمعوقة بإذن الله، فإنها أوضاع قاسرة، وحركة الأدب الإسلامي هي حركة طبيعية،

● الأستاذ محمد سلطان ذوق الندوي

توافي وتنسجم مع الفطرة السليمة، (فطرة الله التي فطر الناس عليها).

● ما تقويمكم لحركة الثقافة والفكر والأدب في العالمين العربي والإسلامي؟

- أعتقد أن حركة الثقافة والفكر والأدب في العالمين العربي والإسلامي قد نشطت وتقدمت إلى الأمام تقدماً ملموساً، واتجهت اتجاهاً إسلامياً، ويوجد لها أثر طيب في تغيير مجرى الحياة، وتوعية الجيل الجديد توعية إسلامية، وستستمد هذه الحركة من أعلام الأدباء المسلمين قوة وحيوية تسمو بها إلى قمة الرقي والازدهار والمستقبل الزاهر بإذن الله.

● ما الطريقة المثلى لغرس بذور الأدب الإسلامي في قلوب الناشئة؟

- أرى أن الطريقة المثلى هي إثراء الأدب بقصص وروايات إسلامية أخاذة بأعنة القلوب، وذلك باختيار أسلوب أدبي شيق، واستخدام أجهزة الإعلام السمعية والمرئية لذلك، حتى يكون النشء الجديد على صلة بينابيع العقيدة الصافية والأخلاق الفاضلة منذ نعومة أظفارهم وفي عنفوان شبابهم.

● قضية اللغة الفصحى قضية تعاني من الإهمال الشديد في معظم الدول العربية والإسلامية ما الحل الذي ترونه لهذه القضية؟

- نعم قضية اللغة الفصحى قضية تعاني من الإهمال في كل مكان، ولديَّ الحل لهذه القضية أن يراعي الأديب المسلم كلا الجانبين في إبداعه وعمله الأدبي وإنتاجه الفني، الالتزام بالجانب الفكري والاهتمام بالجانب اللغوي، فلا يدور مع الزمان كما يدور، بالإضافة إلى الكتابة في الجرائد

والمجلات مقالات توجيهيّة لمعالجة هذه القضية، ووضع برامج تلفازية للغرض نفسه.

● هل هناك أدب إسلامي...؟ ما سماته وما دوره في الحياة الأدبية؟

- يستغرب بعض الأدباء كلمة «مصطلح الأدب الإسلامي»، ويزعمون لماذا الأدب الإسلامي! الأدب هو الأدب، لماذا هذه المواصفات التي تحده، فهي عندهم بدعة، وتحجير الواسع، ولكن الحقيقة أن الأدب الإسلامي ليس شيئاً غريباً ولا من البدع، وجد الأدب الإسلامي منذ وجد الإسلام، والإسلام لم يحجر للأديب والشاعر واسعاً، بل رسم لمسيرة الأدب واللغة خطاً واضحاً آمناً، وتحققت نماذج رايته من الأدب الإسلامي منذ طلوع فجر الإسلام إلى عصرنا هذا، وإن كان هناك فترة من الزمن مني الأدب واللغة فيها بالمحنة، فهي غلبة الأدب الصناعي على ذخائر الأدب الأصيل، فكان أسلوب التأليف والكتابة المصطنع سائداً منذ فترة لا بأس بها، وكانت الضرورة ملحّة إلى فكرة الأدب الإسلامي وإنقاذ الأدب من ذلك الحصار الضيق، وتقويم الأعمال الأدبية الإسلامية، فتجسدت هذه الفكرة العام ١٩٨٦م حتى أصبح الأدب الإسلامي حقيقة راهنة، ومن سماته أن يكون الأديب مسلماً، فإن الكافر والملحد لا يتوقع أن يصدر عنهما أدب إسلامي، وإن كان يوجد إنتاج لكافر ما يوافق المفاهيم الإسلامية، فإنه لا يسمى أدباً إسلامياً، كما جاء في شعر عنترة :

وأغض طرفي إن بدت لي جارتي

حتى يواري جارتي مأواها

فإنه يوافق قوله تعالى: (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم...) كذلك يشترط أن يكون ملتزماً بالفكرة الإسلامية، دائم الصلة بمناهل الأدب الإسلامي الأصيلة وينابيع الإيمان والعمل الصالح، ويعبر عن الإنسان والكون والحياة تعبيراً هادفاً.

وأما دور الأدب الإسلامي في الحياة فهو دور الريادة والتوجيه ودور الإصلاح والبناء، ومقاومة الثروة الفكرية في المجتمعات البشرية، فإن الأدب آلة، بإمكانها أن تكون هدامة وبإمكانها أن تكون بناءة، فالآلة إذا أخذتها أيد مؤمنة فلابد أن تكون مستخدمة في الإصلاح والبناء.

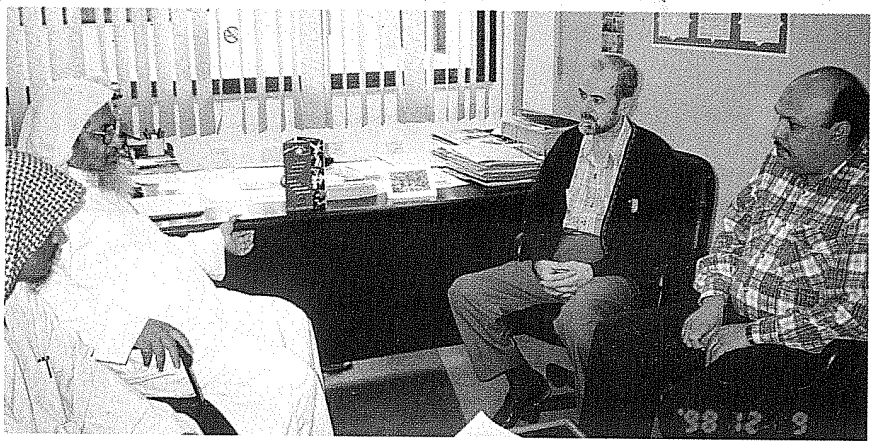

● الأستاذ محمد سلطان ذوق الندوي يتحدث إلى الوعي الإسلامي

● غلاف مجلة منار الشرق

● ما أهم مشاريعكم الأدبية والعلمية في بنغلاديش؟

- بالنسبة لمشاريعنا العلمية والأدبية، أقول بإيجاز إن المؤسسات التعليمية في بلادنا بنغلاديش كانت مصرة على مناهج التعليم القديمة فهي بحاجة إلى تطوير مناهجها وإدخال بعض التحسينات اللائقة فيها، فأنشأنا جامعة دار المعارف الإسلامية العام ١٩٨٥م لتطبيق منهج تعليمي متطور على غرار ندوة العلماء في الهند، وتقدمت الجامعة إلى أهدافها بسرعة بارقة، فالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة قامت بمعادلة مناهجها وأقامت في قاعاتها دورات لتعليم اللغة العربية والثقافة الإسلامية، فتعتبر جامعة دار المعارف فرعاً لندوة العلماء في بنغلاديش ومركزاً وحيداً لتعليم اللغة العربية لاهتمامها البالغ بنشر اللغة العربية، ولكن ضيق مصادر الدخول المادية يعوق من سيرها الحثيث، حيث الجامعة بحاجة إلى فتح كلية الدعوة وأصول الدين وتوسعة مبانيها، ومن أهم مشاريعها إكمال عمارة الفصول الدراسية ذات الأربعة أدوار، وإنشاء عمارة «رواق القدس» الوحدة السكنية للطلاب.

وأما من أنشطتها الأدبية فوجود المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في الجامعة، والمكتب يقوم بعقد مؤتمرات وندوات محلية وعالمية للنقاش في مواضيع علمية وأدبية، ويصدر مجلتين بالعربية والبنغالية كلتاهما تعني بالأدب الإسلامي، وحيث إن تكاليف هذه الأعمال والأنشطة وتغطية مصاريف البناء تعول على تبرعات الشعب المسلم والجهات الخيرية الإسلامية نهيب بأهل البر والخيرات الإسهام بإمكاناتهم السخية.

● هل هناك شريحة كبيرة من البنغاليين تهتم بأمور الأدب العربي والإسلامي؟

- نعم الأدباء البنغاليون لهم دور مهم في تعليم اللغة العربية والكتابة فيها، واهتمامهم بالغ بالأدب الإسلامي والعربي ومعظم المقررت الدراسية في المؤسسات التعليمية بالعربية، كما يوجد عدد كبير من الكتّاب والمؤلفين والشعراء معنيين بالكتابة في اللغة العربية الفصحى.

هذا وأشكركم على إجراء الحوار وإتاحة الفرصة لرفع صوتنا إلى الشعب الكويتي المسلم الشقيق. ■

كتبه: وائل أحمد البوشي

صَفَـــرٌ

صفر هو الشهر الثاني من أشهر السنة الهجرية، شهد هذا الشهر أحداثاً كثيرة، نختار منها ثلاثة أحداث، نحتاج إلى أن نقف عندها وقفة اتعاظ واستلهام واعتبار، وهذه الأحداث الثلاثة هي:

غزوة ودّان(١)، وغزوة خيبر، وبداية مرض الرسول ﷺ الذي قُبِض فيه.

إن غزوة ودّان تمثّل نمط القتال في فترة امتدت نحو ستة أعوام لسنين مضت من الهجرة، وهو القتال الدفاعي، الذي يهدف إلى بث الهيبة من هذا المجتمع الجديد الذي نشأ في ظل الإسلام، إنه مجتمع المدينة، بفئة - إذا ما قورنت بقوى الشرك - ضعيفة عدداً وعدة، فكان من أهم الركائز الأساسية في تمكين المسلمين من نشر الدعوة هو تأمين هذا المجتمع من خطر القبائل المشركة التي تنتشر حوله.

إن الفئة التي خرجت لتوها من أرضها، وانتقلت إلى بلد غير البلد الذي نشأت - بداية - فيه، تتحرك يميناً وشمالاً، بقوة وحزم ظاهرين، تقاتل تارة، وتفر الفلول أمامها تارة أخرى من دون قتال، وتارة تعقد المعاهدات مع بعض القبائل وهو ما حدث في غزوة ودّان، حين عاهد النبي - ﷺ - بني ضمرة، وأمَّنهم على أموالهم، «وأن لهم النصر على من رامهم، إلا أن يحاربوا دين الله، ما بلَّ بَحْرٌ صُوفة(٢)، وأن النبي إذا دعاهم لنصره أجابوه»(٣).

وتستمر الغزوات والسرايا - على هذا النمط الدفاعي - حتى العام السادس من الهجرة وهو العام الذي أمَّن المسلمون دعوتهم بصلح الحديبية، فانتقل القتال إلى مرحلة الهجوم - بدلاً من الدفاع، فجهّز النبي - ﷺ - جيشاً في نهاية شهر المحرم من العام السابع للهجرة لغزو خيبر، تلك المساحة التي تتعدد فيها الحصون والمزارع، ويسكنها اليهود، من الذين نقضوا عهد الرسول - ﷺ - في المدينة فأجلاهم عنها، فذهبوا إلى إخوانهم في خيبر، وأخذوا يؤلبون بعض القبائل المشركة لقتال الرسول ﷺ - كما حدث في غزوة الأحزاب(٤)، وتحرك الجيش إليهم بقيادة رسول الله - ﷺ - والهدف الأول - لهذه الغزوة ولغيرها من الغزوات - هو الدعوة إلى الله، بإقامة الحجة عليهم قبل قتالهم، فإن أبوا إلا القتال قاتلهم، وهذا واضح وضوحاً بيّناً في سؤال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - للنبي - ﷺ - حين دفع إليه الراية يوم خيبر: أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم»(٥). فقاتل فكان الفتح على يديه، إلا أن اليهود لم يتعظوا - في بعض حالاتهم - مما رأوا من فتح الله على النبي - ﷺ - فلما اطمأن النبي - ﷺ - أهدت له زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم شاة مشوية، دست فيها سماً، وأكثرت منه في الذراع التي كان الرسول - ﷺ - يحب أكلها، فلما أكل منها لم يسغها فلفظها، ثم قال: «إن هذا العظم يُخبرني أنه مسموم»، ثم دعا بها فاعترفت. فقال: ما حملك على ذلك؟ قالت: بَلَغْتَ من قومي ما لم يخفَ عليك، فقلت إن كان ملكاً استرحت منه، وإن كان نبياً فسَيُخْبَرُ، فقال لها الرسول - ﷺ : «ما كان الله لِيُسَلِّطَكِ على ذاك»(أي على قتلي) قالوا: ألا نقتلها يا رسول الله؟ قال: لا»(٦).

بهذا العقل المنصف والنفس المطمئنة تكون الدعوة إلى الله، فلا يلجأ إلى القتال - وهو بأمر الحاكم المسلم وحده دون سواه من عوام الناس مهما كان علمهم واجتهادهم - إلا بعد استنفاد جميع وسائل الدعوة السلمية من ترغيب وترهيب ومناقشات، وجدال بالتي هي أحسن، بهدف تجلية روحانية الإسلام وسماحته وعقلانيته، التي لا تتيح لعقل منصف ولُبٍّ حصيف إلا الانقياد له، ولا يبقى بعدها إلا العناد والصلف الذي يحرم الناس - بغير ما جرم - من تفيؤ ظلال الأمن والأمان في ظل الإسلام، فيكون حينها القتال البعيد عن التشنج الأرعن، القتال المنضبط وفق ما علّمنا الرسول الكريم - ﷺ - أجمل ما يكون الجهاد وأكمله، ليبين لأمته بعده ألا يهبوا خلف كل ناعق، لا تحركه إلا العصبية التي استبد بها من شراسة الطبع وعَمَهِ الوجهة ما جعل بُعْدَهُ عن الدين قريباً من بُعْدِ من أراد محاربته باسم الدين والدين من تصرفه براء.

قام الدين على العبودية الحقة لله جل وعلا، والاستسلام المطلق لكل ما أمر به، ولا تكون العبودية حقيقة والاستسلام مطلقاً إلا بحبٍّ يملأ نفس المسلم لله ولرسوله - ﷺ - ويفيض - من بركات هذا الحب الأسمى - على حب كل الناس، وحب الخير لهم، ولا يبغض إلا أفعالهم التي يطبيها بقلب رفيق ويد حانية، ولا يلجأ إلى الشدة إلا في موضع الشدة. بمثل هذا الحب الصادق تقوم الدعوة وتبنى أركان الدين وتشيع في المجتمع روح الترابط والحرص على الخير وبذله في كل أبوابه، فتقوم الدولة راسخة البناء شديدة التلاحم.

يقول الرسول - ﷺ : «ثلاث من كن فيه، وجد حلاوة الإيمان أن يكون اللهُ ورسولُهُ أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحبَّ المرءَ لا يُحِبُّهُ إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُقذف في النار»(٧).

وكان - ﷺ - من حبه لأصحابه وحرصه عليهم يمازحهم حيناً، ويعظهم حيناً آخر، مبيناً لهم حقيقة العبودية، فلم يدع أمراً فيه الخير لأمته إلا وحضهم عليه، ولا أمراً فيه الشر إلا وحذرهم منه، وهو بينهم يعود مريضهم، ويطمِّن خائفهم... يداعب الصغير، ويمازح الكبير... حتى إذا خلا في جوف الليل وقام بين يدي الله قانتاً رفع يديه يدعو لأصحابه ويستغفر لهم، وليس هذا فقط... فقد كان يذهب لأصحابه في قبورهم، يزور البقيع، ويستغفر لأهله، كما روى ابن إسحاق وابن سعد عن أبي مويهبة - مولى النبي ﷺ - أنه قال «بعثني رسول الله - ﷺ - من جوف الليل، فقال: «يا أبا مويهبة قد أُمِرْتُ أن استغفر لأهل هذا البقيع، فانْطَلِقْ معي» فانطلقت معه، فلما وقفنا عليهم قال: «السلام عليكم يا أهل المقابر، ليهن لكم ما أصبحتم فيما أصبح الناس فيه، أقبلت الفتن مثل قطع الليل المظلم، يتبع آخرها أولاها، الآخرة شر من الأولى» ثم أقبل عليَّ فقال: «إني قد أُعطيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها، فخُيِّرْتُ بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة». فقلت: بأبي أنت وأمي، فخذ مفاتيح خزائن الدنيا وتَخَلَّدْ فيها ثم الجنة. قال: «لا والله يا أبا مويهبة، قد اخترت لقاء ربي والجنة»، ثم استغفر لأهل البقيع ثم انصرف. فابتدأ رسول الله - ﷺ - وجعه الذي قُبض فيه».

وكان ذلك في أواخر صفر من السنة الحادية عشرة للهجرة... تتمة هذه الأحداث، وحوادث أخرى نتناولها - إن شاء الله - في العدد القابل. ■

الهوامش:

١ - ودّان: وتسمى الأبواء وهي قرية على بعد خمسة وعشرين ميلاً من الجحفة قرب المدينة المنورة.

٢ - كناية عن التأبيد.

٣ - الرحيق المختوم - صفي الدين المباركفوري - الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

٤ - المصدر السابق ص ٣٤٦.

٥ - متفق عليه. ٦ - رواه مسلم. ٧ - متفق عليه.

الوعي الإسلامي

إعداد: أحمد عثمان

تفتح ملف العمل الخيري في الكويت

كيف أصبح الخير صناعة وطنية تصدر لقارات العالم؟

امتاز أهل الكويت منذ القدم بحب الخير، والعمل من أجله والحرص على التراحم والتكافل في السراء والضراء. وقد سجل التاريخ مواقف خالدة لأهل الكويت في حبهم للخير رغم ضنك الحياة.

ومع ظهور النفط، اتسعت دائرة العمل الخيري بعد أن شملت المحتاجين داخل البلاد، انتقلت إلى الإخوة المسلمين في كل أرجاء المعمورة، لتقديم مساعدات أهل الكويت إلى الأيتام وطلاب العلم والفقراء. وانتشرت مصانع الخير الكويتية في كل دول العالم الإسلامي، ولدى الأقليات الإسلامية في الدول غير الإسلامية وراجت هذه الصناعة وأصبحت مصدر فخر واعتزاز لتقديم الدعم والتواصل مع الفقراء والمحتاجين في مشارق الأرض ومغاربها.

ومع حدوث الغزو العراقي الغاشم لأرض الخير والعطاء لم تتوقف مصانع الخير عن الإنتاج والعطاء لإيمان أهل الكويت الراسخ بعدل قضيتهم، وعودة حقوقهم، فإن ما قدموه قبل الغزو كان تصديقاً لقول رسول الله ﷺ: «صنائع المعروف تقي مصارع السوء»، وبالفعل كانت صنائع المعروف وقاية حقيقية للفرد والمجتمع والدولة، حيث البركة والطمأنينة والتوفيق في العمل والرزق وتجنب الشرور والعقبات.

والوعي الإسلامي تسلط الضوء على مسيرة العمل الخيري الكويتي من خلال هذا الملف الشهري لتأكيد دور الكويت الخيري والحضاري دون منة ولتأكيد أصالة هذا الشعب وتمسكه بالقيم الإسلامية التي نادى بها كتاب الله ورسوله ﷺ. لتحقيق العدالة والمساواة والإخاء بين المسلمين في كل مكان.

صندوق إعانة المرضى 4

في هذا العدد تطرح «الوعي الإسلامي» أسلوباً متميزاً في العمل الخيري وهذا التميز ناجم عن التخصص في مجال هذا العمل، حيث نلتقي الدكتور محمد أحمد الشرهان رئيس صندوق إعانة المرضى.

جاءت فكرة إنشاء هذا الصندوق ثمرة جهود كثيرة لإخوة أطباء شعروا بأنات الألم من مرضى حوّلهم المرض إلى عاجزين غير قادرين على العمل والكسب فاتجهوا للوقوف معهم وإعانتهم بما يتوافر لهم مما يقدمه أهل الخير والإحسان، فكان ذلك الدواء لهم والصدقة للمحسنين مصداقاً لقوله صلى الله عليه وسلم: «داووا مرضاكم بالصدقة».
ولتسليط الضوء على هذا الصندوق ضمن ملف العمل الخيري كان هذا اللقاء مع الدكتور الشرهان:

د. محمد الشرهان:

هدفنا رسم الابتسامة على ملامح الحزن المرسوم على وجوه المرضى

● د. محمد أحمد الشرهان

الفكرة والتأسيس

● كيف كانت فكرة وتأسيس صندوق إعانة المرضى؟

- يُعدُّ صندوق إعانة المرضى واحداً من أقدم المؤسسات الخيرية المتخصصة العاملة في الكويت، كويت الخير حيث تأسس العام ١٩٧٩م، عندما تداعت مجموعة من الأطباء الكويتيين المتدربين آنذاك إلى رسم الابتسامة على ملامح الحزن والألم التي كانت مرسومة على وجوه بعض المرضى بسبب أوضاعهم المالية والاجتماعية القاسية، فما كان من بعض أبناء الكويت الخيّرين - عبر أولئك الأطباء - إلا أن تقدموا لمساعدة المرضى

المحتاجين، وتدريجياً ازدادت المسؤولية فكان لابد من مظلة قانونية تجيز وتنظم هذا العمل.

أهداف الصندوق

● هل لنا أن نتعرف على أهداف الصندوق بشكل مباشر؟

- يهدف الصندوق إلى إعانة المرضى الذين أقعدهم المرض عن طلب الرزق، وكذلك مساعدة من يتطلب العلاج خارج الكويت جزئياً أو كلياً، والإسهام في نشر الوعي الصحي والعمل على مد يد العون المادي والصحي لمتضرري الكوارث خارج الكويت، وإنشاء وتجهيز المستشفيات والمراكز الصحية داخل وخارج الكويت والإسهام في المشاريع الاستثمارية لتنمية موارد الصندوق.

لجان الصندوق

● ما لجان الصندوق وأنشطته المختلفة؟

- ومن هذا المنطلق سارت مسيرة الخير المباركة بخطى ثابتة نحو العمل الإنساني من خلال لجان الصندوق المتعددة لتنفيذ أهدافه المختلفة منذ تأسيسه وحتى الآن.

ونظراً لأن طبيعة العمل في صندوق إعانة المرضى تختلف عن مثيلاتها من اللجان الخيرية الأخرى فقد تم تقسيم النشاط إلى قسمين:

القسم الأول داخل الكويت: ويمثل الشريحة الكبرى، ويتم من خلال اللجان الأربع التنفيذية التالية: اللجنة الطبية، واللجنة النسائية، واللجنة الإعلامية، ولجنة التوعية والإرشاد.

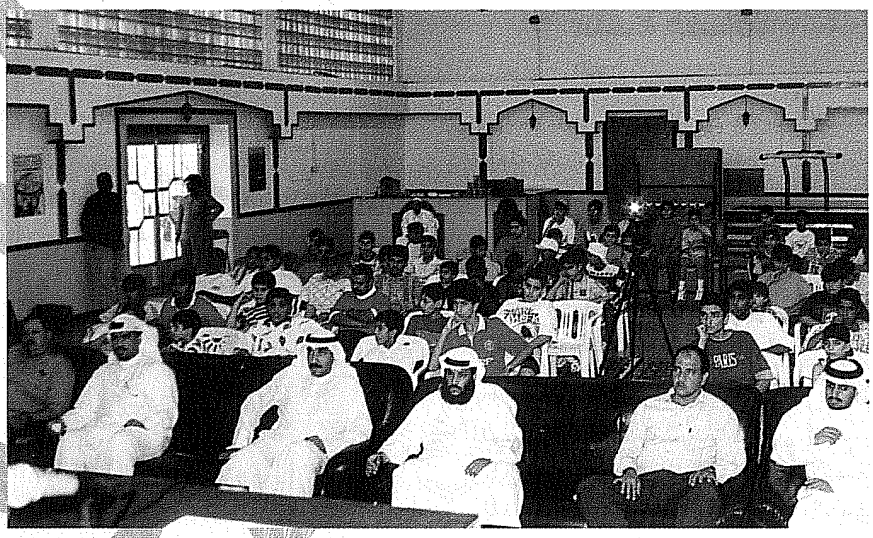

● ندوة توعية طبية أقامها الصندوق

والقسم الثاني خارج الكويت: يتم من خلال اللجنة الخارجية: حيث تباشر أعمال الإغاثة الصحية والأعمال الصحية الأخرى التي قام الصندوق بإنشائها أو الأعمال التي تكلف بها من قبل اللجنة الكويتية المشتركة للإغاثة وبعض الجمعيات واللجان الأخرى، وللصندوق مكتبان خارج الكويت أحدهما في أذربيجان والآخر في السودان.

وتعتبر اللجنة الكويتية للإغاثة من اللجان الرئيسية في الصندوق فقد تأسست العام ١٩٧٩م، أي مع بداية العمل بالصندوق ومن أهدافها:

إعانة المرضى الذين أقعدهم المرض عن طلب الرزق، ومساعدة المرضى الذين يتطلب علاجهم خارج الكويت «كلياً أو جزئياً».

- والأعمال التي قامت بها اللجنة:

هي استقبال المرضى من جميع الجنسيات وتقبّل طلباتهم على أن يكونوا مستوفين لشروط المساعدة وبخاصة شرط صلاحية الإقامة بالنسبة لغير الكويتي، وقد بلغ إجمالي المبالغ المصروفة على هذه الحالات (ثلاثمئة ألف دينار كويتي) خلال العام الماضي ١٩٩٨م، لعدد (١٥٠٠ حالة مرضية) موزعة على النحو التالي:

- مساعدة (٣٢٦) حالة مرضية بمساعدات شهرية دائمة.

- مساعدة (٣٥٠) حالة مرضية بأجهزة طبية (كراسي طبية، سماعات، عكازات، نظارات، مشايات وغيرها).

- مساعدة (٢٦٩) حالة مرضية للعلاج بالخارج.

- مساعدة (٢٥٠) حالة مرضية بمساعدات مالية مقطوعة.

- مساعدة (٨١) حالة مرضية بتذاكر سفر لمرافقة مريض أو مغادرة مريض لبلاده.

- مساعدة (٢٧٥) حالة مرضية لعمل تحاليل طبية ورسوم تفتيت حصى وأشعة وغيرها.

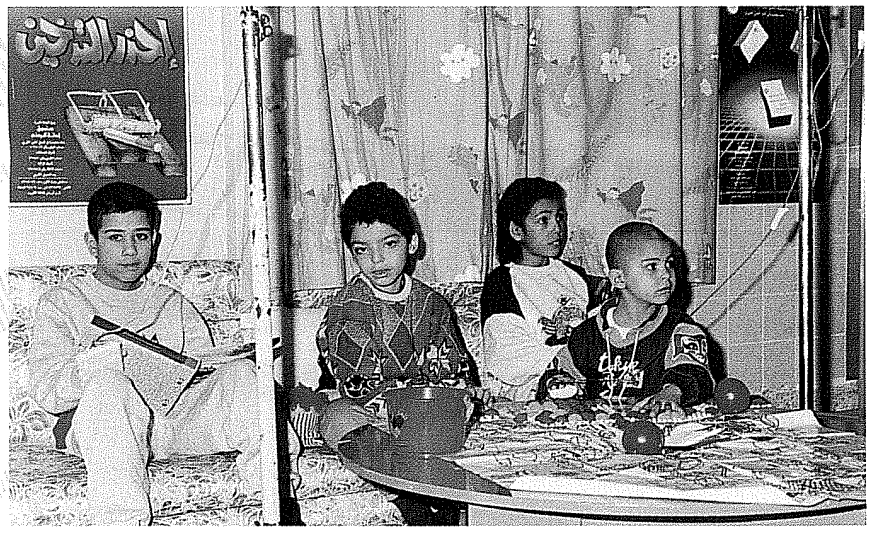

● تقديم الرعاية الصحية للأطفال

صندوق إغاثة المرضى منارة الخير الكويتية لمن أقعدهم المرض

اللجنة النسائية

وتأسست العام ١٩٨٤م على أيدي مجموعة من الطبيبات والصيدلانيات والاختصاصيات الاجتماعيات والمدرّسات ونخبة من الأخوات العاملات في المجالات الأخرى لتعملن جنباً إلى جنب مع اللجنة الطبية ولتكون مصدراً حيوياً لتحقيق أهداف الصندوق لدفع النشاط الاجتماعي للمرضى من خلال أعمال اللجنة المختلفة وتحقيق أهدافها:

الإسهام في نشر الوعي الاجتماعي بزيارة المرضى في المستشفيات ودور الرعاية والمراكز الصحية والمشاركة في الأنشطة والمناسبات المختلفة، والاهتمام والعناية بشكل خاص بالطفل المريض عن طريق إنشاء وتأسيس أندية للأطفال بالمستشفيات ووضع الأهداف والأسس الثابتة لها، وإقامة الأسواق الخيرية وأطباق الخير والمعارض. وتوثيق علاقة الصندوق بالجمعيات النسائية واللجان النسائية والخيرية المختلفة.

ومن أعمالها:

- إنشاء (١٠) أندية أطفال في المستشفيات تابعة للجنة.
- توزيع الحقيبة المدرسية على أبناء الحالات المرضية.
- مشروع حقيبة المريض وكسوة العيدين للحالات المرضية.
- مشروع هدية المحجبة وهدية المولود التوأم وغيرها.
- إقامة المسابقات والدورات التدريبية والتثقيفية الصحية النسائية لعضوات اللجنة ولنساء المنطقة وبعض نساء الجمعيات وللجان المناطق الأخرى.

كما أن للجنة أنشطة أخرى مثل توزيع القرقيعان على أجنحة الأطفال في المستشفيات في رمضان - المشاركة في المعارض وأطباق الخير والأسواق الخيرية في المدارس، وإقامة المسابقات الثقافية بالتنسيق مع اللجان الأخرى وإدارات المدارس.

اللجنة الإعلامية

تأسست العام ١٩٨٥م وذلك لتوفير الدعم الإيماني للمرضى في المستشفيات ولها نشاط مميز حيث أنشأت قسمين، الأول للوعاظ والثاني للواعظات، ومن أهدافها:

نشر الوعي الديني بين المرضى في المستشفيات من خلال قيام الواعظين والواعظات بالمرور عليهم وتعليمهم الأحكام الفقهية وآداب زيارة المريض. وعمل ندوات ومحاضرات في جميع المستشفيات الحكومية. وتوزيع المصاحف والأشرطة التربوية وغيرها من الكتيبات الدينية والهدايا على المرضى. وتقوم اللجنة بتوزيع ولصق ملصق يوضح اتجاه القبلة داخل غرف وأجنحة المستشفيات ليتمكن المرضى من الصلاة باتجاه القبلة، وكذلك تعليق البوسترات التي تعلّم المريض كيفية الطهارة في أثناء وجوده بالمستشفى، ووضع حامل

● شراء سيارات اسعاف وارسالها للدول الاسلامية الفقيرة

للمصحف في كل غرفة ليتمكن المريض من قراءة القرآن الكريم.

أعمال لجنة التوعية والإرشاد:

- توزيع المكتبات الإسلامية على المستشفيات (٣٠٠ مكتبة).

- توزيع ملصق يبين اتجاه القبلة في غرف المرضى بالمستشفيات (٣٥٠٠ ملصق).

- تركيب حامل للمصحف وعليه القرآن الكريم في غرف المرضى (٢٥٠٠ حامل)

- تنظيم المحاضرات الدينية للمرضى في المستشفيات لرفع الروح المعنوية لديهم

- توزيع بوستر يوضح كيفية الطهارة بالنسبة للمريض في غرف المرضى كما يبين كيفية الصلاة بالنسبة لهم.

● هل هناك وحدات تدريبية متخصصة أو محاضرات طبية يقوم بها الصندوق؟

- بالتأكيد هناك دورات تدريبية ومشاركات منها:

- تقديم عدد (٨) دورات إسعافات أولية بالتعاون مع مؤسسة الكويت للتقدم العلمي وبالتنسيق مع الجمعيات التعاونية في المناطق المختلفة في الكويت.

- عمل مجموعة دورات صحية تخصصية للأسرة والطفولة بالتعاون مع مؤسسة الكويت للتقدم العلمي وعددها (١٠) دورات متنوعة.

- تنظيم مجموعة من ندوات التوعية بالتنسيق مع وزارة الشؤون الاجتماعي والعمل لمناسبة يوم الطفل العربي.

- عمل دورة تدريبية تبين التشنج لدى الأطفال بالتعاون مع وزارة الصحة.

- يشارك الصندوق في المناسبات المختلفة مع الوزارات والمؤسسات بإصدار البوسترات على سبيل المثال في يوم الصحة العالمي، وأسبوع المرور وغيرها من المناسبات.

- إعداد محاضرات توعوية دينية في المستشفيات من خلال لجنة التوعية والإرشاد بقسميها الرجالي والنسائي.

- يقوم الصندوق بالتعاون مع الإدارات

● مساعدات طبية عاجلة أثناء حرب البوسنة

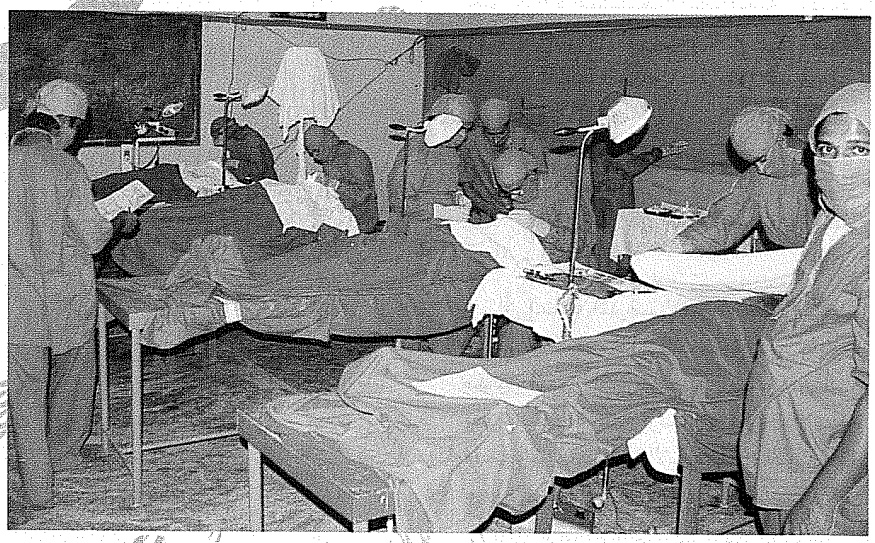

● الصندوق يقدم المساعدات للمرضى المحتاجين لاجراء عمليات جراحية

الهندسية في مجموعة من المستشفيات ببث أشرطة دينية وثقافية وفقهية من خلال الدائرة التلفازية المغلقة في أقسام الرجال والنساء والعيادات الخارجية.

شروط المساعدات

● ما الشروط التي يجب توافرها في المتقدم للحصول على مساعدات من الصندوق وبخاصة لغير الكويتيين ؟

- الشروط الواجب توافرها: شروط تنظيمية بهدف تقديم المساعدات للمحتاجين فعلاً، ومن هذه الشروط :

- يجب أن يكون المريض داخل الكويت وتكون لديه إقامة صالحة.

- يمكن مراجعة الباحث الاجتماعي في المستشفى الذي يعالج فيه المريض لعمل ملف خاص له من ملفات الصندوق ويحتوي على (تقرير طبي - تقرير اجتماعي) يستكمل من خلاله جميع مستنداته وبياناته الطبية والاجتماعية، ويتم إرساله للصندوق لاستكمال باقي الإجراءات.

- كما يجب مراجعة مقر اللجنة الطبية في مستشفى الطب الطبيعي حيث يستقبله موظف الاستقبال ويتم تقديم الملف الوارد به من المستشفى، وفي حال عدم استطاعة استكمال ملف المستشفى يتم عمل ملف عن طريق الصندوق يقدم مجموعة من المستندات الثبوتية التي تطلب من المريض صاحب الحالة، يتم بعد ذلك عمل بحث اجتماعي

للصندوق دور بارز في مد يد العون للمرضى والمناطق المنكوبة في العالم

للمريض عن طريق باحث اجتماعي من الصندوق ويعامل طلبه في غاية السرية والتحفظ.

- بالنسبة للمريض طالب العلاج بالخارج سواء أكان كويتياً أم غير كويتي عليه إحضار تقرير طبي من المستشفى الذي يعالج فيه يفيد بعدم توافر العلاج في الكويت أو يوصي بضرورة إجراء عمل جراحي بالخارج وفي هذه الحال يتم المساعدة جزئياً وليس كلياً وحسب الإمكانات المتاحة.

- بعد ذلك يتم عرض الملف الخاص بالمريض على اللجنة الطبية المشكلة من (رئيس اللجنة - مدير اللجنة - الباحثين الاجتماعيين - عضو من بيت الزكاة ومندوب عن وزارة الصحة) لدراسة البحث الاجتماعي والتقرير الطبي والمستندات المدرجة بالملف الخاص بالمريض ثم يتم إقرار المساعدة اللازمة له.

أنشطة خارج الكويت

● وماذا عن أنشطة الصندوق خارج الكويت؟

- إن إعانة المرضى من أسمى الأعمال الإنسانية، ولقد كان للصندوق دور بارز في مد يد العون للمرضى في كثير من الدول بطرق متعددة منها إرسال سيارات الإسعاف المجهزة، وحقائب الإسعافات الأولية ذات

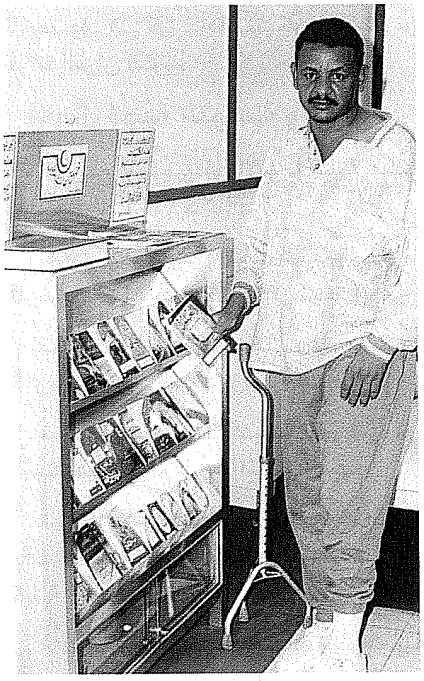

● كتب توعية صحية في المستشفيات

الإمكانات العالية، وتجهيز المستشفيات والمراكز العلمية، وتحمل رواتب الهيئة الطبية في الكثير من المستشفيات، وإرسال شحنات مختلفة من المواد الغذائية والوجبات الجاهزة للمناطق المنكوبة.

ومن المناطق التي فيها هذه الأعمال الخارجية.

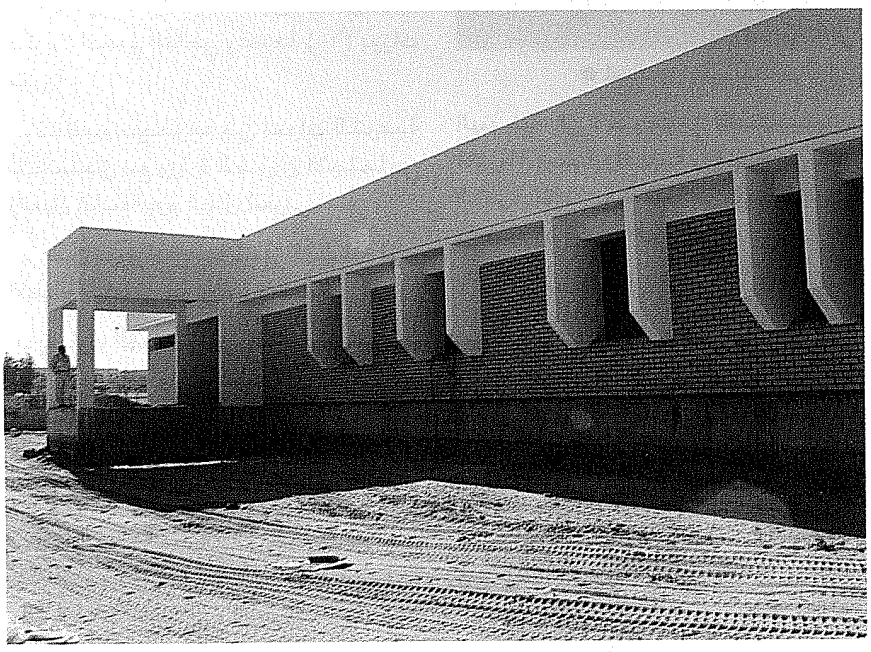

● بناء مستوصفات ومستشفيات بدعم من الصندوق

● البوسنة والهرسك:

فقد نظم الصندوق رحلات كثيرة للبوسنة والهرسك للاطلاع على الوضع الصحي وتوصيل المساعدات ومن هذه المساعدات:

- شراء ١٠ سيارات إسعاف بتكلفة ٥٥ ألف دينار كويتي.

- شراء كميات من الأدوية والمستلزمات الطبية من كرواتيا في بداية الأزمة كلفت نحو ١٠٠ ألف دولار على مرحلتين.

- إرسال حقائب إسعافات أولية متخصصة بقيمة ٤٨٠٠ دينار.

- إرسال ثلاثة آلاف عبوة من أكياس جمع الدم.

- إرسال ٢٠ حاوية تضم ما يزيد على ١٥٠ طناً من المساعدات الطبية وكراسي المعاقين والخيوط الجراحية وعشرات الآلاف من المحاليل الوريدية المعوضة للدم. تزيد قيمتها على ٧٥٠ ألف دولار حتى العام ١٩٩٥م.

- إرسال أربع حاويات أخرى في منتصف فبراير العام ١٩٩٦م فيها ثلاث عيادات للإنسان وكراس للمعاقين.

- إرسال سيارتي إسعاف وتسليمهما إلى وزارة الصحة البوسنية.

● الصومال :

قام الصندوق بإرسال شحنة من التجهيزات الطبية والكراسي المتحركة للصومال قدرت بنحو ١١ ألف دينار كويتي.

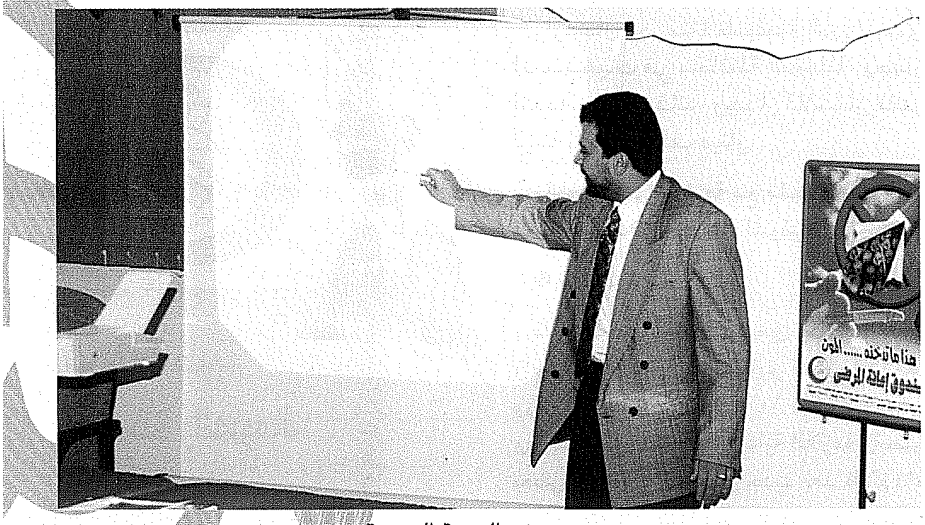

● دروس في التوعية الصحية

● باكستان :

- يشرف الصندوق على ثلاثة مراكز صحية في باكستان هي مستوصف جامعة العلوم الأثرية في مدينة جلهم وبلغت تكاليفه ١٢,٢٠٠ دينار كويتي.

- ومستوصف جامعة الفاروق الإسلامية وبلغت تكاليفه ٧,٤٥ آلاف دينار كويتي.

- ومستوصف الشيخ عبدالله النوري في إقليم بلوشستان بباكستان، ويشرف الصندوق عليه ويتحمل رواتب الهيئة الطبية سنوياً.

● لبنان :

دعم الجهات الخيرية العامة في الحقل الصحي وتحمّل رواتب الهيئة الطبية وإرسال تجهيزات طبية لمراكز صحية كثيرة هناك.

كما تم تقديم ثلاثة باصات إلى مستشفيات خيرية وتجهيزات طبية وتحمل رواتب الأطباء حيث بلغت ٨٧٧٨٠٠ ليرة لبنانية.

● مصر :

- إرسال خمسة آلاف دينار لمتضرري الزلازل.

مصروفات اللجنة الطبية خلال الفترة من ١٩٩٨/١/١م إلى ١٩٩٨/١٢/٣١م

م	بيان	المبلغ		العدد	
		ك	غ ك	ك	غ ك
١	م. إعانة دائمة	٥٢٠,٠٠٠	١٠٦٣١٠,٠٠٠	٤	٣٢٦
٢	م. إعانة مقطوعة	٢٢٠٠,٠٠٠	٢٠١٢٧,٤٨٠	٢١	١٩٨
٣	م. أجهزة طبية	٩٥٢١,٥٠٠	٢٥١٥٦,٧٥٠	٥٣	٣١٠
٤	م. حقن هرمونات	٠,٠٠٠	٦٢٣٣,٥٤٠	٠	٣٦
٥	م. تحاليل طبية	٠,٠٠٠	١٠٩٩,٩٥٠	٠	٤٨
٦	م. رسوم الأشعة	٠,٠٠٠	١٢٠٩٢,٠٠٠	٠	٢٠٥
٧	م. غسيل كلى	٠,٠٠٠	٤١٥٠,٠٠٠	٠	١٣
٨	م. علاج بالخارج وتذاكر سفر	٧٢٧٧٥,٤٨٠	٤١٥٦٩,٣٦٦	١٣٢	٢٥
	المجموع	٨٥٠١٦,٩٨٠	٢١٦٧٣٩,٠٨٦	٢١٠	١١٦١
	إجمالي الانفاقات		٣٠١٧٥٦,٠٦٦		
	عدد الحالات		١٣٧١		

شاحنات طبية للبوسنة والصومال ومصر ولبنان وبنغلاديش والشيشان والهند وسنغافورة ونيبال وأذربيجان

- إرسال أجهزة طبية إلى إحدى المستشفيات في محافظة الدقهلية، وجهاز أشعة مع ملحقاته، وجهاز للأسنان تقدر قيمته بنحو ١٥ ألف دينار.

- إرسال جهاز أشعة مع ملحقاته إلى أحد المستشفيات في محافظة المنوفية.

● بنغلاديش:

قام الصندوق بدعم مخيمين لمكافحة العمى وأمراض العيون في يناير العام ١٩٩٥م، وزار المخيمين قرابة ١٠ آلاف مريض ومريضة نال جميعهم الرعاية اللازمة وأبصر بعض المرضى النور من جديد بعد ظلام دام سنين طويلة، كما تبرع الصندوق بمبلغ ٢٠٠٠ دينار لصالح متضرري الفيضانات العام ١٩٩٥م.

● الشيشان:

- قام الصندوق بإرسال شحنتين من الأدوية الطبية للمهاجرين الشيشان في جمهورية داغستان.

- كما استقبل مكتب صندوق إعانة المرضى في أذربيجان ١٢ حاوية محمّلة بالأدوية والملابس والمواد الغذائية للمهاجرين الشيشان.

● الهند:

شراء جهاز أشعة مع كامل ملحقاته إلى مستشفى مركز مولانا ازاد الطبي في بومباي تكلف ٥ آلاف دولار.

وشراء تجهيزات مختبر طبي لمستوصف جامعة ابن تيمية في الهند.

● البحرين:

تم إرسال منظار طبي تقدر قيمته بنحو ١٦ ألف دينار إلى جمعية التربية الإسلامية في البحرين.

● سنغافورة:

قام الصندوق بدعم مستشفى الرجاء في سنغافورة بمبلغ ألفي دينار كويتي.

● نيبال:

تم شراء كمية من الأدوية لعيادة مدرسة خديجة الكبرى للبنات في نيبال.

● أذربيجان:

أرسل الصندوق أول شحنة من المساعدات الطبية الأذربيجانية في أوائل العالم ١٩٩٤م.

وتم إرسال الشحنة الثانية من الأدوية والإسعافات الأولية تكفي منطقة فيها مئة ألف شخص.

أما الشحنة الثالثة فتحتوي على سيارتي إسعاف وكميات من الأجهزة الطبية وآلاف القطع من الآلات الجراحية والمستهلكات الطبية واحتياجات الإسعافات الأولية والكثير

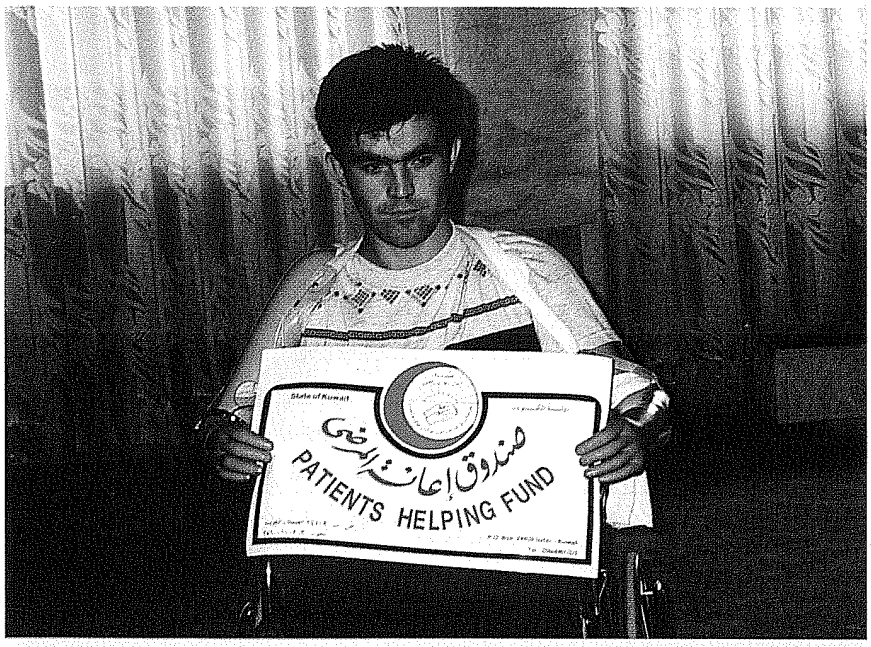

● أجهزة طبية للمعاقين

● سيارات اسعاف وصناديق أدوية للمناطق المنكوبة في كل أرجاء العالم

من الأصناف والمستلزمات الطبية تصل قيمتها إلى ٧٠ ألف دينار.

وكان في استقبال ـ هذه الشحنة التي حملت على طائرة ـ عدد من المسؤولين في أذربيجان حيث عمتهم الفرحة والسعادة.

وقد تم تسجيل صندوق إعانة المرضى الكويتي كمؤسسة طبية إنسانية في أذربيجان، وأصبح لها الحق في إنشاء وتجهيز المشاريع الطبية الخيرية.

أما الشحنة الرابعة فكانت لانتشار وباء الكوليرا وتم شراء ١٦ طناً من المحاليل الوريدية وأضيف إليها طنان ونصف الطن من حليب وأدوية الأطفال.

إضافة إلى سيارتي إسعاف تبرعت بهما جمعية الهلال الكويتي، وصلت طائرة الشحن إلى العاصمة باكو في ١٩٩٤/٨/٢٠م، وقدرت الشحنة بخمسة وعشرين ألف دينار.

الشحنة الخامسة: كانت أدوية لمعالجة الملاريا إضافة إلى ١٠٠ ألف حقنة من المضادات الحيوية.

الشحنة السادسة في ١٩٩٥/٨/٣م حيث حمّلت طائرة قرابة ٤٠ طناً من المساعدات الطبية وأجهزة أشعة وتجهيزات مختبر للتحاليل الطبية ومجموعة عيادات أسنان.

الشحنة السابعة: في ١٩٩٦/٢/١٤م حيث أرسل الصندوق حاوية فيها ٨ أطنان من المساعدات الطبية المختلفة.

كما قام الصندوق بتقديم معونات طبية كبيرة من خلال اللجنة الكويتية المشتركة للإغاثة إلى كل من الصومال وبنغلاديش وبورما والبوسنة والهرسك والسودان.

وضمت هذه المساعدات الكثير من القوارب والأدوية وحليب الأطفال ووجبات غذائية وأفلام أشعة وغير ذلك من المساعدات.

تعاون الصندوق والجهات الحكومية

● كيف ترى تعاون الجهات الحكومية مع الصندوق؟

ـ التعاون مع الصندوق كبير للغاية وبخاصة مع وزارة الصحة، حيث إن الصندوق يعتبر نفسه امتداداً لعمل وزارة الصحة في نشر الوعي الصحي، كما يتلقى الصندوق تسهيلات كبيرة من الوزارة، وفي

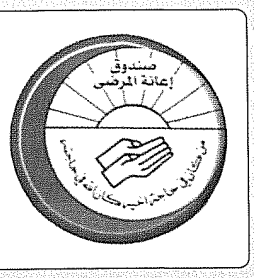

نتعاون مع وزارة الصحة وتم إنشاء مستوصف القصر بتكلفة مليون دينار كويتي

المقابل يقوم الصندوق بتبرعات ومساعدات لبعض مرافق وزارة الصحة، مثل مستوصف القصر في محافظة الجهراء، ونأمل الانتهاء منه خلال الشهرين المقبلين وقد كلف مليون دينار كويتي.

● كيف هي صور التعاون مع الجهات الحكومية؟

- إن تعاوننا مع المسؤولين يتم مع مختلف الجهات الحكومية. كما أن للصندوق مكاتب خارجية معترف بها في كل من أذربيجان والسودان. أما باقي الدول فتعمل من خلال مكاتب اللجنة الكويتية المشتركة للإغاثة مع وزارة الصحة في بنغلاديش والشيشان وأذربيجان والبوسنة.

مصادر الإنفاق

● ما مصادر الإنفاق؟

- مصادر الإنفاق تقسم إلى أقسام عدة، منها المشروعات التي تدر على الصندوق أرباحاً معينة مثل محلات الزهور المنتشرة في المستشفيات، حيث نأخذ من ريعها أو نسبة ضئيلة من التبرعات من إسهامات الإخوة المتبرعين.

● وماذا عن ردود فعل شعوب تلك الدول وحكوماتها ؟

- ردود الفعل تدعو للفخر والاعتزاز فحكومات وشعوب تلك الدول يتمنون للكويت وأهلها وحكومتها الخير وعلى أي حال فإن الأهالي هناك لا يتذكرون اسم الصندوق أو اللجنة، بل يتذكرون فقط اسم الكويت وبخاصة حكومة وشعب الكويت، ونلمس على الدوام شكر وتقدير المسؤولين في تلك الدول.

الغزو العراقي الغاشم

● وماذا عن نشاط الصندوق خلال فترة الغزو العراقي الغاشم؟

- رغم الغزو على كويتنا الحبيبة فإن مسيرة الخير لم تتوقف، وكان للصندوق نشاط بارز حيث قام بالأعمال التالية:

- تم نقل جميع التجهيزات المهمة الخاصة بالصندوق من مقره في مستشفى مبارك إلى مقره في القادسية.

- بيع وتوزيع المواد الغذائية إلى الهيئة الطبية لتعزيز صمود العاملين في المستشفى.

- إعداد وجبات غذائية للأطباء العاملين في مستشفى مبارك في أثناء عملهم.

- إعداد عيادات لمعالجة أفراد المقاومة الكويتية.

- إمداد بعض الصيدليات والمستوصفات بما جمع من أدوية وتجهيزات طبية لدعم خدماتهم الصحية وتقديمها للمواطنين.

- تموين إدارة الطوارئ الطبية لدعم صمود المسعفين.

ولا نستثني الدور الكبير والبارز الذي لعبه الدكتور هشام العبيدان - رحمه الله - حيث كان من أعضاء مجلس إدارة الصندوق وكان من الصامدين.

● ما ردكم على الافتراءات والأكاذيب التي تُقال عن العمل الخيري الكويتي؟

الشرهان في سطور

الدكتور محمد أحمد الشرهان

- **خريج في كلية الطب بالإسكندرية العام ١٩٧٨م.**
- **حاصل على الماجستير في إدارة الخدمات الصحية من جامعة جوتنر هوبكنز العام ١٩٨٢م.**
- **يعمل حالياً مديراً لإدارة الطوارئ الطبية في وزارة الصحة.**
- **رئيس صندوق إعانة المرضى وأحد مؤسسي الصندوق منذ العام ١٩٧٩م.**

● مساعدات طبية إلى أذربيجان

- يكفينا فخراً أن قيادات البلد وكبار المسؤولين يعلمون علم اليقين أن المؤسسات الخيرية في الكويت عملها خيري بحت ولا علاقة لها من قريب أو بعيد بهذه الافتراءات وهذا ما أوضحه كبار المسؤولين في أكثر من مجال.

إنجازات العام الماضي

● ما إنجازات الصندوق في العام الماضي؟

- إنجازات الصندوق من خلال الفترة من (١٩٩٧/٧/١م - ١٩٩٨/١٠/٣٠م) داخل الكويت

- مساعدة (٢٤٠) حالة مرضية بمساعدات شهرية دائمة.

- مساعدة (٣٥٠) حالة مرضية بأجهزة طبية (كراس طبية، سماعات، عكازات، نظارات، مشايات).

- مساعدة (٢٣٠) حالة مرضية للعلاج بالخارج.

- مساعدة (٢٥٠) حالة مرضية مساعدات مالية مقطوعة.

- مساعدة (٨١) حالة مرضية بتذاكر سفر لمرافقة مريض أو لمغادرة مريض لبلاده.

- مساعدة (٢٧٥) حالة مرضية لعمل تحاليل طبية ورسوم تفتيت حصى وأشعة وغيرها.

وقد بلغ إجمالي المبالغ المصروفة على هذه الحالات (مئتي وثمانية وسبعين ألف دينار كويتي) خلال الفترة المذكورة أعلاه، لما يقارب من (١٥٠٠ حال مرضية).

واللجنة النسائية قامت بالتالي:

- الإشراف على (٩) أندية أطفال في المستشفيات، ووزعت عدد (٣٥٠) حقيبة مدرسية على أبناء الحالات المرضية ووزعت أيضاً عدداً مماثلاً على المرضى بالمستشفيات، كما وزعت كسوة العيدين إضافة لهدية المحجبة وهدية المولود وغيرها.

واللجنة الإعلامية قامت بالتالي:

- أشرفت على (١٠) نشرات صحية ليصبح العدد (٦١) نشرة وكتيباً، حدثت (٩) نشرات وأصدرت (١٠) بوسترات وبورشوراً ليصبح العدد (٤٠) بوسترا لنشر الوعي الصحي، كما أقامت عدداً من الدورات التدريبية بين ٢٠ - ٢٥ دورة في موضوعات مختلفة بالتعاون مع الجمعيات التعاونية، عملت مسابقات مختلفة.

وأما لجنة التوعية والإرشدا فقامت بالتالي:

- وزعت (٢٥٠٠) حامل مصحف و (٣٥٠٠) ملصق ليبين اتجاه القبلة و (٣٠٠) مكتبة إسلامية على المستشفيات لنشر الوعي الديني، وتخفيف المعاناة عن المرضى.

● خارج الكويت:

وعلى الصعيد الخارجي قامت اللجنة الخارجية التي تباشر أعمال الإغاثة الصحية، والأعمال الصحية الأخرى التي يقوم الصندوق بإنشائها أو الأعمال التي تكلف بها من قبل اللجنة الكويتية المشتركة للإغاثة وبعض الجمعيات واللجان الأخرى بالتالي:

- إرسال (٢٢ طناً) أدوية ومساعدات للبوسنة والهرسك.

- إرسال (٥٠ طناً) تجهيزات طبية للمستشفيات وعدد (١٥) حاضنة أطفال مساعدات للشيشان.

- إرسال (٣٥) طناً أدوية ومواد غذائية مساعدات لأذربيجان.

- إرسال (٣ حاويات) أدوية وأجهزة طبية وإغاثية لأفريقيا.

- إرسال (٦ شاحنات) أدوية وأجهزة طبية إلى لبنان.

- الإسهام في أعمال مكافحة الدرن في الشيشان.

- وسيتم إرسال أجهزة غسيل كلى إلى بنغلاديش.

- مشروع مكافحة العمى في الدول الإسلامية. ■

بقلم : أ.د. محمد الدسوقي

أسهمت الأوقاف الإسلامية اسهاما كبيرا في دعم مسيرة الدعوة الإسلامية لإيصالها إلى جميع شعوب الأرض، وفي مقدم هذه الأوقاف الوقف على المساجد والوقف على أعمال الجهاد، والوقف على اهتداء غير المسلمين، والوقف على مقاومة الغزو العسكري والفكري والتنصيري التي تعرض لها العالم الإسلامي في العصور المتأخرة، وفي الحلقة الماضية تحدثنا عن دور الوقف على المساجد عامة، وفي هذه الحلقة نستكمل دور الوقف في أعمال الجهاد ورد الغزو الخارجي واهتداء غير المسلمين إلى الإسلام.

دور الوقف في تنمية العمل في مجال الدعوة الإسلامية 2/2

الوقف والجهاد

وإذا كان الوقف على المساجد قد غذّى الدعوة الإسلامية برجال يفقهون أحكام دينهم وتعاليمه ويجاهدون في سبيل نشرها وتبليغها، فإن الوقف من ناحية أخرى كان له دوره في حماية هذه الدعوة ودفع غارات المعتدين عليها، وذلك عن طريق تلك المؤسسات الوقفية الخاصة بالمرابطين في سبيل الله، يجد فيها المجاهدون كل ما يحتاجون إليه من سلاح، وذخيرة وطعام وشراب، وكان لها أثر كبير في صد غزوات الروم أيام العباسيين، وصد غزوات الغربيين أيام الحروب الصليبية عن بلاد الشام ومصر.(٣٠)

يقول ابن حوقل عن طرسوس على حدود المسلمين مع دولة الروم: «ورأيت غير عاقل مميز، وسيد حصيف مبرز، يشار إليه بالدراسة والفهم، واليقظة والعلم، يذكر أن بها مئة ألف فارس، وكان ذلك عن قريب عهد من الأيام التي أدركتها وشاهدتها، وكان السبب في ذلك أنه ليس من مدينة عظيمة من حدسجستان وكرمان وفارس وخوزستان والجبال وطبرستان والجزيرة وأذربيجان والعراق والحجاز واليمن والشامات ومصر والمغرب إلا بها لأهلها دار ينزلها غزاة تلك البلدة ويرابطون بها إذا ورودوها، وتكثر لديهم الصلات وترد عليهم الأموال والصدقات العظيمة الجسيمة إلى ما كان السلاطين يتكلفونه، وأرباب النعم يعانونه، وينفقونه متطوعين متبرعين، ولم يكن في ناحية ذكرتها رئيس ولا نفيس إلا وله عليه وقف من ضيعة ذات مزارع وغلات، أو سقف من فنادق».(٣١)

إن المسلم يؤمن إيماناً جازماً بأن الجهاد ماض إلى يوم القيامة، وأن عليه أن يجاهد بما يقدر عليه، وبهذا كان وقف الأموال على حماية الثغور وإعداد القوة التي ترهب أعداء الله وأعداء الحياة جهاداً في سبيل الله، لقد كثرت الأموال المحبوسة على المجاهدين، والمرابطين، وكانت هذه الأموال خط دفاع راسخ الدعائم عن الدعوة الخاتمة، وكان كل من لايجد لديه ما يحمل عليه يهرع إلى هذه الأوقاف فيتزود منها بسلاحه وطعامه، ويتخذ للجهاد أهبته، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله.

وقد ترتب على تلك الأوقاف الخاصة بالمرابطين رواج الصناعة الحربية وقيام المصانع الكبيرة لها في أكثر من مكان في الديار الإسلامية، حتى كان الغربيون في الحروب الصليبية يفدون إلى بلادنا - في أيام الهدنة بيننا وبينهم - ليشتروا منا السلاح وكان العلماء يفتون بتحرم بيعه للأعداء.(٣٢)

إن الأوقاف التي حبست على المجاهدين يسّرت لكل مناضل ومدافع عن الحق والخير أن يبيع حياته في سبيل الله ليشتري بها جنة عرضها السموات والأرض.

وإذا كانت بعض البلاد الإسلامية في العصر الحاضر تقيم أحياناً أسبوعاً للتسلح تجمع فيه التبرعات والهبات لتقوية الجيش وتسليحه فإنها ما كانت في حاجة إلى إقامة هذا الأسبوع، لو كان الوعي بأهمية الوقف كما كان في الماضي، إن ضعف هذا الوعي حرم الأمة من ثروات ضخمة كان الناس يسارعون إليها ابتغاء رضوان الله، وهذه الثروات الموقوفة كان يمكن للأمة أن تنشئ بها المصانع الحربية التي تزود الجيوش بالسلاح والعتاد والتي تجعلنا في غنى عن شراء السلاح من دول وأمم تفرض علينا ما تشاء من الشروط والقيود التي تنال من كرامتنا واستقلالنا حتى تبيع لنا ما نحمي به ديارنا ونمنع أعداءنا.

دور الوقف في اهتداء غير المسلمين

لم يقتصر دور الوقف في مجال الدعوة الإسلامية على بناء المساجد، وحماية الدين من المعتدين وإنما كان له دوره في اهتداء غير المسلمين، فقد خصصت أوقاف كثيرة لهؤلاء الذين ارتضوا الإسلام ديناً، وكانت عوناً لهم على تثبيت إيمانهم وتأليف قلوبهم ومن ذلك ما ورد في السجلات الشرعية لمدينة بورصة التركية، فقد جاء فيها، أن بعض الواقفين قد خصصوا صندوقاً للمهتدين من إيرادات الأوقاف، وأن الوقفية التي تعزى للأمير السلجوقي «شمس الدين التون آبا» الذي عاش في القرن الثامن عشر الميلادي، كان من شروطها: «أنّ من اهتدى من غير المسلمين من الغرباء وأهل هذه الديار وترك دينه الباطل يصرف لطعامه وملابسه وأحذيته وختانه ولتعليمه قدراً من القرآن تصح به الصلاة خُمْس أسهم الخان المختص بمقام الدباغين الموسوم بالحديقة الجديدة المحتوي على ثمانية عشر مسكناً وعلواً الكائن بربض قصر مدينة قونية في محلة تعرف بالميداني».

وجاء في وقفية سجلت قبل وقفية ا لأمير شمس الدين بنحو ثلاثمئة عام وهي وقفية الحاج عوض الذي كان وزيراً في عصر مراد الثاني: «ويجمع كل يوم درهمان لمن يحتاج إلى مصلحته ممن يتمسك بعروة الإيمان خارجاً من وادي الكفر والطغيان ويختار الهداية على الضلالة والعصيان».

وفي وثيقة وقفية سجلت بتاريخ ١٨ ربيع الأول سنة ٨٩٦هـ نص فيها على ما يلي: سبب تحرير هذه الوثيقة هو أنه أسلم الكافر المسمى بإسماعيل من حي المرحوم الشيخ حاجي خليفة، وأعطي مئة «أقجة»(٣٣) من الأقجهات المخصصة للمهتدين بطلب من القاضي، وبيد المتولي محمد بن أفلاطون.

وفي قيد مكتوب بعد هذه الوثيقة بسنتين، منذ أن كان سهيل آغا متولياً أعطى خمسين أقجة للمهتدي الذي أرسل مع المحضر من قبل القاضي الكبير، وكذلك أعطي مهتدٍ ستين أقجة المرسل مع المحضر بالي من قبل القاضي.(٣٤)

وتدل سجلات الوقف على أن شروط الواقف في إعطاء المهتدين من إيراد الوقف ما يحتاجون إليه من طعام وثياب ظل معمولاً بها نحو خمسة قرون، وكان المهتدي يأتي إلى المحكمة الشرعية إما منفرداً، وإما مع من يعرفه، وإما مع من هداه إلى الإسلام، والقاضي كان يرسل المهتدي مع المحضر إلى متولي الوقف ليضمن إعطاء المال، وكان ما يعطى للمهتدين يتفاوت بتفاوت ظروف كل مهتد، ومدى حاجته إلى المال.

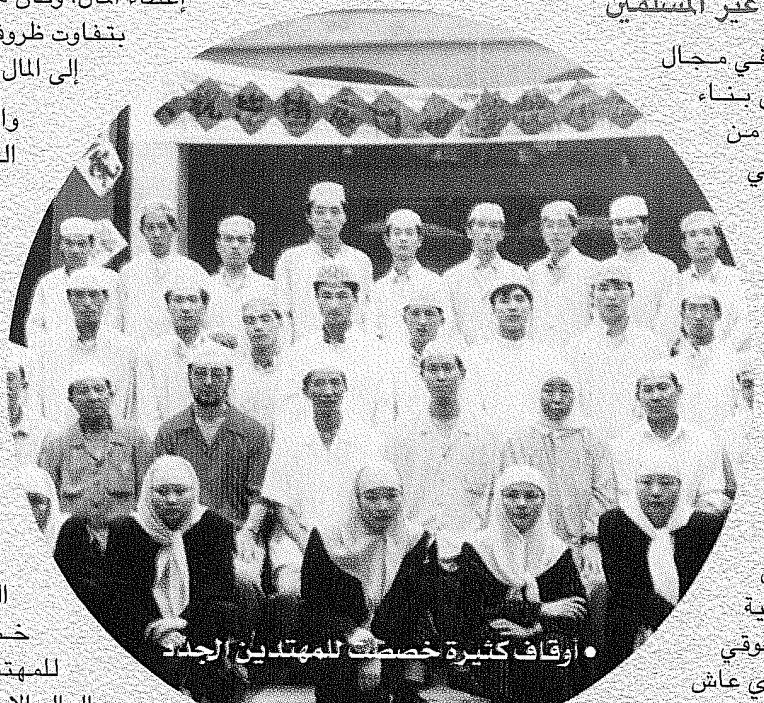

• أوقاف كثيرة خصصت للمهتدين الجدد

والذي لا ريب فيه أن شروط الواقفين الخاصة بمساعدة المهتدين كانت سبباً من أسباب دعمهم، واستقرار حياتهم، كما أنها كانت عاملاً مشجعاً للذين يريدون أن يؤمنوا بهذا الدين، وبذلك كفلت الأوقاف تنمية الدعوة الإسلامية في مجال اهتداء غير المسلمين، وهو مجال له أهميته في العمل الدعوي، ولم تكن الأوقاف العثمانية وحدهما هي التي خصصت بعض إيراداتها للمهتدين، وإنما كانت الأوقاف في العالم الإسلامي كله ترعى هؤلاء الذين آمنوا بالإسلام، وإن كان للأوقاف العثمانية وبخاصة في مدينة بورصة التركية دور الريادة في هذا.(٣٥)

الوقف والغزو الخارجي

حين تحركت جيوش الغرب لاحتلال العالم الإسلامي وهو احتلال لم يكن يتغيا سلب ثروات هذا العالم وجعله سوقاً يستهلك ما ينتجه الغرب فحسب، وإنما كان يتغيا من احتلاله للعالم الإسلامي القضاء على الروح التي جعلت من الحفاة العراة قوة غالبة، قضت على أكبر إمبراطوريتين في العالم، وقت ظهور الإسلام، حين تحركت تلك الجيوش في هجمتها الآثمة والهمجية على العالم الإسلامي، تصدى الوقف للمخططات الاستعمارية الباغية على الرغم من أن هذه المخططات استولت على كثير من أموال الوقف وأنفقتها في غير ما خصصت لها، لقد كان للأموال الموقوفة أثرها ودورها في المحافظة

على إبقاء جذوة الإسلام متقدة وفي المحافظة على قيم الدين وفي حماية المجتمع الإسلامي من سياسة التبشير والتنصير، وإن أصاب هذا المجتمع من جراء هذه السياسة ما أصابه من الثنائية الفكرية التي جلب على الأمة بعض المشكلات وكان في مقدمها تفاوت الآراء واختلافها حول التطبيق الكامل للشريعة الغراء.

إن احتلال الغرب للعالم الإسلامي بدأ التخطيط له بعد هزيمة الصليبيين وطردهم من ديار الإسلام بعد أن عاثوا فيها نحو مئتي عام، فقد أدرك الغرب من خلال حروبه الصليبية أن المسلمين يتفوقون عليهم فكرياً وحضارياً واقتصادياً، وكان النصر العسكري الذي أحرزه المسلمون في هذه الحروب تتراءى صورته في مخيلة الأوروبيين ولا سيما الحكام القادة فتنزعج خواطرهم وتبعث في نفوسهم روح التوجس والخوف من أن تفاجئهم الجيوش الإسلامية وتغزوهم في عقر دارهم، وأذكى هذا الشعور بالمعاداة والقلق موقف الكنيسة من حركة الفتوحات الإسلامية.

وإذا كانت أوروبا قد خططت لانحسار المد الإسلامي في شبه جزيرة أسبانيا فقد أزعجها المد الإسلامي الجديد في شرق أوروبا وبخاصة بعد أن فتح الأتراك مناطق البلقان وحاصروا فيينا.

لذلك أخذت أوروبا توجه اهتمامها لمقاومة الإسلام واحتلال دياره، وكان الاستشراق والتبشير من أمضى أسلحة الاستعمار الغربي للعالم الإسلامي، لقد مهدا لهذا الاستعمار وكانا عوناً له في رسم سياسته وقاما إلى جانب هذا بتشويه الإسلام عن طريق الطعن في مبادئه وتعاليمه، وتشويه المسلمين بتصويرهم على نحو ينفّر منهم ويسيء إليهم، كما حاولا وبخاصة التبشير تنصير المسلمين.(٣٦)

وساعدت الظروف التي مر بها العالم الإسلامي، وقضت عليه بالتخلف والضعف أوروبا على أن تبسط سلطانها على هذا العالم، وتقاسم الغربيون بلاد المسلمين، ولم يدعوا قطراً دون احتلاله أو الهيمنة عليه.

وأخذ الاستعمار بعد أن أحكم قبضته العسكرية على الشعوب الإسلامية يطبق سياسة خبيثة حاقدة تريد للوجود الإسلامي أن يتوارى أو على الأقل تذهب أصالته وهيبته ويصبح تابعاً للوجود النصراني.

إن المسلمين في الهند كانت لهم القيادة فلما احتل الإنكليز هذا القطر عملوا على إقصاء المسلمين عن مراكز القوة وساعدوا الهندوس على أن تكون لهم الكلمة العليا، ولم يكتفوا بذلك بل نهبوا أموال الأوقاف التي كانت مخصصة للمدارس وتعليم أبناء المسلمين وأبعدوا العلماء المسلمين عن مراكز النشاط العلمي، لإضعاف هذه المراكز من جهة، ولإخضاع هؤلاء العلماء لسياسة المحتل الرامية لإضعاف المسلمين والسيطرة عليهم من جهة أخرى.

وعلى الرغم مما بذله الاستعمار الإنكليزي من جهود للنيل من الإسلام والمسلمين ظلت جذوة الإسلام مشتعلة وظل تماسك المسلمين قوياً، وذلك بفضل الأموال الموقوفة التي سلمت من الاغتصاب والسرقة، فهذه الأموال أتاحت لرجال التعليم في المعاهد الإسلامية فرصة الاستمرار في أداء رسالتها التربوية والحفاظ على الهوية الإسلامية، وبقاء الإسلام في الهند، وإن مكث الاستعمار به قروناً عدة، سعى فيها بمختلف الوسائل للقضاء على الإسلام والمسلمين.

وكانت الكنيسة في ظل الاحتلال الغربي للعالم الإسلامي قد نشطت لتنصير المسلمين، وجندت لذلك الاف المبشرين ووضعت تحت أيديهم كل ما ييسر لهم القيام بمهمتهم.

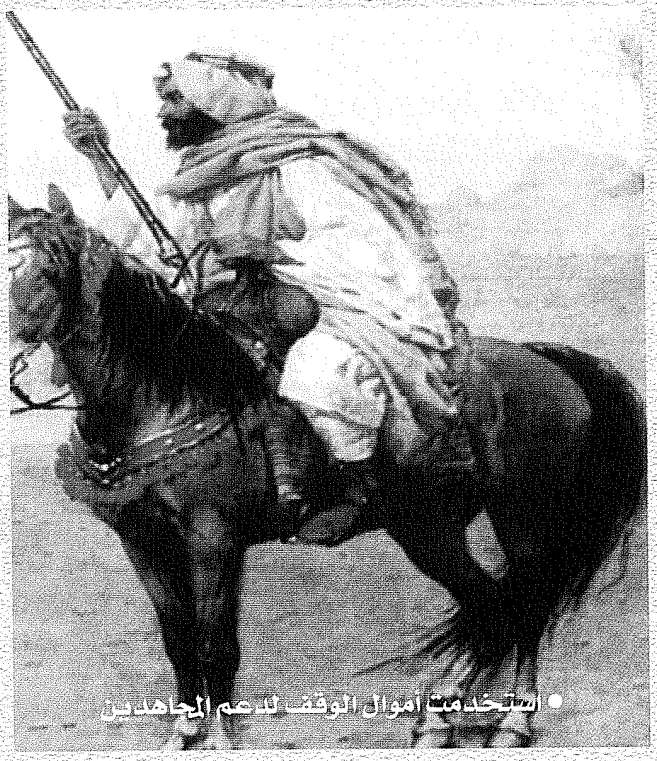

● استخدمت أموال الوقف لدعم المجاهدين

ولكن الوقف حال بين هؤلاء المبشرين وتنصير المسلمين، لأنه كان المورد لكل الزوايا والتكايا والمدارس والمساجد التي لم تخل مدينة أو قرية منها في العالم الإسلامي، وقد تخرج فيها عشرات الآلاف من العلماء والدارسين، وكان هؤلاء قوة فكرية إسلامية تصدّت لمحاولات الاستعمار والكنيسة، وحفظت على الأمة عقيدتها وهويتها، وإن تركت هذه المحاولات بعض الآثار السيئة في مفاهيم كثير من المسلمين ولا سيما هؤلاء الذين تربوا وفق النظام التعليمي الذي وضع أسسه الفكر الغربي.

وكانت فرنسا في المغرب العربي تخطط لجعل هذا المغرب قطعة منها لغة وعادات وأسلوب حياة، وإن حجبت عنه العلوم النافعة، ليظل خاضعاً لها، وكادت تنجح فيما خططت له، غير أن أموال الأوقاف التي سلمت من الاستيلاء عليها قد غذت الكتاتيب في البوادي والقرى، وحوّلت المساجد والخيام إلى مدارس لتعليم لغة القرآن وعلوم الدين، وأنشأت أجيالاً فقهت مسؤوليتها نحو دينها ووطنها فتمردت على سياسة التغريب والتنصير، وأعلنت الجهاد المقدس، وبذلت ما بذلت من الأموال والأنفس حتى طردت فرنسا من المغرب، وإن ظل للتخطيط الاستعماري الفرنسي بصماته التي أورثت المسلمين في المغرب ألواناً من الصراع حول تطبيق الشريعة والالتزام بكل أحكامها، وستعلو كلمة الحق في النهاية مهما يكن للباطل من صولة وجولة (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون)(٣٧).

ولما ألغى أتاتورك الخلافة وسعى جاهداً لتجريد تركيا من صبغتها الإسلامية، واضطهد العلماء، ومكّن للعلمانية في دولة كانت تمثّل بالنسبة للأمة مركز القيادة وجمع الكلمة، لما فعل هذا ظن البعض أن الإسلام في تركيا قد اضمحل تأثيره، ولكن هذا الظن لم يكن صحيحاً، ويرجع ذلك إلى أن الوقف وما كان أكثره في تركيا ولا يزال - قد أدى دوره في إبقاء جذوة الإسلام متقدة في النفوس، حية في المشاعر، لأن أمواله التي حافظت على المعالم الأثرية والخانات والزوايا والكتاتيب والمساجد حمت الأجيال الناشئة من أن تذوب في تيار العلمانية الذي تراجع أخيراً، وإن كان له أعوانه وسدنته الذين بأيديهم السلاح والقوة المادية، ولكن هذا السلاح سيفل أمام سلاح الإيمان واليقين (فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض)(٣٨).

إن الوقف في تركيا الآن يصدر مجلة شهرية باللغة التركية عن الوقف كما يصدر موسوعة إسلامية، وقد صدر من هذه الموسوعة اثنا عشر مجلداً، بالإضافة إلى ما ينفق من أموال الوقف على الفقراء وكثير من المدارس القرآنية المنتشرة في كل أنحاء تركيا.(٣٩)

وفي مصر، كانت لبريطانيا سياسة لا تختلف من حيث الغاية عن سياسة فرنسا في الغرب وإن اختلفت الوسائل أحياناً.

لقد حاول الإنكليز إضعاف اللغة العربية، وتشجيع اللغة العامية، كما فرضوا القوانين الوضعية، ونهبوا معظم أموال الأوقاف، وما تركوه منها أهمل حتى أصبح ريعه تافهاً وقاوم هذه السياسة علماء الدين وزعماء الإصلاح، وكان للأزهر بفضل موارد الأوقاف الخاصة به دوره في التصدي لتلك السياسة، لقد كان كالصخرة التي تكسرت عليها كل أمواج التغريب، لقد خرَّج أجيالاً من الدارسين لعلوم الدين، ولغة الكتاب العزيز، وهؤلاء - ومنهم كثير من الكتّاب والأدباء والعلماء - مثّلوا جبهة مضادة لإبعاد الإسلام وأحكامه عن قيادة الأمة، وإن ظل الصراع قائماً بين دعاة تطبيق الشريعة، ودعاة العلمانية كما هو شأن في كل البلاد الإسلامية بوجه عام.

وكانت سياسة بريطانيا في فلسطين تقوم على تخطيط مدارس لطرد الشعب الفلسطيني من وطنه، وإحلال العصابات الصهيونية محله، بحجة الوعد الكاذب، والأوهام الدينية التي لا أساس لها، ووقف الفلسطينيون يعارضون هذه السياسة، وقامت ثورات عدة، ضد الاحتلال الإنكليزي والصهيوني، على الرغم من الأساليب البشعة واللاإنسانية التي اتبعت في الاستيطان.(٤٠)

وقد أعان على موقف الفلسطينيين ونضالهم المشروع أموال الوقف، وبخاصة ما كان منها للمؤسسات التعليمية التي خرجت الأئمة والعلماء والمدرسين، وحمت المجتمع الفلسطيني من سياسة الإرهاب النفسي والجسدي التي كانت تهدف إلى زعزعة القيم الإسلامية في النفوس حتى يسهل قيادها، وفرض ما يشاء المستعمر من مفاهيم وقوانين.

● أموال الوقف ساهمت في صد العدوان ودحر الغزاة

وخلاصة القول

إن الوقف كان له دور بارز في تنمية العمل في مجال الدعوة الإسلامية، لقد هيأ للدعاة والمجاهدين السبيل لنشر دين الله، وتبصير الناس بأحكامه، كما هيأ لهم أسباب الجهاد المسلح ضد الطامعين والحاقدين والمتربصين، وكان له دور في حماية المهتدين والذين ارتضوا الإسلام ديناً.

وفي عصر الهجمة الاستعمارية أدى رسالته في مقاومة سياسة الغزو الفكري والتبشير التنصيري، ومن ثمَّ كان له أثره الواضح في الحفاظ على الأصالة الإسلامية، بكل خصائصها وسماتها. ■

الهوامش:

٣٠ - انظر من روائع حضارتنا ص ١٢٦.

٣١ - نقلاً عن الوقف وأثره التنموي ص ١٢٣.

٣٢ - انظر من روائع حضارتنا ص ١٢٦.

٣٣ - كلمة تركية تطلق على عملة تركية صغيرة القيمة «وانظر معجم الاقتصاد الإسلامي للدكتور أحمد الشرباصي».

٣٤ - انظر أثر الأوقاف العثمانية في اهتداء غير المسلمين للأستاذ عثمان جنين، مجلة الخيرية العدد ٧٤ محرم سنة ١٤١٧هـ ص٢٦.

٣٥ - انظر المرجع السابق.

٣٦ - انظر التبشير والاستشراق للمستشار محمد عزت الطهطاوي، ط مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة.

٣٧ - الآية: ١٨ في سورة الأنبياء.

٣٨ - الآية: ١٧ في سورة الرعد.

٣٩ - انظر مجلة الوعي الإسلامي العدد ٣٧٤، شوال ١٤١٧هـ ص ٦٠ - ٦٤، وقد أتيح لي أن أزور مدينة استانبول في صيف ١٩٩٦م، فرأيت مساجدها الكثيرة يؤمها الشباب والأطفال فضلاً عن الشيوخ، مما يبشر بخير، وأن تركيا لن تكون إلا دولة إسلامية وإن كره المبطلون.

٤٠ - انظر الوقف ودوره التنموي للدكتور علي جمعة ص ١٢٥.

بقلم : أ. د. نعمان السامرائي

الفكر ضرورة أم ترف ؟

لو أراد شخص أن يعرّف «الفكر» لأمكنه أن يقول إنه إعمال العقل في معلوم بهدف الوصول إلى مجهول، والسؤال: «هل الفكر هو العقل، أم العلم، أم الثقافة، أم هو الأحكام والمبادئ؟أم هو ذلك كله؟»

بداية هناك عالم، وهناك مفكّر.

هناك من يتبحر في فن من فنون المعرفة، لكنه لا يكون مفكّراً، وفي الوقت ذاته قد يوجد مفكّر لكنه ليس بعالم، فهل أستطيع القول إن العلم هو معرفة الجزئيات، والفكر ميدانه الكليات؟

إن من يحصر همه واشتغاله بالجزئيات، فسيكون بعيداً - إلى حد كبير - عن الكليات.

والمثل القريب الذي يحضرني الفقيه والأصولي، فرجل الفقه يجمع جزئيات كثيرة، ورجل الأصول يحيط بقواعد وضوابط كثيرة.

حين شعر الخليفة المأمون بدنو أجله، عهد بالخلافة إلى أخيه المعتصم من بعده، وليس إلى ولده إسحاق، لم يكن المعتصم ممن تعلم وتثقف كالمأمون، لذا أحاط نفسه بجماعة من العلماء ورجال السياسة يستشيرهم، وكان على رأس هؤلاء «ابن أبي الربيع» الذي كتب للمعتصم كتاب «سلوك المالك في تدبير الممالك»(١)، وكان الشخص الثاني... إسحاق إبراهيم المصعبي، وقد اختلى به المعتصم يوماً فسأله: لماذا نجح المأمون في تعامله مع أعوانه، بينما فشلت في ذلك؟، خاف المصعبي أن يغضب المعتصم إن هو صارحه بالجواب، ولذا فقد طلب أن يعفيه من ذلك. لكن المعتصم بقي متمسكاً بطلب الحصول على جواب صريح، هنا قال المصعبي: هل أجيب وأنا آمن من غضبك؟ فرد المعتصم بالإيجاب.

قال المصعبي: لقد نظر أخوك إلى أصول فاستعملها فأنجبت، واستعمل أمير المؤمنين «فروعاً» فلم تنجب شيئاً، إذ لا أصول لها.

قال المعتصم: ويلك يا إسحاق، والله إن ما أعانيه أيسر عليَّ من جوابك هذا؟!

صراحة لكنها موجعة، وهذا ما يطلب من كل مستشار. إن المستشار المصعبي يقرر أمراً مهماً لقد وضع المأمون أصولاً عامة لسياسته، فأثمرت نجاحاً، وتبنى المعتصم فروعاً من سياسته فلم تنتج شيئاً.

هذه المشورة عمرها اليوم أكثر من ألف عام، ومع ذلك مازالت سليمة جيدة، فإذا انتهت بحثت عن كلية راقية، فإذا انتهت بحثت عن وظيفة جيدة، فإذا تحققت تطلعت «لفيلا» واسعة وهكذا...

الأفكار هي «الضابط» الذي يسيّر المجتمع، وفي الوقت ذاته «المانع» من تراكم الأخطاء والصدأ، والغرب اليوم بفضل دراساته، يتخطى المصاعب، ويتجاوز العقبات، بينما يراوح غيره في مكانه، وقد يعاني من مشاكل أصغر وأقل.

الغرب يعاني من فائض زراعي وصناعي، وتخمة في رأس المال، وفي العالم الثالث دول تملك الأراضي التي تقترب مساحتها من مساحة أوروبا كلها، ولديها الأنهار واليد العاملة الرخيصة، وغير ذلك من الموارد، ومع ذلك تستجدي لقمة العيش.

في العالم الثالث تتراكم المشاكل لتلد مشاكل جديدة، ولا تجد حلاً.

بعض قضايا «معلقة» منذ أكثر من قرن، ولم تجد الحل المناسب.

والسؤال: لماذا نجح الألمان واليابانيون وغيرهم، بينما تراوح مشروعاتنا في مكانها.

وأخيراً: هل الفكر ضرورة حياتية، أم ترف ثرثرة؟

قبل الختام أود أن أقول إنه قد يعيش شعب خارج فضاء الحضارة، لكنه لا يوجد شعب ليس له فكر أو ثقافة هذه قضية... والقضية الأخرى أن الفكر أو الثقافة لا يولد بحسب رغبة فرد،

ولا بقرار سياسي من فوق، وبالمثل فإن أحداً لا ينزع ثقافته كما يخلع ملابسه أو يستبدل جنسيته أو دينه.

إن قيام ثقافة حية يتطلب عوامل متداخلة متشابكة تاريخية واجتماعية وسياسية وغيرها، ولابد - مع تلك العوامل - من ظروف مواتية، لذلك لم يعرف العالم، عبر تاريخه إلا ثقافات كبرى محدودة، والقليل منها من استطاع أن يطور وينحني في منظومته الروحية والعقلية والأخلاقية، ليدفع بثقافته إلى مستوى العالم.

ومثل هذا الكلام ينطبق على الدين، فكل دين يتطلع للعالمية يجب أن يجمع بين التشريع والعقيدة، والانفتاح على العالم، بحيث يُقبل كل من تحقيق بصمته وسلامته، فإن كان الدين عقيدة بلا شريعة مثل النصرانية أو كان موجهاً لشعب بعينه كاليهودية، فتحويله إلى دين عالمي سيكون في الشكل دون المضمون، وهكذا فالمطلوب من الثقافة كي تكون عالمية أن تكون عالمية الانفتاح على العالم أولاً والاعتراف بالثقافات الأخرى، والكف عن خنقها وتدميرها ثانياً.

وأعود للسؤال: هل الفكر والثقافة ضرورة من ضرورات الحياة، أم ترف، أم مجرد ثرثرة؟

في مجتمعنا اليوم تياران تجاه الفكر وجدواه:

الأول: تيار زاهد في الفكر، يعتقد أنه ترف، أو «ثرثرة صالونات» لا تقدم خيراً ولا تدفع شراً، وفي أحسن الأحوال تمنح صاحبها لقب «مفكر».

الثاني: تيار يعتقد أن الإصلاح يبتدئ بالأفكار، لينتهي بحل المشاكل والعقد.

عالم اليوم يموج بدراسات، في كل حقول المعرفة والصناعة، ينفق عليها الملايين، لتأتي بحلول سليمة لمشاكل شتى ويحضرني واقعة، فيوم أرسل الروس صاروخاً إلى الفضاء اهتزت الولايات المتحدة، وقامت ولم تقعد، لهذا الحدث الاستباقي وجاء القرار فوراً، يجب أولاً إعادة النظر في المناهج الدراسية، ابتداء برياض الأطفال وانتهاء بالدراسات العليا، ثم فتح البلاد لكل عالم يريد أو يرغب بالهجرة لأميركا، كل ذلك لتلافي سبق واحد ولم يمر سوى بضعة أعوام حتى أرسلت الولايات المتحدة أول مركبة فضائية، وهنا هدأت نفوس الأميركان، وعم السرور بينهم.

قضية أخرى، لقد أهلكت الحرب العالمية الثانية ملايين من البشر، ودمرت مدناً بأكملها، وتوج هذا الخراب بضرب هورشيما ونغازاكي، بقنابل نووية ولم تكن تعرفها البشرية من قبل، مما أفزع البشرية، وجعل اليابان تستسلم دون قيد أو شرط.

ومع كل ذلك فلم تمض سنوات قليلة حتى وقعت أكبر مفارقة في دنيا الحضارة، إذ تقدم المغلوب وسبق غالبه، وتقدم المهزوم وتخطى المنتصر.

والسؤال: ماذا بقي لليابان وألمانيا بعد هذه الحرب الكونية الطاحنة؟

إن عالم «الأشياء» دمر تدميراً كاملاً، وما سلم وبقي منه، سرقه المنتصرون ونهبوه، وفرضت على ألمانيا غرامات باهظة، ووضعت قيود على سياسة اليابان، وحتى على تعليمه وتسليحه.

فكيف نهض الشعبان؟ وبفضل ماذا؟

الفضل للأفكار

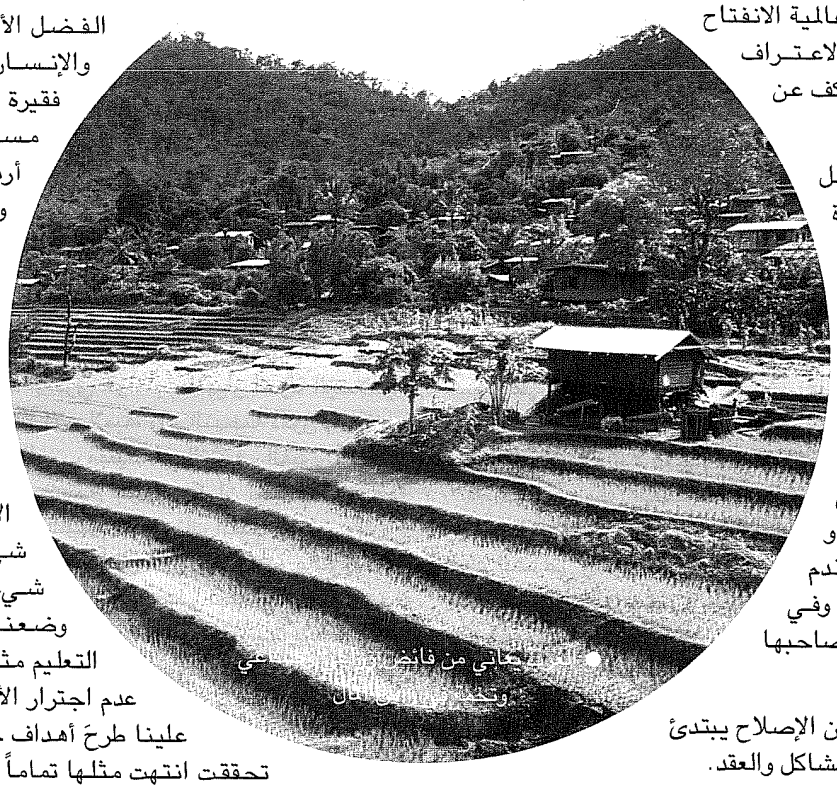

الفضل الأكبر للأفكار الجيدة، والإنسان الجاد، إن اليابان فقيرة الموارد، مساحتها بقدر مساحة العراق، وثلاثة أرباع أرضها جبلية، وعدد سكانها اليوم أكثر من (١٢٥) مليوناً من البشر، وسكان العاصمة «طوكيو» أكثر من سكان العراق.

إن مهمة الفكر إحداث تغيير نحو الأفضل، ومتى تحقق شيء، يجب التحول إلى شيء جديد، وهكذا فإذا وضعنا سياسة للتوسع في التعليم مثلاً، وحصل ذلك فعلينا عدم اجترار الأهداف القديمة بل يجب علينا طرحَ أهداف جديدة، فكل فكرة متى تحققت انتهت مثلها تماماً تطلعات الإنسان، وأنا أطمع بمدرسة مثل اليابانيين والألمانيين.

وختاماً أراني أردد مع «فرانك أنلو»(*) مقولته: «راقب أفكارك فإنها تتحول إلى كلمات، راقب كلماتك، فإنها تصبح أفعالاً، راقب أفعالك فإنها تتحول إلى عادات، راقب عاداتك فإنها تصبح طباعاً، راقب طباعك فإنها ظلال مصيرك...». ■

الهوامش:

١- وقد قام الدكتور «حامد ربيع» بتحقيقه وقدمه للحصول على شهادة الدكتوراه في العلوم السياسية، في جامعة السوربون.

*- كذا في الأصل.

بقلم : غازي التوبة

من أين ننطلق في تغيير الواقع المحيط بنا ؟

ليس من شك أن الجماعات والحركات التي استهدفت تغيير واقع المسلمين في العصر الحديث كثيرة، ولكنها اختلفت في النقطة التي يجب أن تكون بداية التغيير، وقد تعثر الكثير منها، وبالعكس جرَّ ويلات على الأمة في بعض الأحيان، ونحن سنستعرض بعضاً من هذه الحركات وسندرس النقطة التي انطلقت منها:

١ ـ حزب التحرير:

بدأ حزب التحرير نشاطه قبل نصف قرن تقريباً، وكانت النقطة التي انطلق منها هي أن الضعف الفكري هو سبب انهيار الدولة الإسلامية، وأن الفكر طريق إعادة الدولة الإسلامية، وأن النهضة تكون بالارتفاع الفكري، لذلك كانت مراحل الحزب مبنية على التثقيف الفكري. نحن لا ننكر أن الفكر الإسلامي الصحيح جزء من كيان المسلم، ليس هذا فحسب، بل جزء مهم لكنه ليس المسلم كله، فهناك القلب والنفس والروح وهي بحاجة إلى معالجة، وعندما بدأ الرسول ﷺ دعوته عالج الأفكار الخاطئة التي كانت سائدة في المجتمع الجاهلي لكنه عالج ـ في الوقت نفسه ـ القلوب والنفوس والأرواح وخلّصها من أمراضها وبناها البناء الصحيح وهو ما أغفله حزب التحرير إغفالاً تاماً مما جعل عمله الدعوي قاصراً ومتعثراً.(١)

٢ ـ جماعة المسلمين «التكفير والهجرة»:

أنشأ شكري مصطفى «جماعة المسلمين» في مطلع السبعينات وكانت الهجرة إحدى النقاط الرئيسية العملية التي أقام جماعته عليها، وأراد من فكرة الهجرة الانتقال إلى مكان آمن من أجل ترتيب صفوف جماعته وبنائها البناء السليم حتى تستطيع أن تواجه الكفر بعد ذلك وتنتصر عليه.

ولا شك أن الهجرة جزء من حركة النبي ﷺ في مكة والمدينة، فقد أمر الرسول ﷺ المسلمين بالهجرة إلى الحبشة مرتين هرباً من أذى مشركي مكة، كما ألزم المسلمين بالهجرة إلى المدينة في بداية إقامة الدولة الإسلامية، وقد وردت آيات وأحاديث عدة عن فضل الهجرة وأجر المهاجرين.

لكن الأمر الأساسي الذي يجب أن ننتبه له هو أن الهجرة جاءت في سيرة الرسول ﷺ حلاً في بعض مراحل الدعوة لبعض أحوال المسلمين، وكانت سبقتها عشرات الأحكام والتصرفات والأعمال، لذلك عندما نأتي ونبرز حكم الهجرة ونجعله منطلقاً لعمل حركي نكون قد غالينا وضخمنا حكماً شرعياً هو جزء من أحكام عدة، وهو مرتبط بأشياء قبله وليس هو البداية.

٣ ـ انطلقت بعض الجماعات من مقولة «دار الحرب ودار الإسلام»، فاعتبرت أن بلادنا بعد سقوط الخلافة العثمانية أصبحت دار حرب، وأنزلت عليها كل الأحكام الفقهية المتعلقة بدار الحرب، ونسيت هذه الجماعات أن مقولة «دار الحرب ودار الإسلام»، إنما هو حكم فقهي مستجد لمعالجة أوضاع جديدة عاشها المسلمون قبل قرون عدة لا يمكن تعميمه على كل الأماكن، وكل الأزمان، وإن اعتبار ديارنا دار حرب حكم خاطئ لأن تحديد دار الحرب مرهون بوجود دار الإسلام، والمطلوب إيجاد دار الإسلام أولاً لتتحدد دار الحرب ثانياً.

٤ ـ انطلقت بعض الجماعات من دعوى انتشار الجهل بين المسلمين وضرورة تعميم العلم الشرعي. ليس من شك بأن الإسلام حض على العلم الشرعي واعتبره فرض عين في بعض الحالات وفرض كفاية في حالات أخرى، وأجزل مثوبة طالبه، وأعلى شأن العلماء، وحض على توقيرهم، وقد كان للعلماء دور بارز في قيادة المسلمين والتأثير فيهم على مدار التاريخ الإسلامي، ولا شك أيضاً أنه كلما ازداد العلم في المسلمين ازداد الخير فيهم وابتعد الشر عنهم، لكن العلم وحده لا يكفي لإصلاح أمور المسلمين، فسيبقى هناك جاهلون، ويدل على ذلك سيرة الرسول ﷺ ، فقد كان الرسول ﷺ خير معلم لصحابته، وكان الصحابة خير متعلمين، ومع ذلك فلم يكن الصحابة جميعهم في مستوى واحد في كل العلوم، بل أحسن بعضهم علم الفرائض، وأحسن بعضهم علم الحلال والحرام، وأحسن بعضهم قراءة كتاب الله تعالى، وأحسن بعضهم القضاء، كما جاء في حديث رسول الله ﷺ : عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر وأشدهم في دين الله عمر وأصدقهم حياء عثمان وأقضاهم علي بن أبي طالب وأقرؤهم لكتاب الله أبيّ بن كعب وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل وأفرضهم زيد بن ثابت، ألا وإن لكل أمة أميناً وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح»(٢).

ومع وجود أولئك الأعلام من الصاحبة رضي الله عنهم جهل بعض الصحابة بعض المسائل، وإذا عرفنا أن هذا حال الصحابة فمن باب أولى أن يكون حال غيرهم أدنى من حالهم.

٥ ـ انطلقت بعض الحركات من تقسيم الدعوة إلى مرحلتين: مكية ومدنية، واعتبرت أننا في مرحلة مكية الآن بعد سقوط الخلافة العام ١٩٢٤م، واعتبرت ـ كذلك ـ أن علينا تطبيق الأحكام التي نزلت في المرحلة المكية وأبرزها بناء العقيدة، وأننا في حلٍّ من تطبيق الأحكام التي أنزلت في المرحلة المدنية. ليس من شك أن مثل هذا التقسيم ينطلق من فهم خاطئ للمكي والمدني، فالمكي والمدني هو أحد علوم القرآن الذي يقسّم الآيات والسور بحسب نزولها من أجل فهمها وتحديد صفاتها والاستفادة من ذلك في تفسير القرآن الكريم، ويتأكد الخطأ عندما نعلم أن مرحلة مكة لم تتنزل فيها أحكام العقيدة فحسب، بل نزلت فيها أحكام شرعية أخرى كانت أصولاً لكل الأحكام الشرعية التي نزلت في المدينة، فالمرحلتان متكاملتان، ولو أخذنا مثالاً على ذلك الزكاة والجهاد وهم تشريعان مدنيان لا جدال في ذلك، ولكن أصولهما كانت في مكة، الأول في تشريع الأمر بالصدقة والثاني في تشريع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد فصّل ذلك الشاطبي رحمه الله في كتاب «الموافقات»(٣).

وبالمقابل لم يتوقف البناء العقائدي في المرحلة المدنية فالآيات التي تتحدث عن صفات الله ورحمته وعلمه وحكمته أكثر من أن تحصى، والآيات التي تخوّف من عقاب الله ومن ناره كثيرة، والآيات التي تتحدث عن القرآن الكريم وتتحدى المشركين به وتثبت نبوة محمد ﷺ متعددة، لقد اختلفت صفات الآيات المكية عن صفات الآيات المدنية، لكن المرحلتين : المكية والمدنية متداخلتان ولا نستطيع أن نفصل بين أحكامهما، وبالعكس نجد معظم الأحكام التشريعية بدأت في مكة وتبلورت في المدينة.

٦ ـ جماعة التبليغ:

اعتبرت جماعة التبليغ الخروج سبيلاً لإصلاح النفس، لا أريد أن أناقش مصدر فكرة الخروج عند جماعة التبليغ ومدى شرعيته ومدى صحة اعتباره سبيلاً لإصلاح النفس فقد فعل ذلك غيري وفي ذلك الغُنية والكفاية، ولكني أشير إلى فكرة دعوة الآخرين وهي فكرة زكاها القرآن بقوله تعالى: (ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين) فصلت:٣٣، وقد كان الرسول ﷺ خير داعية، وكذلك كان صحابته خير دعاة، ولكن الرسول ﷺ انتقل بدعوته من مرحلة إلى أخرى، وانتقل بصحابته المدعوين من وضع إلى آخر في حين أن جماعة التبليغ تبقى في حدود الدعوة دون أن تستفيد من رصيدها التراكمي ودون أن تنتقل إلى مراحل أخرى.

والآن بعد أن فندنا بعض البدايات لبعض الجماعات الإسلامية، نتساءل: ما البداية الصحيحة؟

الانطلاق من مفهوم الأمة الإسلامية، وذلك أن الرسول ﷺ بنى هذه الأمة، وكذلك خير الأمم لقوله تعالى: (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) آل عمران:١١٠، وكانت أعدل الأمم لقوله تعالى: (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً) البقرة:١٤٣، وقد تكونت من أجناس وأعراق وشعوب وقبائل متعددة، وأنشأت ثقافة واحدة مستمدة من القرآن الكريم والسنة المشرّفة، ونشرت الإسلام في الأرض، وحافظت على القيم والمثل الإسلامية، وحمت البلاد الإسلامية من المعتدين: الصليبيين والمغول وغيرهم، ونشرت مختلف العلوم الدينية والدنيوية، وعمّرت الأرض بمختلف أنواع العمران.

لا شك أن الأمة تعرضت لأمراض متعددة أفقدتها جانباً من قوتها وحيويتها، ومرّت بمراحل مختلفة من الضعف والقوة، وهددها أعداء مختلفون، لكن الأمة الإسلامية استمرت موجودة من كل الظروف السابقة إلى مطلع القرن العشرين بكل عناصر وجودها: وحدة القيادة، وحدة الثقافة، ووحدة المرجعية المستمدة من القرآن والسنة، ووحدة العادات والتقاليد، ووحدة القيم، ووحدة الآمال والتطلعات، ووحدة التاريخ المشترك، ووحدة اللغة إلخ... وعندما ألغى كمال أتاتورك الخلافة في العام ١٩٢٤م خسرت الأمة قيادتها السياسية فقط، لكن بقيت الأمة موجودة بكل عناصرها الأخرى ومما يؤكد ذلك أن كل حركات التحرير التي تصدّت للاستعمار ومحاولات التغريب استفادت من جماهير الأمة الإسلامية في مواجهة الأعداء في كلٍّ من سورية وفلسطين والعراق ومصر وليبيا والجزائر وتونس والمغرب إلخ.

لقد غفلت كثير من الجماعات والحركات الإسلامية عن هذا الوجود الجماعي للأمة الإسلامية أو قل بصورة أدق لم تجعله بداية الانطلاق لها، لذلك تعثرت ولم تحقق أهدافها المرجوة، والسؤال الذي يرد في هذا المجال هو: ما فوائد أن نبدأ التغيير من الأمة؟ هناك فوائد عدة:

١ ـ عندما نبدأ التغيير من الأمة نكون بدأنا من واقع موضوعي محسوس هو الذي يحدد الأمور الشرعية المطلوبة لمواجهة هذا الواقع، ولا تكون أهواؤنا ولا أوهامنا هي المنطلق لتحديد المطلوب.

٢ ـ عندما نبدأ التغيير من الأمة نكون انطلقنا من رصيد جماعي ضخم فاعل موجود وليس من الصفر كما يحدث عندما نبدأ من نقطة أخرى.

٣ ـ عندما نبدأ التغير من الأمة يسهل تقويم النجاح والفشل، فمقياس النجاح هو زيادة فاعلية الأمة، وتعميق جذورها، زيادة حيويتها، والفشل هو نقيض ذلك، ويبقى الأمر الذي يجب أن تحرص عليه كل حركة هو ألا تستهلك من رصيد الأمة الذي ورثناه جميعاً، ولكن نجد بكل أسف أن فشل كثير من الحركات لا ينعكس عليها وحدها، بل ينعكس على مجموع الأمة وذلك منتهى الخسارة.

٤ ـ عندما يبدأ التغيير من الأمة فذلك يربط الجماعة المغيّرة بالأمة، ويحتضن كل منهما الآخر، وهذا ما يجعلنا نفسّر كثيراً من الأفعال العنيفة من بعض الحركات الإسلامية بأنه ناتج عن فقدان الارتباط بالأمة وبإحساس الانتماء إليها.

بعد أن عرفنا فوائد البداية من الأمة في عملية التغيير فما الخطوات المطلوبة قبل البدء بعملية التغيير؟ المطلوب خطوتان:

الأولى: توصيف دقيق وكامل لواقع الأمة يحدد أمراضها، ويحلل عناصر قوتها، ويرسم معالم ثقافتها، ويصنّف أعداءها، ويوضّح أهم العقبات التي تواجه مسيرتها، ويستجلي آفاق استعداد قوتها وحيويتها إلخ.

الثانية: تتم المزاوجة بين النظر الشرعي وبين التوصيف السابق لتحديد أوليات العلاج، وخطوات الحركة، ومراحل البناء، وقد تقتضي المزاوجة تلك أن تبدأ بنشر علم العقيدة أو بنشر السنة ومحاربة البدعة، أو بتدعيم وحدة الأمة وزيادة وعيها بأخطار الفرقة والتمزق، أو بتعميق بعض عناصر ثقافتها، أو بتوجيهها إلى خطر خارجي ماحق، أو بحضّها على المحافظة على ثروتها إلخ. ■

الهوامش :

١ ـ انظر تفصيلاً لمناقشة هذه الفكرة وغيرها عن حزب التحرير في كتابي «الفكر الإسلامي المعاصر، دراسة وتقويم» الصفحات (١٧٩ ـ ١٩٥)، الطبعة الثالثة.

٢ ـ الشيخ ناصر الدين الألباني، صحيح ابن ماجه، رقم الحديث ١٥٤.

٣ ـ انظر تفصيلاً لهذا الرأي في «الموافقات» للشاطبي، مجلد٢ ج٣، ص٣٣، وما بعدها.

بقلم : عطية فتحي الويشي

حوار الحضارات

ثمة قيمة إنسانية ومثل عليا... لا يختلف عدلان حول حتمية تأصيلها في داخلة المجتمع الإنساني برمته، فالعدل والرحمة والمساواة، والبر والقسط، واحترام حق الآخرين في حياة كريمة... من السمات الطبيعية لذلك المجتمع في وضعه المقرر، وفي سياقه المنشود... ومن ثم فقضية حوار الحضارات حول تلك المعاني: ستزيل كثيراً مما يعترض مسيرة الحوار من مطبات اصطناعية موهومة... فعندما تثوب الإنسانية إلى فطرتها: فإنها لن تعدم أبداً قواسم مشتركة ونقاط التقاء وتفاهم أكثر من أن تحصى في هذا الشأن النبيل!.

ولهذا السبب : ينبغي على كل ذي بصيرة وضمير وإحساس صادق بالمآل الإنساني المشترك: أن يتوسل إلى قضية التفاهم الحضاري بأيسر الوسائل وأعبد السبل... حتى ولو كانت هذه السبل وتلك الوسائل تمثل أبواباً خلفية لتلك الحضارات الموبؤة بأيديولوجيا التناقض والمفارقات... ولعل الماضين في تلك السبل: لا يعدون متجاوزين الخطوط الحمراء بحال، فتلك الخطوط قد رسمتها الأهواء السياسية العالمية، التي لا يعول عليها غير قليل من الفائدة الحقيقية في هذا السياق، حيث إنها لا تقر الحوار في مجمل أشكاله وأوضاعه وبرامجه وفلسفاته إلا من منطق فوقي غير متكافئ.. ومن ثم كان الاحتيال لكفالة مستقبل أفضل لأجيالنا الإنسانية: من المباحثات والمندوبات ولا سيما في ظروف تدرك المسار الإنساني المعاصر إلى هاوية التصادم والهلاك...! ولعل المفكر الفرنسي المسلم رجاء جارودي يعد واحداً من أشهر أولئك الذين وقفوا حياتهم وكرسوا جهدهم إسهاماً في تأمين قضية الحوار بين الحضارات من خلال صياغاته الجيدة العميقة المتجردة... والتي أكد فيها، بغير تعسف قناعته بأن الإسلام قوة حية، ليس في ماضيه وحسب، بل في كل ما يمكن أن يسهم به لخلق واقع ومستقبل إنساني مشرق بقيم الفطرة...!

ولعل مستقبل قضية الحوار الحضاري: مرهون بمدى استعداد كل حضارة لفهم، بل لهضم البعد الإنساني، واستيعاب قيم الخير والإيجابية في أدبيات الحضارات الأخرى، بتجرد وموضوعية... يستتبع ذلك تخطيط للعلاقات الحضارية، بحيث يعكس تلك القيم بصورة عملية وصادقة... إذ إن هناك وفرة من الاستفهامات التاريخية بشأن قضية الحوار، والتي مازالت تلح بطلب إجابات شافية كافية تعلق عليها الإنسانية بعامة، والأمة الإسلامية بخاصة، آمالاً عظيمة وأماني غالية في الدفع بآليات الحوار مستقبلاً نحو مسارات أكثر جدية وإيجابية وإثماراً... فهل ستعلن مؤسسة الفكر الغربي بجميع توجهاتها يوماً عن التصديق بنبوة محمد - صلى الله عليه وسلم -، واحترام القرآن الكريم كوحي منزل من لدن رب العالمين، رب إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد...؟!، وهل ستقر المؤسسة الغربية كذلك، عن إيمان مطلق، بمبادئ التعددية الحضارية واحترام الخصوصيات الثقافية، ومجافاة الأنانية ونبذ منطق احتكار التاريخ وتقويض الجغرافيا، بل تفتيتها وابتزازها... وغير ذلك من القضايا المعلقة التي لم تنجز بعد، ولم تتبلور بشأنها مواقف واضحة ومحددة إلى يومنا هذا؟!

ولعل إنجاز هذه القضايا وما في سياقها: موقوف على تحقق أمرين، كثيراً ما صدعت بها نداءات العقل في آفاق الفكر الغربي الرحبة: أولهما: محاربة التعصب الذي تمارسه مسيحية لا ترى في الإسلام إلا نقيضاً للمسيحية، وعائقاً يحول دون انتشار كاثوليكيتها أو رسالتها العالمية... وثانيهما: يقتضي محاربة كل تعصب إسلامي يتناسى التعاليم القرآنية... «تلك التعاليم التي ترى في المسيحية مرحلة تاريخية، وطريقة من طرائق الإيمان»(١)، فإذا كانت النزاهة في الحوار، وقبول الرأي الآخر... من أهم ما تزعم المؤسسة الغربية بجميع توجهاتها، اعتماده والارتكاز عليه في أدبيات عصرها الحديث... بيد أن هذه المزاعم لم يكن لها في آلية الحوار مع الآخر الحضاري أي ظل من حقائق أو براهين عملية وصادقة!

ونحن نعتقد أن إنطلاقة قافلة الحوار الحضاري في مسيرة جادة مأمونة ومؤيدة بالتوفيق والسداد مرهون من ناحية بمدى إمكانية التحاق المؤسسات السياسية الرسمية بركب هذه القافلة، التي لا يتزعم فعاليتها إلا مؤسسات أهلية لا تتمتع بأي من أشكال النفوذ والتأثير المرتجى في تحديد وجهة القرار السياسي على الصعيد العالمي حتى الآن... كما أن هذه الانطلاقة المأمولة مرهونة من جهة أخرى، بمدى عمق ومنهجية الأطاريح الحوارية في ضوء القيم - الربانية - الأصيلة للحضارات... لا القيم التي تفرضها عوارض وملابسات ظرفية... ولعل مضاء القافلة وفق هذا السياق المحترم الخلاّق سيكشف يوماً بعد يوم عن مزيد من قيم ووسائط وقواسم مشتركة جديدة، تعالج الفوارق، وتسبر غور فجوات النفس الحضارية التي أحدثها غول التعصب والتعالي والاستكبار. أما في ظل حوار جائر وغير متكافئ أو غير ذي مرجعية عقدية... أو بآلية فصامية اجتزائية - على جبهة دون جبهة، فلن يكون بحال ثمة فرص

حقيقية ذات أثر فعال ونتائج معتبرة... بل يمكن أن يمعن ذلك في تغييب القيم الموجودة أصلاً كسوانح للقاء على أرضية مشتركة، ذلك فضلاً عن أنه - كما يقول المفكر «اسكين تشلدرز» في كتابه «الإسلام والغرب - هتك الذاكرة والخصام»: «مادام الغرب يتصرف بصورة غير ديموقراطية في سياسته الخارجية تجاه الإسلام، ومادام الإسلام يشهد ذلك التستر المفضوح ضده، الشبيهة بالعنصرية من جانب الغرب (مثلما حدث في سيراليون وكوسوفا أخيراً) فإن فرص قيام حوار مفتوح بين الطرفين هي فرص مظلمة حقاً»(٢)، فهناك مع كل أسف صيغ ومشروعات حوارية تفاوضية... تطرح في صورة مشوهة ومبسترة لا تعبر عن معنى الحوار كقيمة حضارية أخلاقية... فمثلاً لا يمكننا اعتبار ما يسمى بالتفاوض بين الفلسطينيين ومؤسسة الكيان الصهيوني الغاصب، داخلاً في سياق حوار الحضارات لأي معنى من المعاني. وحتى عندما يكون ثمة فصل في أي من القضايا التي تهم المجتمع الدولي... نجد روح العصبية والتفاضل المغشوش هي السمة السائدة لهذه المنتديات، فنجد مثلاً حواراً بين الشمال والجنوب وآخر بين الدول النامية والدول المتقدمة بحيث صارت هذه المصطلحات ذات دلالات بعيدة تماماً عن روح العدل ومجافية لمنطق الصواب... مما يكرس شعوراً إنسانياً باليأس من قضية الحوار برمتها، وأنها مجرد تخدير حضاري غير كريم.

وفي سياق تتبعنا مسيرة التدرج الإنساني نحو الكمال، يصدفنا بعض الخلل الذي نال كثيراً من هذا الترقي حتى أصابه بانتكاسات كثيرة... وتأتي العلمانية كأيديولوجية ليس لها - بمقتضى الخبرة التاريخية - ما يبرر وجودها في ظل التطلع الإنساني إلى صيغ تعايشية ترتكز على القيم والتعاليم السماوية. والحقيقة كما يقول جارودي: «إنها لفرصة تاريخية للإسلام اليوم، كي يدلل على أن عقيدته وما لها من غايات... هي الجواب أو الحل لهواجس وهموم عالم أدى به نمط التنمية الغربية إلى الانحلال الاقتصادي والسياسي والخلقي... ولقد أعطى الإسلام منذ نشأته وفي أوج ازدهاره، الحلول المنشودة لانحطاط الإمبراطوريات وانحلالها...»(٣)، ونحن من جانبنا كأمة توافرت لها - بمنطق الوحي والتاريخ، الخيرية الأبدية والشهادة على العالمين... لن نتبوأ مكانتنا الحضارية تلك إلا بمراجعة أفكارنا وتوفيق أوضاعنا، وإعادة رقم هويتنا وصياغة ذاتنا الحضارية... وإلا فأحوالنا ستضحى كحال الموتى والجمادات، لا تتطور ولا تتجدد، ولئن بات محتماً علينا استجلاء مواقفنا ورؤآنا وتصوراتنا إزاء التغيرات الهائلة والطوارئ المذهلة على حركة واتجاهات الإنسان المعاصر في مجالات الفكر والثقافة والتقنيات والروحانيات... فليس غير الاستشفاء من الفصام الحضاري والتوعك الفكري والتقني من سبيل إلى تحقيق ذاتنا وإبراز هويتنا الحضارية عن فخر وثقة في وقف مقعد لنا في مجلس إدارة شؤون العالم، ذلك الذي كنا في المستقبل مرجعيته الوحيدة.

وهكذا باتت قضيتنا، كعرب ومسلمين على صعيد واقعنا المعاصر، محصورة في كيفية استرداد وعينا التاريخي من منحاه الإنساني... وبصورة تكاملية... عندها ربما تمكنا من تجسيد رؤية حضارية تعكس قيمنا الإسلامية الأصيلة... قيم الحق فيها متاح لكل البشر على اختلاف توجهاتهم ومذاهبهم... قيم تمثلتها الحنيفية السمحة عقيدة وروحاً وخلقاً وسلوكاً.. من لدن إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين...! ولقد بات من واجبنا أيضاً نحن المسلمين: أن ندعو كل المؤسسات الحضارية المخلصة إلى الإسهام معنا في صياغة منظومة التعايش الإنساني في ظل القيم والمفاهيم والضوابط والمعايير الربانية... والتي لن يكون بحال ثمة خلاف حول كفاءتها في بلورة وتأطير مبادئ الشراكة الحضارية العادلة...! إنه حقاً حلم جميل... دون تحقيقه طريق ملبدة بالأشواك... بيد أننا نتوق أن نرى ذات يوم تلك الدول الغربية الكبرى... ولا سيما التي انتفعت واغتنت بثقافة الإسلام وعبقريته... أن تنشئ في الأماكن التي ازدهرت فيها تلك الثقافة والعقيدة والعبقرية - في قرطبة وبالرمو ومونبيلييه - مراكز لقاء وبحث وإعداد وإعلام تتناول كل ما يمكن أن يغني به الإسلام الإنسانية اليوم، وكل ما يمكن أن يقوله لها الإسلام وتقوله له»(٤)

فثمة وفرة من القضايا المحورية الخطيرة التي يجدر أن يلتفت إليها العالم بعيداً عن هواجس التحرش والاصطدام... فقضايا الاغتيالات البيئية بالإشعاع الذري والكيماويات وغيرها من ملوثات البيئة ... وهناك المخدرات والإدمان، وقضايا الرقيق الأبيض، ودعارة الأطفال وحقوق الإنسان... وهناك قضايا العنصرية والغلو الفكري والتعصب الحضاري... وهناك حملات التشويه الفكري والتنابذ الثقافي والاختراق الأخلاقي القيمي عبر الفضائيات... ظواهر بحاجة كلها إلى التعاون الدولي الصادق بشأنها، وحين تستفرغ الهمم الإنسانية والجهود، حين تلتقي، في هذا الوعاء: فلن يكون لظواهر التحاسد والطمع والضن والتحاقد والتناوش الحضاري أي معنى أو مبرر في الوجود! ولعل أشد ما يعوّق آليات التلاقح الحضاري عن إنجاز قضاياها وإنفاذ برامجها على نحو محترم: هو التأثر بالظروف والأحوال والملابسات السياسية، وبشكل مبالغ فيه، الأمر الذي يحتم تفعيل تلك الآليات بقدر يرقى ويتعاظم إلى درجة المسؤولية الحضارية، بل يتجاوز تلك الظروف والأحوال والملابسات... وذلك لن يتجسد حقيقة إلا بالتركيز على إبراز القضايا ذات الأولية في بعدها المصيري الإنساني... وكذا استجلاء قواسم وسمات التوافق والتكامل الحضاري، حتى يتسنى التحول بآليات أخرى ذات توجهات حربية... شطر التأمل والتفاهم، والتعايش والحوار...

ولكن على صعيد آخر: هل ستتوافر التيارات الفكرية التي تزخم بها حركة الحياة العربية والإسلامية على صياغات توفيقية جيدة وناجزة لما ينشب بينها جميعاً من وساوس وسوء ظن وضغائن وأحقاد لا تحسد عليها، بل إنها لتغري بنا الأغيار... إن المرء ليقتله الخجل من توافر إمكانات الحوار بين الحضارات، في الوقت الذي لا تزال نوبات الفشل والانتكاس المضطردة تنتاب قضية الحوار بين تلك التيارات... حتى لتحول دون انسجامنا واكتمال بنيتنا وتهيؤ آلياتنا الحضارية على وضع منسق ومنهج سليم... إنه لخطب أليم!! ■

الهوامش :

١ - روجيه جارودي - ما يعد به الإسلام - ت: قصي أتاسي - د.ت - ١٩٨٣م - ص٢٦١.

٢ - نقلاً عن : سلمى عبدالجبار - الإسلام والغرب - دراسة في مجلة كلية الدعوة الإسلامية في الجماهيرية الليبية - العدد ١١ ص١٦٢.

٣ - روجيه جارودي - ما يعد به الإسلام - مرجع سابق - ص٢٥٧.

٤ - المرجع نفسه - ص٢٦٨.

بقلم: د. أحمد عبدالرحيم السايح

أضواء حول

رعاية الإسلام للعقل

من أوضح سمات القرآن الكريم التي لفت نظر الباحثين والدارسين في القرآن: إشادة القرآن بالعقل، وتوجيه النظر إلى استخدامه للوصول إلى الحقيقة، وما يفيد المجتمع الإنساني، في مسيرته عبر الحياة.

وقد دعا القرآن بطريق مباشر وغير مباشر، إلى تنظيم العقل، والرجوع إليه، والعقل في اللغة العربية ضد الحمق. ويسمى العقل عقلاً: لأنه يعقل صاحبه عما لا يحسن. وهو القوة المتهيئة لقبول العلم.

ويُقال للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة: «العقل» أيضاً.

ولذا قيل :

العقل عقلان فمطبوع ومسموع

ولا ينفع مسموع إذا لم يكن مطبوع

وإلى الأول يشير ما روي في بعض الآثار : (ما خلق الله خلقاً أكرم من العقل) وكذا: «أول ما خلق الله العقل».

وإلى الثاني يشير ما روي: «ما كسب أحد شيئاً أفضل من عقل يهديه إلى هدى أو يرده عن رديء». وهذا العقل هو المعنى بقوله تعالى: (وما يعقلها إلا العالمون) العنكبوت: ٤٣. ويحرص القرآن على تأكيد تعظيم العقل والرجوع إليه، حرصاً يلفت النظر، ويثير الاهتمام.

ويشير القرآن إلى العقل، ومعانيه المختلفة، ومشتقاته، ومترادفاته، في نحو ثلاثمئة وخمسين آية، مستخدماً لذلك كل الألفاظ التي تدل عليه، أو تشير إليه. من قريب أو بعيد. من التفكير، والقلب، والفؤاد، واللب، والنظر، والتذكر، والرشد، والحكمة، والرأي، والفقه... إلى غير ذلك من الألفاظ. التي تدور حول الوظائف العقلية. على اختلاف معانيها، وخصائصها، وظلالها. مما يعتبر إيحاءات قوية بدور العقل، وأهميته بالنسبة للإنسان. والقرآن لا يكتفي بهذا... بل يذكر العقل في مقام التعظيم. والإشارة إلى وجوب العمل به، والرجوع إليه.

والإشارة إلى العقل. لا تأتي عارضة، ولا مقتضبة. في سياق آية، بل هي تأتي في كل موضع من مواضعها. مؤكدة جازمة. باللفظ والدلالة. وتتكرر في كل معرض من معارض الأمر والنهي. التي يحض فيها الإنسان. على تحكيم عقله، أو يلام فيها الإنسان على إهمال عقله.

ولا يأتي تكرار الإشارة إلى العقل، بمعنى واحد من معانيه التي يشرحها النفسانيون. من أصحاب العلوم الحديثة. بل هي تشمل وظائف الإنسان العقلية، على اختلاف أعمالها، وخصائصها وتتعمد التفرقة بين هذه الوظائف، والخصائص. في مواطن الخطاب، ومناسباته.

فلا ينحصر خطاب العقل. في العقل الوازع، ولا في العقل المدرك، ولا في العقل الذي يُناط به التأمل الصادق، والحكم الصحيح، بل يعم الخطاب في الآيات القرآنية، كل ما يتسع له الذهن الإنساني من خاصة، أو وظيفة. فالعقل في مدلول لفظه العام: ملكة يُناط بها الوازع الخلقي، أو المنع من المحظور، والمنكر.

من خصائص العقل

١ ـ أنه ملكة الإدراك. التي يناط بها الفهم، والتصور، وهي على كونها لازمة. لإدراك الوازع الخلقي، وإدراك أسبابه، وعواقبه. تستقل أحياناً لإدراك الأمور. فيما ليس له علاقة بالأوامر، والنواهي.

٢ ـ وأنه يتأمل فيما يدركه، ويقلبه، على وجوهه، ويستخرج منه بواطنه، وأسراره، ويبني عليها نتائجه، وأحكامه.

وهذه الخصائص في جملتها. تجمعها ملكة «الحكيم»، وتتصل بها ملكة الحكمة، وهي تتصل كذلك بالعقل الوازع. إذا انتهت حكمة الحكيم به، إلى العلم بما يحسن، وما يقبح، وما ينبغي له أن يطلبه، وما ينبغي له أن يأباه.

٣ ـ ومن أعلى خصائص العقل الإنساني: الرشد. وهو مقابل لتمام التكوين، في العقل الرشيد.. ووظيفة الرشد. فوق وظيفة العقل الوازع، والعقل المدرك، والعقل الحكيم. لأنها استيقاء لجميع هذه الوظائف، وعليها مزيد من النضج، والتمام، والتمييز بميزة الرشاد. حيث لا نقص، ولا اختلاف، وقد يؤتي الحكيم. من نقص الإدراك، وقد

يؤتي العقل الوازع، من نقص في الحكمة. ولكن العقل الرشيد. ينجو به الرشاد. من هذا وذاك.

وفريضة التفكير في القرآن الكريم: تشمل العقل الإنساني. بكل ما احتواه. من هذه الوظائف. بجميع خصائصها، ووظائفها، ومدلولاتها، فهو يخاطب العقل الوازع، والعقل المدرك، والعقل الحكيم، والعقل الرشيد، ولا يذكر العقل عرضاً مقتضباً، بل يذكره مقصوداً مفصلاً.

فمن خطابه إلى العقل عامة، ومنه ما ينطوي على العقل الوازع. قوله تعالى في سورة البقرة: (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون) البقرة:١٦٤.

ومنه ما يخاطب العقل، وينطوي على العقل الوازع، كقوله تعالى في سورة الملك: (وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير) الملك:١٠.

وهذا ما عدا الآيات التي تبتدئ بالزجر، وتنتهي إلى التذكير بالعقل، لأنه خير مرجع للهداية في ضمير الإنسان.. وهذا الخطاب المتكرر إلى العقل الوازع، يضارعه في القرآن الكريم. خطاب متكرر مثله. إلى العقل المدرك، أو العقل الذي يقوم به الفهم، والوعي. وهما أعم، وأعمق من مجرد الإدراك.

وكل خطاب إلى ذوي الألباب في القرآن فهو خطاب إلى لب هذا العقل المدرك الفاهم. لأنه معدن الإدراك، والفهم في ذهن الإنسان، كما يدل عليه اسمه في اللغة العربية مثل قوله تعالى: (والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكّر إلا أولوا الألباب) آل عمران:٧.

وقوله تعالى: (يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولوا الألباب) البقرة: ٢٦٩.

وقوله تعالى: (وتزودوا فإن خير ا لزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب) البقرة:١٩٨.

ومن هذه الآيات نتبين: أن اللب الذي يخاطبه القرآن وظيفته عقلية. تحيط بالعقل الوازع، والعقل المدرك، والعقل الذي يتلقى الحكمة، ويتعظ بالذكر.

وخطابه خطاب لأناس من العقلاء لهم نصيب من الفهم والوعي، أوفر من نصيب العقل الذي يكف صاحبه عن السوء، ولا يرتقي إلى منزلة الرسوخ في العلم.

أما العقل الذي يفكر، ويستخلص من تفكيره زبدة الرأي، والروية فالقرآن الكريم يعبر عنه بكلمات متعددة تشترك في المعنى أحياناً، وينفرد بعضها بمعناه على حسب السياق في أحيان أخرى، فهو الفكر، والنظر، والبصر، والتدبير، والاعتبار، والذكر، والعلم، وسائر هذه الملكات الذهنية التي تتفق أحياناً في المدلول، ولكنها لا تستفاد من كلمة واحدة، تغني عن سائر الكلمات.

قال الله تعالى: (الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض) آل عمران:١٩١.

وقال تعالى: (هل يستوي الأعمى والبصير أفلا تتفكرون) الأنعام:٥٠.

وقال تعالى: (قل انظروا ماذا في السموات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون) يونس:١٠١.

وقال تعالى: (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) النحل:٤٣.

بهذه الآيات وما جرى مجراها، تقررت فريضة التفكير في الإسلام وتبين منها: أن العقل الذي يخاطبه الإسلام، هو العقل الذي يعصم الضمير، ويدرك الحقائق، ويميز بين الأمور، ويوازن بين الأضداد ويتبصر ويتدبر.

ولما كان العقل في الإسلام له هذه العناية الفائقة، من التقدير والسمو أحيط بقواعد منهجية دقيقة تحفظ العقل من الزيغ، وتجنبه الشطط، والمروق، وتتيح له النمو، والتفتح، والإبداع.

ومن أهم هذه القواعد :

التخصص الدقيق

والتخصص الآن هو أحدث وسائل الدراسة الجامعية، فإن آية العقل الناضج، أن يقف عند حدود ما يعلم، فلا يصدر الأحكام إلا في حدود اختصاصه، ولا يقحم نفسه في اختصاص الآخرين، فالطبيب لا يفتي في مسألة هندسية، والكيميائي لا يفتي في مشكلة فلكية، أما الذين يقحمون أنفسهم فيما يعلمون، وفيما لا يعلمون، معتمدين على المكابرة، وقوة الجدل، وشهوة التغلب. على الخصم دون النظر إلى الحقيقة، فهم بعيدون عن الصواب يقول عز وجل في شأنهم: (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد. كُتب عليه أنه من تولاه فإنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير) الحج:٣-٤.

ولقد وجهنا الله جل شأنه الوجهة الخليقة بالعقلاء الباحثين، وذلك في قوله تعالى: (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) النحل:٤٣.

وقوله تعالى: (ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) النساء:٨٣.

ويخاطب الله عز وجل أولئك الذين يفتون بما لا يعلمون بقوله تعالى: (ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً) الإسراء:٣٦.

التثبت والتروي

التثبت قبل الحكم والتدبر قبل العزم، والتروي قبل الجزم، بحيث لا يسبق اللسان الفكر، ولا يطغي الظن على اليقين: أمر يفرضه القرآن على العقل، لأن التعجل بالحصول على النتائج، قبل استكمال البحث، والموازنة والاستقراء كفيل بانحراف العقل وزيغه، ولهذا عاب القرآن الكريم على الإنسان أن ينساق مع العجلة، وأن ينقاد لشهوة السبق، مطالباً إياه بالتثبت، والتبين، قال تعالى: (خلق الإنسان من عجل سأوريكم آياتي فلا تستعجلون) الأنبياء:٣٧.

وقال تعالى: (ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة) الرعد:٦.

وقال تعالى: (يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن

تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) الحجرات:٦.

وقد أدب الله تعالى رسوله الكريم بهذا الأدب العظيم حيث يقول جل شأنه: (لاتحرك به لسانك لتعجل به) القيامة:١٦، وحيث يقول: (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدني علماً) طه:١١٤.

المراجعة والمعاودة

إن العلماء هم الذين يراجعون أنفسهم المرة بعد المرة، فلا يصدرون الأحكام إلا بعد تمام الاستيفاء والاستيثاق، فالأطباء مثلاً يجرون التجارب على الأرانب والفئران، ثم على القردة والخنازير، وبعد أن يطمئنوا إلى تجاربهم ونسبة النجاح فيها يطبقونها على الإنسان، ويترقبون النتائج، ويسجلون الإحصاءات، حتى إذا ما اطمأنوا إلى نتائج أبحاثهم، عرضوها في المؤتمرات الطبية، ووضعوها تحت البحث والمناقشة، وأخيراً يصدرون أحكامهم في ثقة وعن يقين.

والعالم الذي يصون نفسه عن التبذل، لا يصدر أحكامه على النتيجة الأولى، ولا يبني قضاياه على غلبة الظن، أو على شهوة النجاح، وقد علمنا القرآن الكريم بألا نبني أحكامنا على الظنون، أو شهوة النجاح، أو ثورة العواطف، استجابة لأحقاد متوارثة، أو نزوات عاطفية طارئة، يقول الله عز وجل: (إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس) النجم:٢٣.

الاستمساك بالحقيقة

إذا قام الدليل القاطع، والحجة البالغة اتضحت الحقيقة، وينبغي إذن أن يؤمن الباحث بما اهتدى إليه إيماناً قاطعاً، لا يتردد فيه فلا يسلم نفسه للوسواس، ولا ينقاد للهواجس، ولا يستجيب للريب، يقول الله تعالى: (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا) الحجرات:١٥.

وقد ضرب الرسول ﷺ أروع الأمثال، حينما تعرض للفتنة والمحنة والدسائس والمساومة، فجهر بقوله: «والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه».

وقد سار على نهجه - ﷺ - من بعده في الاستمساك بالحق، أبو بكر - رضي الله عنه - حينما ارتد بعض المسلمين ممتنعين عن أداء الزكاة، فهب هبته، وقال قولته، وقطع على المعوقين والمترددين كل سبيل، وهو يهتف بالمسلمين: «والله لو منعوني عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه».

الدعوة إلى الحق والصواب

لا يكتفي القرآن بوجوب الجهر بالحق، بل يوجب الدعوة إليه، يقول الله تعالى: (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) آل عمران:١٠٤.

ويقول تعالى: (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون) التوبة:١٢٢.

وقد أوصى لقمان ابنه أكرم وصية، حيث قال: (يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور) لقمان:١٧.

قال رسول الله ﷺ : «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»٨

الدفاع عن الحقائق

ولا يكفي إثبات الحق، والجهر به، لأن قوى الشر متأهبة دائماً للتحدي، متحفزة للبغي، مستعدة للعدوان. ولقد نبهنا الله تعالى : أن الشيطان يتربص بنا الدوائر، ويحاول أن يصدنا عن اليقين. وإننا إذا صمدنا في الدفاع عن الحق، وبذلنا في الدفاع غاية الجهد، عصمنا الله من سلطانه، قال تعالى موجهاً خطاب التحدي للشيطان: (واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً. إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلاً) الإسراء:٦٤-٦٥.

ولقد حاول المشركون جاهدين أن يساوموا النبي صلوات الله وسلامه عليه، في إيمانه، فقالوا: نعبد إلهك يوماً وتعبد آلهتنا يوما، فأنزل الله تعالى: (قل يأيها الكافرون. لا أعبد ما تعبدون. ولا أنتم عابدون ما أعبد. ولا أنا عابد ما عبدتم. ولا أنتم عابدون ما أعبد. لكم دينكم ولي دين) الكافرون.

وقال تعالى: (والذين يمسّكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين) الأعراف:١٧٠.

وقد أمر الله تعالى رسوله العظيم بهذا الأدب الكريم فقال: (فاستمسك بالذي أوحي إليك إنك على صراط مستقيم) الزخرف:٤٣.

الجهر بالحقائق

إنها لمن أجلّ النعم وأعظمها هذه النعمة، التي استحق بها الإنسان التكريم والاستخلاف في الأرض، وما هذه النعمة إلا العقل، فإذا ما اطمأنت النفس إلى أمر من الأمور، هان هذا الأمر أو جلّ، أصبح من الواجب المجاهرة به، مهما كانت النتائج أو العواقب، يقول الله عز وجل مخاطباً رسوله الكريم: (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين إن كفيناك المستهزئين) الحجر:٩٤، ويوجهه أكرم توجيه هاتفاً به: (يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) المائدة:٦٧.

ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام : «طوبى للسابقين إلى ظل الله الذين إذا أعطوا الحق قبلوه وإذا سئلوه بذلوه».

وبهذا قام الإسلام بوثبة كبيرة أطلق بها العقول من إسارها، ودفعها للتأمل في ملكوت السموات والأرض، وليكون الإيمان مبنياً على الفهم والإقناع، لا على المكابرة والإرهاب، وقد اتخذ الإسلام في منهجية الوثبة أربع خطوات:

أولاً: محاربة الجمود والتقليد، لأن البناء على أساس عقلي متين يقتضي تنقية الرواسب والأكداس، التي خلفتها القرون الماضية، وأكسبتها طابع القداسة، فهيمنت على العقول وحجبتها عن البحث والتأمل والتفكير والتنافس في العلم.

وقد أنّب القرآن المشركين على تمسكهم بآراء السابقين من الآباء

والأجداد ولو كانوا على ضلال مبين، قال تعالى: (وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون. ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون) البقرة:١٧٠-١٧١.

ثانياً: مكافحة المكابرة والعناد والمعاندون هم الذين يرون الحقائق ماثلة أمام أعينهم، ولكنهم يكابرون ويجادلون ويختلقون الأكاذيب لطمس الحقائق، وصرف العقول، وهم الذين يقول الله تعالى فيهم: (يجادلونك في الحق بعدما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون) الأنفال:٦، وإذا وضح الحق ماثلاً أمامهم لا سبيل إلى نكرانه، كابروا: (وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب) فصلت:٥.

فإذا أحرجتهم الحقائق الملموسة، تعنتوا في جدالهم، وطالبوا بالمستحيلات: (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً. أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً) الإسرا:٩٠.

ثالثاً: التأمل والاستنباط بعد أن تتحرر العقول من أغلال التقاليد والمعتقدات الفاسدة، وبعد أن تكشف أباطيل المكابرين المتعنتين.. تستطيع أن تنطلق حرة طليقة، باحثة عن الحق، متطلعة إلى الهداية، منقبة عن الصواب.

وقد ناشدنا الإسلام: أن نتأمل في ملكوت السموات والأرض، وأن نتدبر ما أبدع الله من كائنات: (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب) آل عمران:١٩٠.

قال تعالى: (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت. وإلى السماء كيف رفعت. وإلى الجبال كيف نصبت. وإلى الأرض كيف سطحت) الغاشية:١٧-٢٠.

ولا يكتفي الإسلام بهذا، بل إنه يحفزنا أيضاً إلى التأمل الذاتي في تكويننا الجسمي والعقلي: (فلينظر الإنسان مما خلق. خلق من ماء دافق. يخرج من بين الصلب والترائب) الطارق:٥-٧.

وكلما لفت القرآن نظر المسلمين إلى آية من آيات الله، أهاب بالعقل أن يتدبرها: (إن في ذلك لذكرى لأولي الألباب) الزمر:٢١.

رابعاً: النتائج العقلية مؤيدة بالبراهين، وبعد أن تنشط العقول من عقالها، وتتدبر ملكوت السموات والأرض، يعينها الإسلام على الوصول إلى النتائج العلمية مؤيدة بالدليل الملموس: (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) الأنبياء:٢٢.

وقال تعالى: (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض) المؤمنون:٩١.

وهكذا نجد الحقيقة الكبرى مقررة مدعمة بالبرهان العقلي النافع، الذي لا يعتريه شك أو إبهام، ولا يكتفي القرآن في تقرير المبادئ العليا بدليل واحد، أو برهان مفرد، بل يسوق البرهان معززاً بالبرهان، حتى لا يدع للمكابرين حجة أو دليلاً.

والوسائل التي اتخذها الإسلام لوثبته تعتمد على خطوات كثيرة أهمها:

١ ـ التأمل والدراسة والتدبر في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من كائنات.

٢ ـ البحث العلمي بالانتشار في أقطار الأرض لدراسة الجبال والأنهار والصحارى والبحار ومعرفة النبات والحيوان ووسائل الاستفادة من كل هذه الكائنات قال تعالى: (الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخّر لكم الأنهار. وسخّر لكم الشمس والقمر دائبين وسخّر لكم الليل والنهار. وآتاكم من كل ما سألتموه) إبراهيم:٣٢-٣٤.

وقال تعالى: (هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون. ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون. وسخّر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون) النحل:١٠-١٢.

فالله سبحانه وتعالى لم يخلق هذه الكائنات عبثاً، وإنما سخرها لنا لننتفع بها بعد دراسة أساليب هذا الانتفاع، على أن نستخدم العقل والحواس معاً في سبيل استنباط أيسر السبل وأسهل الوسائل لهذا الانتفاع.

وكثيراً ما يلفت القرآن الكريم إلى أن وسيلة العلم هي: البحث والتفكير، قال تعالى: (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون) النحل:٧٨.

وقد يغفل الناس عن أمر فيلفتهم إليه ليستغلوه، قال تعالى: (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس) الحديد:٢٥.

ثالثاً: الاستفادة مما تركه السابقون من معارف، وعلوم وآثار ليمحصوها ويدرسوها ثم يضيفوا إليها، ما يهديهم إليه البحث من حقائق ونظريات قال تعالى: (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق) العنكبوت:٢٠.

وللاتعاظ بما وقع فيه السابقون من أخطاء قال تعالى: (أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة) الروم:٩.

وقال تعالى: (أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها) الحج:٤٦.

وكثيراً ما يضرب الأمثلة بالأمم السابقة، قال تعالى: (ألم تر كيف فعل ربك بعاد. إرم ذات العماد. التي لم يخلق مثلها في البلاد. وثمود الذين جابوا الصخر بالواد. وفرعون ذي الأوتاد. الذين طغوا في البلاد. فأكثروا فيها الفساد. فصب عليهم ربك سوط عذاب. إن ربك لبالمرصاد) الفجر:٦-١٣.

وكثيراً ما يلفت القرآن الكريم النظر إلى أن الحكمة ضالة المؤمن يلتمسها أنى وجدها قال تعالى: (وفي الأرض آيات للموقنين) الذاريات:٢٠.

ثم يقرّع الغافلين عن البحث والدرس والملاحظة التجريبية، فيقول تعالى: (وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون) يوسف:١٥.

ثم يدعو إلى سؤال علماء الأمم السابقة، أو من ورثوا عنها هذه العلوم والمعرفة والتثبيت قال تعالى: (فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك) يونس:٩٤.

رابعاً: الرحلة في طلب العلم. فقد ذكر الله عز وجل في القرآن الكريم رحلة نبيه موسى في طلب العلم إلى الخضر وانتقاله معه، دارساً متعلماً، ويقول الرسول الكريم صلوات الله عليه : «من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة».

وتلبية لهذا الأمر شد المسلمون الأولون الرحال، وقطعوا الفيافي، وجابوا البحار. في طلب الحديث، والفقه وعلوم الدين والدنيا، فنشروا العلم في أنحاء الأرض، ونهضوا بالثقافة الإنسانية إلى أعلى المستويات، وأسسوا حضارة علمية، سيطرت على العالم كله مئات السنين.

وقد أقام الإسلام منهجاً في تحرير العقل والفكر، يعتمد على ثلاث دعائم مهمة:

الدعامة الأولى: تحرير الإنسان من أغلال الحجر العقلي، وسيطرة التبعية العمياء، وتربيته على حرية الفكر، واستقلال الإرادة، ليكمل بذلك عقله، ويستقيم تفكيره، وتكتمل له شخصيته وإنسانيته، فإن كمال العقل، واستقامة التفكير، واستقلال الإرادة، هي أساس صحة العقائد ومعرفة الحق، الذي يجب أن يتبع.

وقد عنى الإسلام ببناء هذه الدعامة عناية كبرى.

فجعل البرهان أساس الإيمان الصادق، والعقيدة الصحيحة، وبين أن كل اعتقاد أو عمل لا يقوم على دلائل الحق، فهو مردود على صاحبه.

- واندر الذين يجادلون في الله وآياته بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير، يقول تعالى: (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير) لقمان:٢٠.

وطالب كل ذي عقل بالنظر في عالم السموات والأرض، وما فيهما من الدلائل الواضحة، على وحدانية الله تعالى في ألوهيته وربوبيته، كما في قوله تعالى: (أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء) الأعراف:١٨٥.

وقال تعالى: (أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج. والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج. تبصرة وذكرى لك عبد منيب) ق:٦-٨.

- واستنهض العقول، ووجه الأفهام، وأيقظ الحواس، ونبه المشاعر، وذلك بالتعقيب على بيان الآيات الكونية، والتشريعية بمثل قوله تعالى: (إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون) الرعد:٤، (إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) الرعد:٣.

- وذم الغافلين، ونعى عليهم غفلتهم وإعراضهم عن دلائل الآيات الكونية التي يشاهدونها في كل لحظة، وهم عنها غافلون، وتطالعهم بدلائها في كل آونة، وهم عنها معرضون، كما في قوله تعالى: (أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) الحج:٤٦.

ونعى على أسرى التقليد إعراضهم عن الحق الذي جاءت به أنبياء الله ورسله، وجمودهم على اتباع ما وجدوا عليه آباءهم، وارتكابهم الفواحش باسم الدين تعصباً للجمود والتبعية العمياء كما قال عز وجل: (وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون) المائدة:١٠٤.

فالتقليد الأعمى من شر ما تبلى به الأفراد والجماعات، لأنه يميت مواهب الفكر والنظر، ويوجب جمودها وركودها، ولا يميز بين الحق والباطل، ولا بين الصواب والخطأ.

ولهذا قرر الإسلام حق الإنسان في حرية الفكر، واستقلال الإرادة، وفتح له طريق التحرر الفكري والاستقلال الإرادي، وبوأه المنزلة اللائقة بإنسانيته وكرامته، وعرفه أن الله تعالى لم يخلقه عبداً يقاد كما تقاد الأنعام، ولا جعل لمخلوق حق السيطرة على عقله، وفكره، وإنما خلقه حراً مالكاً لقيادة نفسه، يفكر بعقله، ويسترشد بمواهبه، ويعمل باختياره، وإرادته ويهتدي بنور العمل في اختياره وعمله، ولا يظهر بمظهر العبودية إلا لخالقه ولا يدين في عقائده وسلوكه إلا بدين الحجة والبرهان.

وهناك حقيقتان يحسن أن نوضحهما:

الأولى: أن التقليد الذي ذمه الإسلام وشدد النكير على أهله، إنما هو التقليد الذي يقوم على التبعية العمياء، والجمود على القديم الموروث، ومحاربة كل جديد يخالفه، ولو كان ذلك الجديد أقوم طريقة وأهدى سبيلاً.

الثانية: أن حرية الفكر التي جعلها الإسلام رائداً للتفكير الديني، ونبراساً للعقول والأفهام في الاهتداء إلى معالم الحق هي الحرية التي تطلق العقول، والأفهام من أغلال الحجر العقلي، والكبت الفكري، وتحررها من سيطرة التقليد، والتبعية العمياء وتجلي لها معالم الحقائق، التي كانت محجوبة عنها، وتجعل قيادة التوجيه قيادة بناء وإصلاح.

والدعامة الثانية من منهج الإسلام في تحرير العقل هي: تحرير الإنسان من أصفاد الجهل وظلمته، لأن الجهل يقتل مواهب الفكر والنظر، ويطفئ نور القلوب، ويعمي الأبصار، ويميت عناصر الحياة والقوة في الأمم، ويفسد على جماهير الناس، مناهج الدين والتدين، لأن أهل الأهواء، والبدع يجدون في الجهل بتعاليم الدين مجالاً واسعاً لنشر ما يستحدثونه من خرقات، ويسارع بعض الناس بدافع الجهل والثقة العمياء إلى اعتناقها والعمل بها على أنها من الدين، وهم لا يعلمون أن الدين منها براء.

ولقد عنى الإسلام ببناء هذه الدعامة عناية كبرى، فذم الجهل والجاهلين في مواطن كثيرة، كما في قوله تعالى: (يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية) آل عمران:٥٤.

وأنحى باللائمة على الذين يتبعون الظنون والأوهام في عقائدهم وتدينهم، كما في قوله تعالى: (إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون) يونس:٦٦.

وقال تعالى: (وما يتبع أكثرهم إلا ظناً إن الظن لا يغني من الحق شيئاً) يونس:٣٦.

وعظم شأن العلم وحث على طلبه، كما في قوله تعالى: (بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم) العنكبوت:٤٩.

ونوه بفضل الحكمة وما فيها من الخير الكثير كما في قوله تعالى: (يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً) البقرة:٢٦٩.

ويقول رسول الله ﷺ : «لا حسد إلا في اثنين رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس».

ورفع منزلة العلماء وجعلهم أهل خشيته، وقرن شهادتهم بشهادته تعالى، وشهادة ملائكته قال تعالى: (إنما يخشى الله من عباده العلماء) فاطر:٢٨.

وقال تعالى: (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم) آل عمران:١٨.

وجعل العلماء ينابيع العلم، وموارد العرفان، ورواد الحق، ودلائل الهدى، كما في قوله تعالى: (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) النحل:٤٣.

وخصهم بالتعقل والفهم في مقام ضرب المثال، وبيان آيات الله الكونية، كما في قوله تعالى: (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون) العنكبوت:٤٣.

وقال تعالى: (ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين) الروم:٢٢.

وهكذا عرف المسلمون الأولون منزلة العلم وفضله، وأدركوا مبلغ الحاجة إليه في دينهم ودنياهم وبناء مجتمعاتهم ودعم سلطانهم، وأنه هو الذي يوضح معالم السير على النهج القويم ويفتح لهم آفاق الحياة العزيزة الكريمة، ويكشف لهم عن أسرار العوالم الكونية، ونواميسها ويقيم لهم وسائل الحياة والقوة ويبني لهم قواعد السيادة والمجد.

عرفوا كل هذا فوجهوا عزائمهم إلى طلب العلم على اختلاف أنواعها، ولم يشغلهم عن طلبها ترف الحضارة ونعماؤها، ولا ثنت عزائمهم عنها بأساء الحياة وضراؤها.

بحثوا عنها في آيات الله التشريعية، وآياته الكونية، وأقاموا لها في كل قطر إسلامي مناراً عالياً، وجملوا مشاعلها إلى مشارق الأرض ومغاربها، ولم يقفوا بجهودهم عند نتاج عقولهم وأفهامهم، بل اتجهوا بها أيضاً إلى علوم السابقين يدرسونها، ويمحصونها، ويأخذون عنها ويزيدون عليها ما هداهم إليه البحث والنظر والاستدلال.

فاستخرجوها من زوايا الإهمال والنسيان، وأخذوا إبرازها بعد أن زادوه نقاء وصفاء وردوا زائفها بعد أن بينوا زيفه وفساده، لأنهم كانوا يطلبون هذه العلوم طلب الناقد البصير، لا طلب التابع المقلد.

واكتمل لهم من ملكات العلوم والفنون في جيل واحد، ما لم يكتمل لأمة من الأمم الناهضة في أجيال عدة.

وفي ذلك يقول بعض المؤرخين الاجتماعيين من علماء الغرب: إن ملكة الفنون لم يتم تكوينها في أمة من الأمم الناهضة إلا في ثلاثة أجيال: جيل التقليد، وجيل الخضرمة، وجيل الاستقلال والاجتهاد، إلا العرب وحدهم، فقد تمت لهم ملكة الفنون في الجيل الأول الذي بدأوا فيه بمزاولتها.

وإن تعجب لهذه النهضة العلمية التي تخطت مراحل النهوض في الأمم، فعجب أنهم قاموا بها على رغم الأحداث العاتية التي حملوا أعباءها، والحروب الطاحنة التي خاضوا غمارها، لأن الأحداث والخطوب وإن بلغت من العنف ما بلغت، لا تستطيع أن تقف في طريق العقائد التي انطوت عليها القلوب، وانفعلت بها النفوس، ولا أن تمنع العزائم القوية، من الوصول إلى أغراضها وأهدافها.

وبهذه النهضة العلمية استطاع المسلمون أن يعملوا عمل الأقوياء لأن العمل لبناء المجتمعات لا يصدر إلا عن إرادة قوية دافعة والإرادة الدافعة، لا تنبثق إلا من العمل والأمم التي أفقدها الجهل قوة الإرادة وصدق العزيمة، لا يمكن أن تعمل شيئاً.

والدعامة الثالثة: تحرير الإنسان من طاعة الأهواء، والانقياد الأعمى لمغرياتها، الآن طاعة الأهواء من أقوى عوامل انحراف الإنسان في سلوكه في نظره وتفكيره.

ولهذا عنى الإسلام بالتحذير البالغ من اتباع الهوى، والانقياد الأعمى للأشياء، فذم العاكفين على عبادة الأهواء، والأغراض ونعى عليهم ضلالهم وانحرافهم عن الحق إرضاء لأهوائهم كما في قوله تعالى: (إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس) النجم:٢٣.

وقال تعالى: (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون) الجاثية:٢٣. وقال تعالى: (فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم) القصص:٥٠.

وهكذا طالبنا الإسلام بأن نطهر نفوسنا وسلوكنا من الأغراض الخفية والأهواء الدفينة، ونحرر عقولنا وأفهامنا من الخضوع للجهل والانقياد الأعمى، وبهذا يسمو المجتمع ويصل إلى ما قدر له من خير، ومعرفة وفلاح. ■

المراجع :

١ ـ الدكتور أحمد السايح: أضواء حول الحضارة الإسلامية ط. السعودية.

٢ ـ الدكتور أحمد السايح: مستقبل الحضارة الإسلامية ط. الأزهر.

٣ ـ الدكتور أحمد السايح: فلسفة الحضارة الإسلامية ط. المجلس لأعلى ـ القاهرة.

٤ ـ الأستاذ سليمان حزين: دراسة في مؤتمرات مجمع البحوث الإسلامية ـ الأزهر

٥ ـ الدكتور أحمد السايح: مجلة قافلة الزيت مجلد ١٣٩١ الظهران.

٦ ـ الأزهر: بحوث مؤتمرات مجمع البحوث.

٧ ـ عباس محمود العقاد: التفكير فريضة إسلامية ط. القاهرة.

٨ ـ دراسة: مجلة الرسالة الإسلامية ـ القاهرة.

٩ ـ د. محمد أحمد خلف الله: أثر الحضارة الإسلامية في رقي الإنسانية ط. الأزهر.

١٠ ـ د. محمد فتحي عثمان: القيم الحضارية ط. السعودية.

١١ ـ د. علي أحمد مدكور: الثقافة والحضارة في التصور الإسلامي ـ مجلة الدارة السعودية.

بقلم : د. أحمد شوقي الفنجري

(اليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية)!!

في كل عصر من عصور التاريخ... ومنذ نزول القرآن الكريم في القرن السادس الميلادي وحتى يومنا هذا... كانت تظهر لكل جيل من الأجيال المتعاقبة معجزة جديدة للقرآن تثبت أن هذا الكتاب لا يمكن أن يكون من صنع البشر، بل هو من عند الله تعالى.

لقد كانت المعجزة الأولى التي بهرت العرب وأعجزت ألسنتهم هي المعجزة البلاغية... وذلك باعتبار أنهم أهل البلاغة والكلام... فجاءهم الإعجاز في فنهم الذي تفوقوا فيه وأتقنوه... ثم ظهرت بعد ذلك للإنسانية المعجزة التشريعية، عندما طبقت تعاليم الإسلام فخلقت أعظم وأقوى أمة ظهرت في التاريخ الإنساني... وقد تفوقت على أعظم حضارتين عريقتين وأكبر قوتين في عصرها هما الفرس والرومان، وصنعت خير أمة أخرجت للناس.

واليوم ونحن في القرن العشرين ومشرفون على القرن ٢١، وهما عصرا التفجر العلمي... ابتدأت تظهر في القرآن الكريم الكثير من المعجزات العلمية مع كل اكتشاف علمي حديث... وحديثنا هنا حول جسد فرعون مصر الذي جاء ذكره في القرآن ولم يشر إليه أي كتاب سماوي آخر.

فلنبدأ القصة من أولها ونسير مع المستشرقين الأوروبيين وعلماء الأديان والمؤرخين الذين ما أن سمعوا عما جاء في هذه الآية حتى أخذوا يتابعونها بالبحث جيلاً وراء جيل:

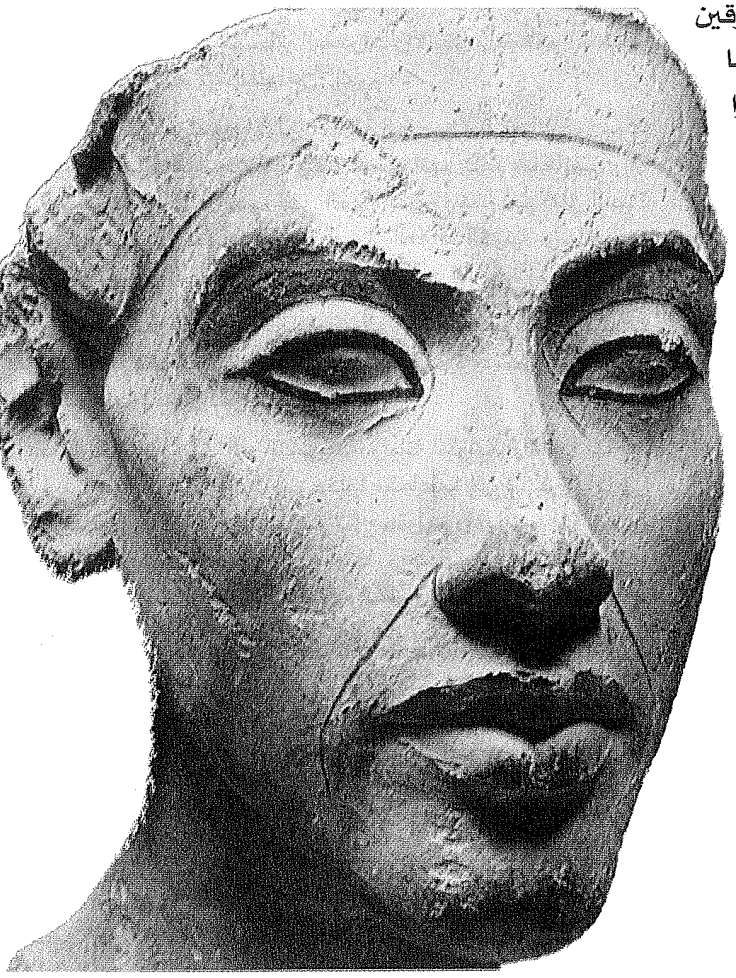

اكتشاف معجزة جديدة في القرآن الكريم

يقول الله تعالى في سورة يونس الآيات: ٩٠-٩٢: (وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فاتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعدوا حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين. آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين. فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون).

فما قصة بدن فرعون الذي جاء في هذه الآية الشديدة الإيجاز، العظيمة الإعجاز، وأي فرعون هو من بين فراعنة مصر وفي أي سنة حدث شق البحر وأين مكانه... وما المقصود بقوله تعالى: (ننجيك ببدنك)؟

وكبداية نقول: إن حادث الخروج وشق البحر وغرق فرعون من المعجزات الربانية الكبرى التي تهم أبناء الديانات الثلاث... اليهودية والمسيحية والإسلام... وليست خاصة باليهود وحدهم.

ومن هنا كان اهتمام الجميع يهودا ومسيحيين ومسلمين وبخاصة «علماء الآثار الفرعونية أي (علم المصريات)» بكل ما يتصل بهذا الحادث.

والسؤال الأول الذي ظلوا يبحثونه من هو هذا الفرعون الذي جاء ذكره في الكتب الثلاثة، فالمعروف أن كلمة فرعون لقب أي ملك من ملوك الفراعنة وليست اسماً لملك محدد...

وهنا يتفق علماء التوراة مع علماء المصريات أن حادث الخروج كان ١٢٠٤ق.م(٢) أي أنه منذ ٣٢٠٤ سنة بتاريخ ٢٠٠٠م، وهم يحددون هذا اليوم بيوم عاشوراء الذي يصوم فيه اليهود والمسلمون معاً في التاريخ نفسه، فعندما وصل الرسول - صلى الله عليه وسلم - مهاجراً إلى المدينة وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم عنه قالوا إنه يوم نجى الله موسى من فرعون فأمر المسلمين بالصيام فيه أيضاً وقال لهم: (أنتم أحق بموسى منهم فصوموه)(٣)، وبذلك يكون فرعون الخروج هو «مرنبتاح ابن رمسيس الثاني»، والذي حكم مصر من ١٢٢٤ق.م، ومات ١٢٠٤ ق.م، ورواية التوراة أنه قد مات غرقاً في البحر وأنه وجنوده وخيله قد هبطوا في قاع البحر كالحجر أو كالرصاص فتقول التوراة في سفر(٤) الخروج رقم (١٣-٢٨): «ومد موسى يده على البحر فأجرى الرب البحر بريح شديدة كُلَّ الليل وجعل البحر يابسة وانشق الماء فدخل بنو إسرائيل في وسط البحر على اليابسة والماء سور لهم عن يمينهم ويسارهم» وعندما دخل فرعون الطريق نفسه وراءهم بجنوده وخيله، تقول التوراة: «فمد موسى يده على البحر فرجع البحر عند إقبال الصبح إلى حاله الدائمة. فرجع البحر وغطى جميع مركبات وفرسان جميع جيش فرعون الذي دخل وراءهم البحر لم يبق منهم ولا واحد» ثم تستطرد التوراة عن فرعون وجنوده أنهم «قد هبطوا في الأعماق كحجر» وأيضاً «غاصوا كالرصاص في مياه غامرة». وقد فسر علماء بني إسرائيل هذه الفقرة من التوراة بأن جثمان فرعون وجنوده وخيله قد أكلتهم الحيتان والأسماك في قاع البحر ولم يبق منهم شيء وبخاصة أن عرض البحر في هذه المنطقة كان نحو ٣٠ كيلو متراً، كما يذكر علماء المصريات(٥)... ولابد أن عمقه كان كبيرا جداً.

ورواية القرآن لا تختلف في أساسها عن رواية التوراة والأنجيل في قصة الخروج وغرق فرعون إلا من حيث ما أضافه القرآن عن ظهور بدن فرعون بعد ذلك... وتفسير قوله (اليوم ننجيك ببدنك) فمعناه أن خلفاء الملك «مرنبتاخ» سوف يجدون هذا هذا الجسد ويتعرفون عليه، ثم يضعونه في مقبرة... وأن هذا الجسد سيعرض على الناس ويعرفونه باسمه ليكون لمن يأتي بعده من الأجيال آية وعبرة. وهذا ما حدث بالفعل: كما أخبر عنه القرآن منذ ١٤ قرناً من الزمان.

فانطلاقاً من هذه المعلومة الجديدة التي جاء بها القرآن وانفرد بها عن غيرة من الكتب السماوية السابقة ابتدأ السباق المحموم بين العلماء في التخصصات المختلفة للبحث عن جثمان هذا الفرعون بالذات بين جميع مومياوات الفراعنة.

وفي العام ١٨٩٨م بينما كان عالم الآثار المصرية لوريت الفرنسي(٦) يبحث في مقابر طيبة المدفونة على بعد أمتار تحت التراب في مدينة الموتى إذ اكتشف مقبرة فاخرة تحت الأرض وعلى جدرانها نقوش فرعونية جميلة ومعبرة بألوانها، كما اكتشف في هذه المقبرة موميا الملك المحنطة تحنيطاً متقناً وجيداً مما حفظها بجميع ملامحها عبر ثلاثة آلاف عام. ولما كانت اللغة الهيروغليفية قد اكتشفت قبل ذلك بقليل إذ اكتشف أسرارها للمرة الأولى العالم شامبليون في سنة ١٨٢٩م فقد عكف فريق كبير من العلماء - منهم الأجانب والمصريون - على دراسة كل النقوش في الحوائط والتابوت وأوراق البردي الموجودة بها... وطار الخبر إلى جميع أنحاء العالم باكتشاف موميا مرنبتاخ فرعون مصر الذي تحدث القرآن عن نجاة بدنه.

وتشير هذه النقوش إلى عدد من الحقائق المهمة جداً:

١ - أن هناك ثلاثة فراعنة حكموا بالتوالي وارتبطوا ببني إسرائيل: الأول هو رمسيس الثاني، وهو من يطلقون عليه فرعون الاضطهاد وقد حكم مصر ٦٦ عاماً.

٢ - ثم تلاه ابنه مرنبتاح الذي يطلق عليه فرعون الخروج وقد حكم ٢٠ عاماً.

٣ - ثم تلاه ابنه سيتي الثاني(٧) الذي حكم بعد غرق أبيه في البحر وهو الذي اكتشف جثمان أبيه بعد أن طفا على البحر في مكان العبور والذي يُشار إليه في التوراة بأنه عند فم الحيروت، والحيروت هي مدينة طيبة في الصعيد وأمر بتحنيطه وبناء مقبرة له وسجل له تاريخه الحربي بداخلها جرياً على عادة الفراعنة في حفظ آثارهم.

٤ - وقد حسمت هذه النقوش قضية الخلاف حول اسم فرعون الخروج ففيها أول إشارة في آثار الفراعنة إلى بني إسرائيل، وأن هذا الملك في عهده «محيت إسرائيل من مصر ولم يعد لها بذور».

وفي سنة ١٩٠٧م قررت الحكومة المصرية بتوصية من العلماء نقل الجثمان من طيبة إلى مقبرة المتحف الفرعوني في القاهرة، حيث وضعت في تابوت زجاجي لتعرض على زوار المتحف بعد أن نزعت عن وجهه وجسمه اللفافات والأربطة التي يضعها الفراعنة حول

المومياء الملكية... ومنذ ذلك الحين والمومياء تتعرض لجميع أنواع الفحوصات الدقيقة جداً والمتطورة للتأكد أن هذا الملك قد مات غرقاً في البحر... فقد قامت لجنة من العلماء بفتح ثغرة في جدار القفص الصدري وأدخلوا منها منظاراً دقيقاً لفحص القفص الصدري وتجويف البطن، كما أخذت من الجثة أجزاء ميكروسكوبية لفحص الخلايا في كل من معامل لندن وباريس. وقد تأكد العلماء أن هذا الفرعون قد مات بسبب الغرق في الماء بجانب إصابته برضوض عميقة ظهرت على الجسد عند انقضاض الموج عليه... ومما زاد التأكد أن هذه هي المومياء الفرعونية الوحيدة التي لونها أبيض، وقد عللوا ذلك بترسب أملاح البحر وبخاصة كلوريد الصوديوم في خلايا الجسم.

وقد اشترك في الفحص لجان من هيئة الأمم المتحدة وعلماء آثار من كل الديانات وأطباء وعلماء مصريون. وقد أخذت لوجه الفرعون صور فوتوغرافية تبين شكله وملامحه، وعملت له صور بالأشعة السينية للهيكل العظمي، ونشرت هذه البيانات في جميع وسائل الإعلام العالمية.

وتطوعت هيئة اليونسكو - في الأمم المتحدة - بإعادة ترميم هذه المومياء وغيرها من المومياوات الفرعونية والتأكد من صيانتها لآلاف السنين المقبلة، حيث أرسلت إلى باريس وقامت اللجان العلمية العالمية بهذه المهمة الدقيقة.

وفي العصر الحاضر... وفي عهد الرئيس حسني مبارك ووزير الثقافة فاروق حسني ظهر رأي مهم(٨) يرى أن هذه المومياء هي في الواقع كنز قومي وتاريخي يجب المحافظة عليه وأن وجودها في المتحف الفرعوني وفي عارضات غير محكمة عرضة للرطوبة والأشعة سيتلفها خلال سنوات قليلة بعد أن ظل الفراعنة يحافظون عليها على مدى ثلاثة آلاف عام... فقامت مصر بمساعدة هيئة اليونسكو العالمية بتخصيص قاعة حديثة جداً تمنع عن جميع المومياوات كل تقلبات الطقس والرطوبة والأشعة والملوثات البيئية وفي الوقت نفسه تسمح برؤية جيدة للمتخصصين والباحثين من جميع أنحاء العالم وجميع الديانات... وجعلوا رسوم الدخول لجناح المومياوات وحده أضعاف دخول المتحف عامة.

فكما يقول العلماء إن هذه المومياء هي الشاهد الوحيد الباقي على وجه الأرض على معجزة شق البحر وعلى ما ذكره القرآن من نجاة بدن فرعون.

وهناك اليوم تفكير عالمي أن تقوم المتاحف العالمية مثل متحف الشمع أو متاحف الحضارة الإنسانية بصنع تماثيل مجسمة لهذا الفرعون بملابسه الحربية ودرعه وهو يركب عربته الحربية التي تجرها الخيول المتحفزة والمتوثبة ويمسك في يده الرمح والسيف ويوضع التمثال في المتاحف أو في نصب تذكاري ينشأ عند نقطة العبور والخروج على البحر الأحمر كما فعلوا مع غيره من مشاهير التاريخ المحسن عنهم والمسيء، ومنهم الإسكندر الأكبر ونابليون.

وجدير بالذكر هنا أن العلم الحديث يمكنه في العصر الحاضر أن يصنع وجهاً مشابهاً طبق الأصل - تقريباً - للشخص الميت من رسوم الجمجمة، إذ يصنعون جمجمة مشابهة لها ويضعون فوقها مواد وعجائن طبقة فوق طبقة بشكل مدروس حتى تصل إلى ٩٠٪ من الشبه الأصلي.

وآخر صيحة في هذا المجال(٩) هي إعادة التفاصيل عن طريق الكمبيوتر الذي تصل درجة الإتقان فيه إلى ٩٩٪ من الأصل.

وهذا العلم يستخدم الآن في جميع مراكز الشرطة في الدول المتقدمة لمعرفة أي شخص مفقود أو مقتول من مجرد التأكد صورة الجمجمة.

لقد نزل القرآن الكريم في القرن السادس الميلادي وفي جزيرة العرب، حيث لم يكن هناك علم بالفراعنة ولا علم المصريات .

وقد ظلت الإنسانية كلها تجهل كل شيء عن وادي الملوك ومقابرهم في مدينة طيبة، حيث إنها ظلت مدفونة تحت الأرض لمدة تزيد عن ثلاثة آلاف سنة، ولم تكشف هذه المقابر إلا في القرن التاسع عشر، وطوال هذه القرون الطويلة ظل أمر هذا الجثمان مجهولاً حتى بالنسبة للصوص الآثار الذين عبثوا بالكثير غيرها. ولكي تكتمل المعجزة القرآنية شاءت إرادة الله أن تنجو هذه المقبرة بالذات من عبث اللصوص ليظهر هذا الجثمان في المتحف كما قال الله تعالى: (اليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية) فهل يستطيع أي مكابر بعد هذا أن يدعي أن هذا القرآن من تأليف البشر أو أنه ليس من كلام الله. ■

مراجع البحث :

١ - جاء ذكر الفراعنة في القرآن والذين ارتبطوا ببني إسرائيل في مصر في ٧٥ سورة منها سور عن رمسيس الثاني الذي يسمى فرعون الاضطهاد، ومنها عن ابنه مرنبتاح الذي يطلق عليه فرعون الخروج.

٢ - كتاب «مصر القديمة» تأليف د. سليم حسن ج٧ عصر مرنبتاح ورمسيس الثالث ص ١٠٩ مطبعة الكتب المصرية القاهرة سنة ١٩٥٠.

٣ - رواه البخاري ج٦٣-٩ باب صوم يوم عاشوراء الحديث رقم ١١١ وتاريخ الطبري ج/ ٢٩٧.

٤ - العهد القديم - سفر الخروج رقم ١٣ - ٢٩.

٥ - قاموس الكتاب المقدس تأليف نخبة من الأساتذة المتخصصين في علم اللاهوت - الناشر دار الثقافة طبعة رقم ٨ ص٨٩٨ بعنوان فرعون الخروج.

٦ - كتاب «القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم»، تأليف الطبيب الفرنسي - د.موريس بوكاي الترجمة العربية نشرة دار المعارف القاهرة طبعة سنة ١٩٧٩ من ص ٢٦٦ - ٢٧١.

٧ - كتاب رحلة بني إسرائيل إلى مصر الفرعونية والخروج تأليف عطاس عبدالملك خشبة نشرة دار الهلال طبعة ٢.

٨ - وزير الثقافة المصري الفنان فاروق حسني في بيان له في التلفاز المصري والقناة الفضائية عن المتحف الفرعوني.

٩ - كتاب الإسلام والفنون للمؤلف باب صناعة التماثيل ص ٨٤ - ٨٥ طبعة سنة ١٩٩٨م دار الأمين للطباعة والنشر أو مكتبة مدبولي.

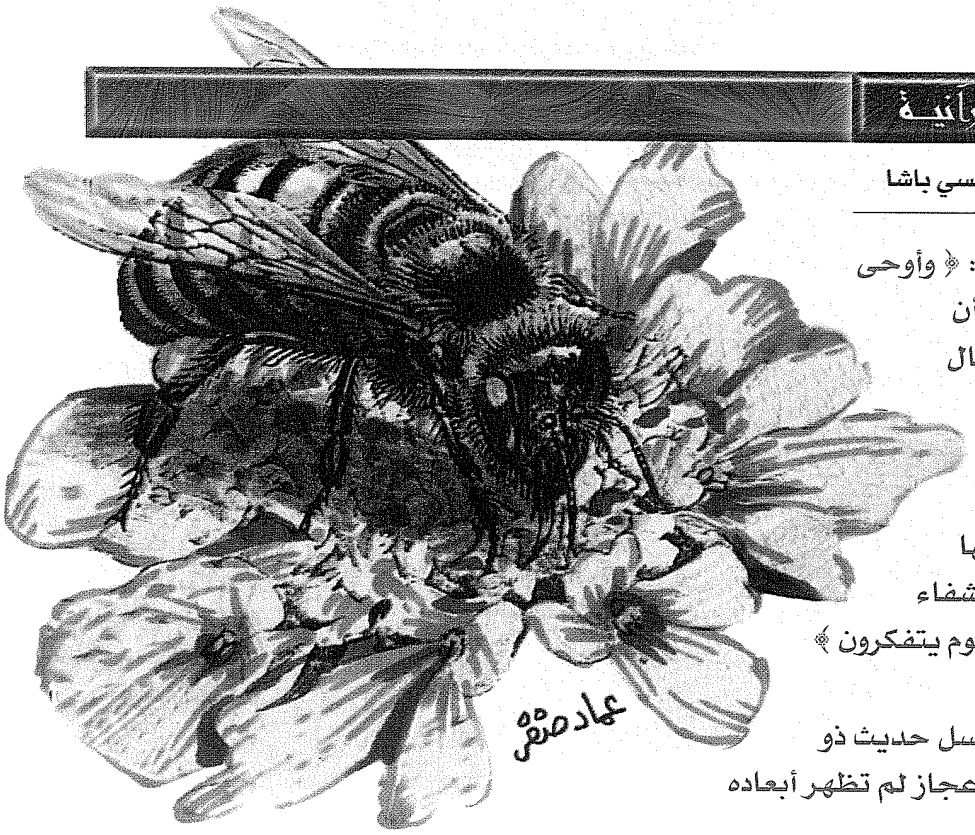

نظرات في آيات النحل

بقلم : د. حسان شمسي باشا

قال الله تعالى: ﴿ وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون. ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذُللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون ﴾ النحل: ٦٨ . ٦٩.

الحديث عن النحل والعسل حديث ذو شجون، وفي آيات النحل إعجاز لم تظهر أبعاده إلا في العصر الحديث.

ففي خطاب الله سبحانه وتعالى للنحل استعمل صيغة التأنيث (أن اتخذي)، وهذا يتوافق مع ما هو عليه عالم النحل، فغالبية النحل من الإناث، وتترأسهم ملكة، أما الذكور فعددهم قليل، ولا دور لهم سوى التنافس على تلقيح الملكة، فمتى تم ذلك مات الذكور.

ويقول تعالى: (ثم كلي من كل الثمرات)، فلماذا بدأت الجملة بـ (ثم) ولم تبدأ بحرف عطف آخر كالواو أو الفاء، ونحن نعلم أن حرف العطف «ثم» يعني الترتيب مع التراخي أو التأجيل، فماذا في العلم من جديد؟

يقول الأستاذ الدكتور محمد علي البنبي - أستاذ علم النحل في جامعة عين شمس -: «حين يخرج النحل من خليته مهاجراً ليبني عشاً جديداً، فإنه يحمل في بطنه كمية كبيرة من العسل يدخرها لرحلة المجهول، وقد تبلغ كمية العسل هذه من الوزن ما يفوق وزن النحلة ذاتها، وحين يجد المسكن الجديد يسكن النحل تارة ليفرغ ما عنده من العسل، ولابد من عملية تحويل جزء من هذا العسل إلى شمع يبني به أقراص النحل، ومن ثم يفرغ ما بقي في بطنه من عسل، وبعد ذلك كله يخرج النحل للبحث عن الغذاء.

أليس في هذا مثل آخر من إعجاز القرآن الكريم؟!

ثم قال عز من قائل: (فاسلكي سبل ربك ذُللاً)، وقد رأى الإمام القرطبي وابن كثير أن السبل هي الطرق، إلا أن الإمام الرازي رأى في تلك الآية معنين: أحدهما أن سبل ربك هي الطرق التي ألهم الله النحل أن تصنع بها العسل فقال: «والمعنى: ثم كلي من كل ثمرة تشتهينها، فإذا أكلتها فاسلكي سبل ربك في الطرق التي ألهمك الله وأفهمك في عمل العسل، أو أن يكون المراد: فاسلكي في طلب تلك الثمرات سبل ربك».

أجل: (فاسلكي سبل ربك ذُللاً) فاصنعي رحيق الأزهار وحبوب اللقاح وعسلاً وغذاء ملكياً وسماً وشمعا، وعكبراً وخمائر مختلفات.

فمن علَّم هذا الكائن الضعيف علم الصيدلة والكيمياء؟ ومن علَّمها أن تمزج قدراً من هذا وقدراً من ذاك ثم تضيف إليه ما خلق الله في جوفها لتخرج لنا مواد شافية مختلفة التركيب؟!

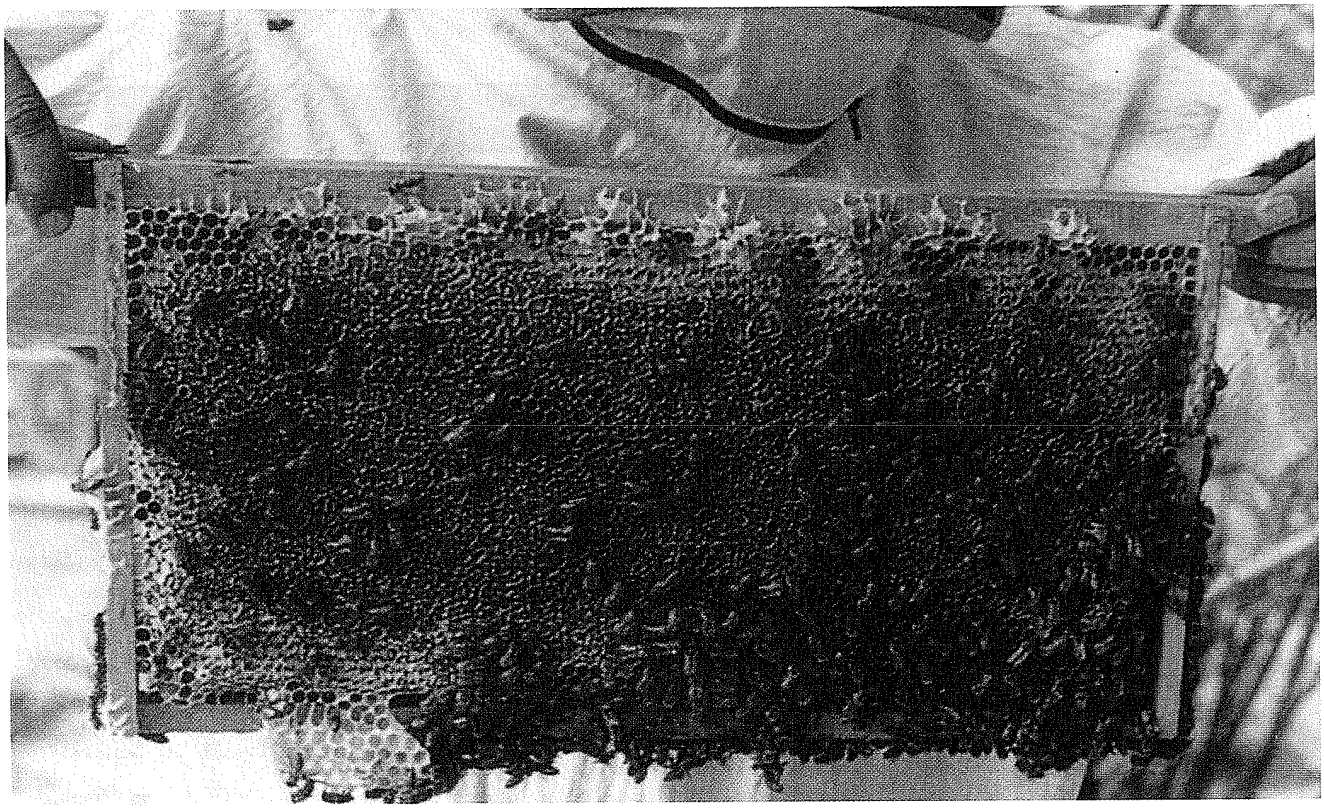

ثم قال سبحانه: (يخرج من بطونها شراب)، وقد يقول قائل: تذكرون أيها المسلمون أن قرآنكم جاء بأن في العسل شفاء (فيه شفاء للناس)، ونحن نعلم كثيراً من الأمم القديمة كالفراعنة واليونانيين والرومان كانوا يستعملون العسل في علاجاتهم، كما أن ذكر العسل قد ورد في الكتب السماوية السابقة، فأي إعجاز هذا هو؟

ونقول لهذا السائل: إن إعجاز آية النحل لا يكمن في ذكر أن العسل شفاء للناس فحسب، بل الإعجاز كله يكمن في ثلاثة أمور:

أولها: أن الله تعالى لم يذكر العسل صراحة في الآية فقال: (يخرج من بطونها شراب)، ولم يقل: «يخرج عسل»، وترك للإنسان أن يدرس ما يخرج من النحل من مواد: غذاء ملكي.. وعكبر... وشمع.. وسم نحل، يدرس خصائصها وتركيبها.

وهذه هي مرحلة «التعرف».

ثانيها: أن في هذا الذي يخرج من النحل شفاء: ففي العسل شفاء... وفي غذاء الملكة شفاء... وفي العكبر شفاء... وفي الشمع شفاء... حتى في سم النحل ذاته شفاء...وكيف يتأكد الإنسان أن في هذه المواد شفاء دون أن يبحث فيها ويتدبر ويجري الدراسات والأبحاث ليتعرف على الخصائص العلاجية الشافية لهذه المواد؟

وهذه هي مرحلة «البحث العلمي في المختبرات».

ثالثها: قوله تعالى: (فيه شفاء للناس)، فلم يقل تعالى: «شفاء لكل الناس»، بل ترك الأمر مطلقاً ليبحث العلماء عن الأمراض التي جعل الله في هذه المواد لها شفاء، وفي هذا حث للإنسان أن يقوم بإجراء الدراسات لمعرفة الناس الذي تشفي أمراضهم هذه المواد.

في كلمات ثلاث (فيه شفاء للناس) معجزات ومعجزات، لفت فيها النظر إلى ما يخرج من بطون النحل، ثم قال: إن في هذا وذاك شفاء، وترك الأمر لنا لنعرف من يشفي بهذا ومن يشفي بذاك.

في كلمات ثلاث... أرسى الله قواعد البحث العلمي في الطب وعلم الأدوية، فحين يعتقد العلماء أن في نبات ما مادة دوائية، يدرسون تركيبها وخصائصها أولاً... ثم يجرون أبحاثاً في المختبرات... ليتعرَّفوا على الخصائص الشافية لها، وهذه هي المرحلة الثانية، ثم ينتقل البحث إلى الإنسان، فتجرى الدراسات على المرضى الذين يمكن أن تكون لهم شفاء.

ألم يختم الله تعالى آية النحل بقوله: (إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون)؟!

يقول الدكتور محمد علي البنبي: ولم يذكر القرآن الكريم صراحة أن العسل هو الذي يخرج من بطون النحل أو أنه هو الذي فيه شفاء للناس، لأن الله يخرج من بطون النحل مواد متعددة شافية، لكنها لم تكن معروفة حين نزول القرآن على سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم، فكأن هذه الجملة الموجزة تتضمن المعنى الذي كان معروفاً في عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - عن القيمة العلاجية للعسل، والمعنى الذي لم يعرف

إلا في القرن العشرين عن القيم العلاجية لكل من الغذاء الملكي والشمع وحبوب اللقاح والعكبر وسم النحل، وازدياد القيم الطبية للعسل يوماً بعد يوم.

ونتساءل، لماذا استعمل الله كلمة (بطونها) بصيغة الجمع، في حين جاءت كلمة (شراب) بصيغة المفرد؟

والجواب: أنه وإن تعددت بطون النحل ومصانع العسل الإلهية هذه، إلا أن النتيجة واحدة والشراب واحد، شراب خصه الله بما خصه من مزايا ليكون للناس شفاء ورحمة.

وفي قوله عز من قائل: (فيه شفاء للناس)، يقول الإمام القرطبي في تفسيره:

«وفي ذلك دليل قاطع على جواز التعالج بشرب الدواء وغير ذلك خلافاً لمن كره ذلك من جلة العلماء، وهو يرد على الصوفية الذين يزعمون أن الولاية لا تتم إلا إذا رضي بجميع ما نزل به من البلاء، ولا يجوز له مداواة، ولا معنى لمن أنكر ذلك».

هل في العسل شفاء لكل الناس؟

يقول الإمام القرطبي في تفسيره «الجامع لأحكام القرآن»:

«اختلف العلماء في قوله تعالى: (فيه شفاء للناس)، هل هو على العموم أم لا؟

فقالت طائفة: هو على العموم في كل حال ولكل أحد، فروي عن ابن عمر أنه «كان لا يشكو قرحة ولا شيئاً إلا جعل عليه عسلاً، حتى الدمل إذا خرج عليه طلى عليه عسلاً».

وقالت طائفة: «إن ذلك على الخصوص ولا يقتضي العموم في كل علة وفي كل إنسان، بل إنه خبر عن أنه يشفى كما يشفى غيره من الأدوية في بعض الأمراض، وعلى حال دون حال، ففائدة الآية إخبار منه أنه دواء لما كثر الشفاء به، وصار خليطاً ومعيناً للأدوية في الأشربة والمعاجين». ومما يدل على أنه ليس على العموم: أن (شفاء) نكرة في سياق الإثبات، ولا عموم فيها باتفاق أهل اللسان، وحقيقي أهل العلم ومختلفي أهل الأصول.

ولكن حملته طائفة من أهل الصدق والعزم على العموم، فكانوا يستشفون بالعسل من كل الأوجاع والأمراض، وكانوا يشفون من عللهم ببركة القرآن وبصحة التصديق والإيقان.

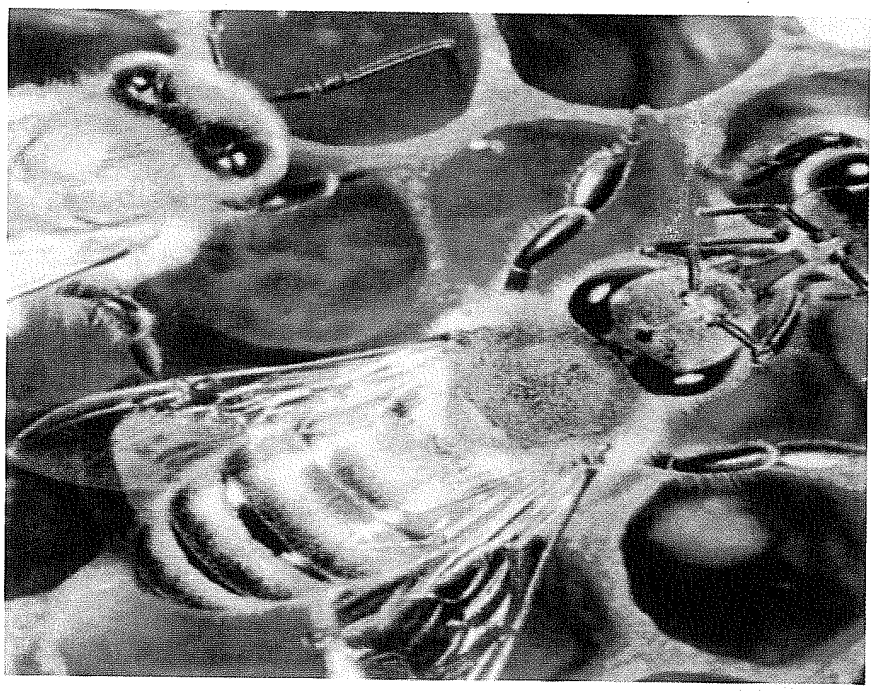

وقال الزمخشري في الكشاف:

«وليس الغرض أنه شفاء لكل مريض، كما أن كل دواء كذلك، وتنكيره إما لتعظيم الشفاء الذي فيه، أو لأن فيه بعض الشفاء وكلاهما محتمل.

وقال ابن كثير في تفسيره: «وقوله: (شفاء للناس)، أي في العسل شفاء للناس، أي من أدواء تعرض لهم، قال بعض من تكلم عن الطب النبوي: لو قال: فيه الشفاء للناس لكان دواء لكل داء، ولكن قال: (فيه شفاء للناس).

وقال الإمام الفخر الرازي: إنه تعالى لم يقل: (إنه شفاء لكل الناس)، ولكل داء وفي كل حال، بل لما كان شفاء للبعض ومن بعض الأدواء صلح بأن يوصف بأنه فيه شفاء، وينبغي التنبيه إلى أن آية النحل هي الآية الوحيدة في القرآن التي ذكر فيها الشفاء منسوباً إلى أي شيء مادي - وهو ما يخرج من بطون النحل - في حين وردت كلمة الشفاء في ثلاث آيات قرآنية أخرى، وكلها نسبت إلى القرآن الكريم نفسه.

قال جل شأنه: (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين) الإسراء:٨٢.

وقال تعالى: (قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور) يونس:٥٧.

وقال أيضاً: (ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء) فصلت:٤٤. ■

من علّم هذا الكائن الضعيف علم الصيدلة والكيمياء ؟ ومن علّمها أن تمزج قدراً من هذا وقدراً من ذاك ثم تضيف إليه ما خلق الله في جوفها لتخرج لنا مواد شافية مختلفة التركيب ؟!

بقلم : عبدالله بدران

وظائف الأخبار في الإعلام الإسلامي

حرص الإسلام على بناء الإنسان الصالح، وإعداده الإعداد الإيماني السليم. وبناء هذا الإنسان هو حجر الزاوية في صلاح الحياة عموماً، ومن هذا المنطلق عالج الإسلام وظائف الإعلام بشكل عام، ووظائف الأخبار الصحفية بشكل خاص، وحرص على أن تكون مجال ترقية لاهتمام الإنسان قبل تلبية تلك الاهتمامات، فالإعلام المعاصر يلبي الاهتمامات بعد أن يضعها بالشكل غير السوي، أو بعد الفساد، أما الإعلام الإسلامي، فإنه ينشد الترقي إلى اهتمامات خاصة تساعد على تغيير نمط الحياة، وأسلوب عمل المسلم ونشاطه.

ويمكن تبين الأهمية الكبيرة التي يوليها الإعلام الإسلامي للأخبار الصحفية من خلال الوظائف المهمة التي تؤديها، ونتلمس آثارها في المجتمع الإسلامي والشعوب غير الإسلامية، ويذكر أحد الباحثين أن الوظائف العامة للأخبار تنطلق أساساً من خاصية إنسانية تتمثل في رغبة الإنسان في المعرفة، وهي فطرة خلق الله تعالى الإنسان عليها، وجعلها خاصية من خصائصه، ميزته عن كل المخلوقات الأخرى، «فما يسمى بغريزة الفضول البشري أو حب الاستطلاع إنما تولدت لدى الإنسان نتيجة لرغبته في المعرفة»(١).

ويعرف الخبر الصحفي في الإعلام الإسلامي بأنه تزويد الجماهير بالحقائق الموضوعية المتعلقة بالأمور المهمة والضرورية وغير المعروفة مسبقاً بهدف الإفادة الدينية والدنيوية، وذلك باستعمال مختلف وسائل الإعلام الحديثة المتطورة والمناسبة.

أو هو من وجهة نظر أخرى: المعلومات الدقيقة والصادقة التي تصف أو تشرح واقعة جرت وتهم فئة من الفئات أو جماعة من الجماعات التي تعرفها للمرة الأولى.

وفي خضم الصراعات العنيفة التي يشهدها العالم في جوانب شتى من أمور الحياة، والتسابق نحو الظفر بالأمور الدنيوية، ونيل ما لذ وطاب من إغراءاتها، والابتعاد عن الأخلاق الحميدة والآداب الفاضلة والسلوك السوي، وازدياد حالات الانتحار ومعالم البؤس والضياع والاضطراب، فإن الإعلام الإسلامي يجب أن يؤدي دوره بكل اتقان ومهارة، وأن يتحمل أعباءه الكبيرة التي تزداد باطراد، وأن يوظف الأخبار التوظيف الأمثل لها، ضمن الأطر العامة لمنهجه وأهدافه.

وأهم الوظائف التي يضطلع بها الخبر الصحفي في منهج الإعلام الإسلامي:

١ ـ تنمية المعلومات والمعارف:

يشهد العصر الحديث ثورات في معظم العلوم والمجالات، فثمة ثورة في مجال العلم والتكنولوجيا، وثورة في مجال الطب والخدمات الصحية، وأخرى في مجال المعلومات... إلخ. وصارت وسائل الإعلام تؤدي الدور الأساسي في إيصال المعلومات ونقل المعارف والخبرات إلى شتى أنحاء العالم.

ومن هنا وجب على الخبر الصحفي أن يؤدي دوره في إيصال المعلومات المفيدة للمسلمين، واطلاعهم على المعارف الحديثة بهدي من التوجيه الإسلامي الواضح، ووضعهم في صورة ما يجري في جميع بلدان العالم من بحوث وندوات ومؤتمرات ومناقشات بهدف الإفادة منها في خدمة دينهم ودنياهم والرقي بمجتمعهم.

٢ ـ ربط العالم الإسلامي وتوحيد كلمة المسلمين:

حضَّ الإسلام على تدعيم الروابط والصلات بين المسلمين، وازدياد تلاحم بعضهم ببعض، وتمتين أواصر المودة

والقربى بينهم، وأوصى المسلم بأخيه المسلم أنى كان وفي أي وقت. وهذا التوجيه الإسلامي يقتضي «التبصير بقضايا الوطن الإسلامي الكبير، والتعرف على مشكلاته، والمساهمة الإيجابية في حل تلك المشكلات، وتخصيص مساحات في الصحف والمجلات لهذه القضايا وتلك المشكلات، وتخصيص أوقات وأركان في الإذاعة والتلفاز لتناولها والتعليق عليها، وربط المسلمين بها والدعوة المستمرة لوحدة العالم الإسلامي وتضامنه، وشرح ما يترتب على ذلك من قوة مادية وسياسية، وتأثير ذلك في القضايا العالمية والإنسانية، وترميم الجيوب التي يصطنعها الاستعمار لتعويق ذلك».(٢)

٣ ـ توجيه الرأي العام الإسلامي:

يسعى الخطاب الإسلامي إلى تكوين صورة موحدة لدى المسلمين تجاه القضايا التي تمس دينهم، وتعالج حياتهم، وتعنى بشؤونهم، وتتلمس مشكلاتهم.

وهذا الدور يسهم في تشكيل نظرة موضوعية ثاقبة إلى الأحداث الجارية، واتخاذ موقف موحد منها، والقضاء على البلبلة بسبب اختلاف الآراء وتباين الاتجاهات نحوها.

ومن هنا يجب على القائمين على الأخبار في الإعلام الإسلامي مهمة تشكيل «الرأي العام الإسلامي الواحد الذي يعلو على الإقليمية والقومية، ويمجد الإخاء الإسلامي، ويمهد لقضية التضامن الإسلامي، والوحدة الإسلامية»(٣).

٤ ـ إحقاق الحق وإزهاق الباطل:(٤)

تسهم التغطية الإعلامية المكثفة لحدث ما، وإبراز الآراء والأفكار المتضاربة والمتباينة، وتصوير مواطن معينة من الحدث والتركيز عليها، في إحداث تأثير مباشر لدى الناس تجاه ذلك الحدث، وقد يختلط الأمر عليهم، ويصبحون في حيرة من أمرهم، وتغيب عنهم حقيقة الموضوع.

وقد يلبس الباطل لبوس الحق، ويتلون بشتى الصور والألوان، ويتخذ جميع السبل والأسباب لإيهام الناس، وإيقاعهم في شرك الفهم الخاطئ والتفسير المضلل، وقد يؤدي هذا إلى انقسام آراء المسلمين تجاه موضوع ما وميل بعضهم إليه كونه حقيقة ملموسة، وإدراك الآخرين لمراميه، وتيقنهم من زيفه وبطلانه.

وقد حمل البيان الإلهي هذا المعنى بقوله تعالى:

(ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون)(٥).

وبما أن الحق حق لذاته، والباطل باطل لذاته، وما ثبت للشي لذاته، فإنه يتمتنع تحصيله بجعل جاعل، فيكون المراد من تحقيق الحق وإبطال الباطل إظهار كون ذلك الحق حقاً، وإظهار كون ذلك الباطل باطلاً، إما بإظهار الدلائل والبينات، وإما بتقوية رؤساء الحق، وقهر رؤساء الباطل.(٦)

٥ ـ تحصين المجتمع من الدعاية المضادة:

يعيش المسلمون اليوم واقعاً لا يحسدون عليه، فهم محاصرون من جهات عدة، ومحاربون من قوى كثيرة، تتربص بهم الدوائر، وتعد لهم المؤامرات والفتن وتعمل «على تحطيم عوامل المناعة والحصانة والقوة والمقاومة في قلب أمتنا الإسلامية، من خلال بث السموم في العروق حتى خدرتها، وحتى أحدثت تلك التحولات من القوة إلى الوهن، ومن الصمود إلى الاستسلام، ومن المقاومة إلى تقبل ظلال التبعية والنفوذ الوافد في مختلف مجالات الفكر والاجتماع والاقتصاد والتربية والقانون.(٧)

وتقع على عاتق القائمين على الأخبار مهمة تبصير الأمة الإسلامية بالأخطار المحدقة بها، وتحصينها من الفتن والمخططات والمؤامرات، وتطعيمها بالدواء الناجع الفعّال، وإحاطتها بسور واق منيع من القيم والأفكار يصعب على الأعداء اختراقه أو محاولة تجاوزه.

كما يجب عليهم تسليح الأمة بالأفكار المدعمة بالأدلة والبراهين الدامغة، والحجج الواضحة البينة، للوقوف في وجه الدعاية المضادة، التي تهدف إلى إبعاد المسلمين عن دينهم، وفك اللحمة والترابط فيما بينهم، وتشتيت الأمة الإسلامية إلى دول متفرقة، ومجتمعات متناحرة، وإبراز العرقيات والطوائف وتفعيل دورها كوحدات منفصلة عن نسيج الأمة الإسلامية.

٦ ـ الإشادة بالأسلوب الإسلامي ودعم وتأييد العناصر الإسلامية القدوة:

تضمنت آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة إشارات عدة إلى ضرورة الالتزام بالقدوة الحسنة والأسوة المثلى، والسير على نهجها وطريقها، كما تضمنت مدح السلوك الإسلامي السوي، السائر وفق تعاليم الدين الحنيف وهديه.

من قوله تعالى: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً)(٨).

وقوله تعالى:

(أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحُكم والنبوة فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكّلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين. أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده)(٩).

ففي الآيتين حضٌ على الاقتداء بهدي خير العباد عليه الصلاة والسلام، والتأسي بالرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، الذين كانوا رسل هداية وخير للعالمين، وسطروا أروع الأمثلة بجهادهم وصبرهم وتفانيهم لإعلاء دين الله، وهداية العباد نحو تحقيق خيري الدنيا والآخرة.

وقوله عليه الصلاة والسلام.

«عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة»(١٠)، وينظر الإعلاميون إلى القدوة الحسنة على «أنها وسيلة إعلامية مثلى تغني في ذاتها عن بذل الجهود الإعلامية في سبيل دعوة ينشرونها أو فكرة يدعون إليها، أو عقيدة أو فكرة أو سياسة جديدة ينشرونها»(١١).

إن الإخبار عن أمور وأحوال هؤلاء القدوة، وما كانوا عليه من سلوك وأخلاق يسهم في «التأسي بهم في طرق البلاغ وأساليب الإعلام بدين الله، وما هدوا إليه في مسيرتهم جماعات وفرادى، ذلك أنهم أقاموا حياتهم على الحق الموصل إلى سعادة الدنيا والآخرة»(١٢).

كما أن ذلك يؤكد «أهمية النموذج الصالح للاتصال الناجح باعتباره قدوة أو مثلاً حسناً يدفع إلى رغبة في الاتصال به، مما يساعد على سرعة الإقناع وحصول التأثير، وتلك حقيقة ترسخت من ممارسات عبر التاريخ»(١٣).

٧ ـ التصدي للأخبار التي تشيع التخاذل واليأس في نفوس المسلمين.(١٤)

حذر الإسلام أتباعه من العلل التي تفتك ببنيان الأمة الإسلامية، والأمراض التي تقتل مناعتها ضد الانحلال والفساد، والأسقام

التي تنخر نسيجها الاجتماعي المترابط، وأهاب بهم بضرورة الوقوف بحزم تجاه ذلك كله، ودرء أخطاره، والتصدي له بكل قوة.

ولا ريب في أن أعداء الدين الحنيف، سواء كانوا من داخل الأمة الإسلامية أو خارجها، لا يتوروعون في استخدام السبل والأساليب كافة الموصلة إلى غايتهم والمحققة لأهدافهم، ومن ذلك بث الأخبار التي تشيع التخاذل وتسبب اليأس والقنوط، وتنشر حالة من الاكتئاب لدى المسلمين.

وترى التحذير واضحاً في البيان الإلهي حيث يقول تعالى: (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم)(١٥).

قوله تعالى:

(ولا تأيسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون)(١٦).

إن فضح هذه الأخبار المضللة، والتصدي لها، وتبيان أهدافها، يجب أن يقوم به الإعلام الإسلامي، مستخدماً الحجج القوية الدامغة، والبراهين الواضحة النيرة، وهي مهمة ليست سهلة أبداً ولا سيما إذا علمنا أن هؤلاء المتربصين مستعدون لبذل أموال طائلة واستقطاب نفوس مريضة من أجل تحقيق أهدافهم.

٨ ـ التعريف بالقضايا الإسلامية:

يتعرض الإسلام في كثير من الأحيان للانتقاد من شخصيات معروفة، أو جهات ومنظمات وهيئات محلية أو دولية، أو من حكومات ودول مختلفة، وينصب الانتقاد على قضايا إسلامية يرى هؤلاء أن الإسلام ارتكب أخطاء شنيعة فيها، أو أساء إليها، أو خالف فيها الأعراف والمفاهيم السائدة لديهم، أو أنه أهملها وغمطها حقها.

ويزعم أولئك الناظرون بمنظار الحقد الدفين، والتعصب الأعمى أن الإسلام متهم بالإساءة إلى المرأة، وهدر كرامتها، وحرمانها من حريتها واستقلاليتها، والحجر على طاقاتها، وإمكاناتها، والوقوف حجر عثرة أمام انتفاع المجتمع من خدماتها، ويدعون أن الإسلام يحث على سفك دماء الأبرياء بتشجيعه للعمليات الانتحارية، ويرغب في قتل وسلب واغتصاب المخالفين لتعاليمه، الرافضين الانضمام إلى دعوته وهديه.

وبدأت تظهر في السبعينات والثمانينات عن المسلمين نعوت التطرف، والإرهاب، والأصولية، والسلفية، والتشدد، وساهم في نشرها وإطلاقها ورعايتها الاستعمار، ووكلاؤه، هذا الاستعمار الذي لم يغب يوماً عن تقديم كل ما يخدم وجوده، حضارة وفكراً وثقافة وسياسة وتبعية من خلال وسائل الإعلام على اختلافها، وتحت أسماء إسلامية وغير إسلامية، مع أن هذه النعوت غير موجودة في قاموسنا الإسلامي وفي عملنا الإسلامي».(١٧)

ومن هنا وجب تبيان موقف الإسلام من هذه القضايا وهديه وتوجيهه فيها، كما وجب تبيان حقيقة عدد من القضايا الإسلامية الأخرى الراهنة على الساحة الدولية كقضية أفغانستان، وكشمير، والجزائر، والشيشان، وتوضيح رأي الإسلام السليم المعتمد على اجتهادات العلماء الذين تثق الأمة في علمهم وإخلاصهم.

ولابد من التنبيه أيضاً إلى وجود طوائف وفرق شاذة ومنحرفة عن تعاليم الدين الحنيف وهديه، وهذه موجودة لدى جميع الأديان والأمم، وضرورة التفريق بينها وبين ما أجمعت عليه الأمة الإسلامية، وعدم الخلط بين أفعالها المخالفة للدين القويم وتعاليمه الواضحة.

٩ ـ الترويح والترفيه ضمن ما هو مشروع:

دعا الإسلام إلى إقامة حياة الإنسان وفق ميزان دقيق يحقق متطلبات الجسد والروح على حد سواء، دون طغيان أمر على آخر، ودون تجاهل أحدهما بشكل تام.

والنفس البشرية بحاجة ماسة إلى فترات زمنية تقضيها بالمزاح المباح، واللعب المسموح به، والترفيه المرخص به، والترويح وفق الإطار العام للتعاليم الإسلامية.

لذا وجب على الصحافة الإخبارية أن تجمع في أخبارها بين الجاد والترفيهي، وأن تلبي متطلبات القراء الذين يتلهفون لقراءة أخبار جادة تتضمن معلومات سياسية أو اقتصادية أو تجارية أو علمية، والقراء الذين يحبون أن يقرؤوا إلى جانب ذلك أخباراً ترفيهية ترويحية، دون إسفاف مخل، أو انحدار نحو أمور يحرّمها الشرع الحنيف، وتأباها الفطر السليمة.

١٠ ـ ترقية اهتمامات المجتمع الإسلامي وحفزه إلى أعمال الفضيلة وإبعاده عن الانحدار الأخلاقي.

١١ ـ الإسهام في تحريك الكفاءات والطاقات، وبث روح التعاون والعمل والمودة.

١٢ ـ العمل على تأصيل الثقافة الإسلامية فكراً، وقولاً وعملاً للوقوف في وجه الغزو الثقافي الذي يتربص بعقيدتنا وقيمنا وأخلاقنا. ■

الهوامش:

١ ـ كرم شلبي: الخبر الصحفي وضوابطه الإسلامية، دار الشروق، جدة، ط١، ١٩٨٤م، ص ١٥٣.

٢ ـ محمد إبراهيم نصر: الإعلام وأثره في نشر القيم الإسلامية وحمايتها، دار اللواء للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م، ص٣٢.

٣ ـ المرجع نفسه، ص ٧٧.

٤ ـ سعيد إسماعيل صيني: مدخل إلى الإعلام الإسلامي، دار الحقيقة للإعلام الدولي، القاهرة، ١٩٩١، ص ٢٢٦.

(٥) سورة الأنفال، الآية:٨.

٦ ـ وهبة الزحيلي: التفسير المنير، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٩١م، ٩/٢٥٨.

٧ ـ محمد منير سعد الدين: الإعلام، قراءة في الإعلام المعاصر والإعلام الإسلامي دار بيروت المحروسة، بيروت، ١٩٩١، ص٢٩.

٨ ـ سورة الأحزاب: ٢١.

٩ ـ سورة الأنعام: ٨٩-٩٠.

١٠ ـ رواه أبو داود (٤٦٠٧) في السنة، والترمذي (٢٦٧٨) في العلم.

(١١) عبداللطيف حمزة: الإعلام في صدر الإسلام، دار الفكر العربي، القاهرة ص ٦٥.

١٢ ـ سيد محمد سادتي الشنقيطي: أصول الإعلام الإسلامي وأسسه، عالم الكتب، الرياض، ١٩٨٦م، ٢/١٦١.

١٣ ـ الشنقيطي: ٢/١٦٣.

١٤ ـ شلبي: ١٦٤.

١٥ ـ سورة الزمر، الآية ٥٣.

١٦ ـ سورة يوسف ـ الآية:٨٧.

١٧ ـ سعد الدين: ص٩٧.

بقلم : أحمد محمد بكر موسى

الجنسية التأسيسة ومأساة كوسوفا

لقد تزايد اهتمام العالم حالياً بحقوق الإنسان، وأصبح حديث الساعة في جميع أنحاء العالم، ولقد تفاخر الفرنسيون أيما تفاخر بأنهم أول من نادى بحقوق الإنسان وتتفاخر الأمم المتحدة بوضع الإعلان العالمي لحقوق الإنسان سنة ١٩٤٨م.

فهل لنا من إطلالة في الشريعة الإسلامية لنرى موقفها من حقوق الإنسان واحترام آدميته، وكرامته ولنختر موضوعاً من أهم موضوعات حقوق الإنسان وهو حق الجنسية أو حق المواطنة، وحق الجنسية يعني حق كل إنسان في الانتماء إلى دولة معينة ولا يخفى ما في هذا الانتماء من أهمية قصوى تعني تمتع الشخصية بحقوق وتحمله بالتزامات، فأما الحقوق فمنها الحقوق السياسية كحق الانتخاب والترشيح للهيئات السياسية، وكذلك الحقوق المدنية كحق التملك وغيرها وكذلك حق الفرد في حماية دولته في مواجهة الدول الأخرى، وأما الالتزامات فمنها أداء الخدمة العسكرية وتحمل أعباء الضرائب وغيرها كثير.

ومن هذا المنطلق كان الاهتمام الدولي بالجنسية:

فقد أفردت لموضوع الجنسية اتفاقات دولية مستقلة، وقد ورد النص على هذا الحق في اتفاقات أخرى معينة بحقوق الإنسان عموماً.

الاهتمام العالمي بحق الجنسية

يتصدر الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر في العام ١٩٤٨م الاهتمام العالمي بحق الجنسية، وقد نصت المادة ١٥ من هذا الإعلان على التالي:

١ - لكل فرد حق التمتع بجنسية ما.

٢ - لا يجوز تعسفاً حرمان أي شخص من جنسية ولا من الحق في تغييرها.

ومن الإعلانات العالمية التي اهتمت بحق الجنسية أيضاً، الاتفاقية الخاصة بوضع اللاجئين سنة ١٩٥١م، اتفاقية وضع الأشخاص عديمي الجنسية سنة ١٩٥٤م، اتفاقية جنسية المرأة المتزوجة سنة ١٩٥٧م، إعلان حقوق الطفل ١٩٥٩م، اتفاقية خفض حالات انعدام الجنسية سنة ١٩٦١م، إعلان الأمم المتحدة للقضاء على جميع أشكال التمييز العنصري سنة ١٩٦٣م، الاتفاقية الدولية للقضاء على جميع أشكال التمييز العنصري سنة ١٩٦٥م، العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية سنة ١٩٦٦م، إعلان القضاء على التمييز ضد المرأة سنة ١٩٦٧م، الاتفاقية الدولية لقمع جريمة الفصل العنصري والمعاقبة عليها سنة ١٩٧٣م، اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة سنة ١٩٨١م، إعلان حماية الأطفال سنة ١٩٨٦م، وأخيراً اتفاقية حقوق الطفل سنة ١٩٨٩م.

الاهتمام الإقليمي بحق الجنسية

تتصدر الاتفاقية الأميركية لحقوق الإنسان الاهتمام الإقليمي بحق الجنسية وقد نصت المادة ٢٠ من هذه الاتفاقية على التالي:

١ - لكل فرد الحق في جنسية ما.

٢ - لكل شخص الحق في جنسية الدولة التي ولد على أرضها إن لم يكن له الحق في جنسية أخرى.

٣ - لا يجوز أن يحرم الشخص بصورة تعسفية من جنسيته أو من الحق في تغييرها.

ومن الإعلانات الإقليمية التي اهتمت بحق الجنسية الميثاق الأفريقي لحقوق الإنسان والشعوب، مشروع ميثاق حقوق الإنسان والشعب العربي، إعلان حقوق المواطن في الدول العربية، مشروع وثيقة حقوق الإنسان في الإسلام، وأخيراً الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في الإسلام.

وإذا عرفنا أن أنواع الجنسية ثلاث هي الجنسية التأسيسية والجنسية الأصلية والجنسية الطارئة. وإذا كان لنا أن نقرّب هذه الأنواع إلى ذهن القارئ فإن الجنسية التأسيسية هي التي يكتسبها الأفراد في حال قيام الدولة للمرة الأولى، فهؤلاء الذين يكتسبون جنسية الدولة الجديدة يسمون بالمواطنين المؤسسين.

أما الجنسية الأصلية فهي التي يكتسبها الفرد في لحظة ميلاده ولو لم تثبت له إلا لاحقاً، وأما الجنسية الطارئة فهي التي يكتسبها الفرد بعد الميلاد وذلك بإحدى طرق التجنس كالإقامة أو الزواج المختلط أو غيرها من طرق التجنس.

ونريد في هذا اللقاء أن نأخذ موضوع الجنسية التأسيسية ونقارن فيه بين الشريعة الإسلامية وقانون حقوق الإنسان ونعرض لمأساة كوسوفا.

الجنسية التأسيسية في قانون حقوق الإنسان

سبق أن أشرنا إلى الإعلانات والمواثيق التي تناولت حق الجنسية، وحيث إنها تناولت حق الجنسية بصفة عامة ولم تفرق في نصوصها بين أنواع الجنسية الثلاث السابق الإشارة إليها فإننا وبصدد دراسة الجنسية التأسيسية سنتناول منها ما ينطبق على هذا النوع من الجنسية. فمن مواثيق حقوق الإنسان التي عنيت بالجنسية التأسيسية إعلان الأمم المتحدة للقضاء على جميع أشكال التمييز العنصري الذي صدر رسمياً في ١٩٦٣/١١/٢٠م، وقد نصت الفقرة الأولى في المادة الثالثة من هذا الإعلان على التالي: «تبذل جهود خاصة لمنع التمييز بسبب العرق أو اللون أو الأصل الأثني ولا سيما في ميادين الحقوق المدنية ونيل المواطنة...».

وكذلك ورد هذا الحق في الاتفاقية الدولية للقضاء على جميع أشكال التمييز العنصري التي دخلت حيز النفاذ اعتباراً من ١٩٦٣/١/٤م، فقد نصت المادة الخامسة من هذه الاتفاقية على التالي: «إيفاء للالتزامات الأساسية المقررة في المادة الثانية من هذه الاتفاقية، تتعهد الدول الأطراف بحظر التمييز العنصري والقضاء عليه بجميع أشكاله، وبحق كل إنسان دون تمييز بسبب العرق أو اللون أو الأصل القومي أو الأثني في المساواة أمام القانون ولا سيما بصدد التمتع بالحقوق التالية:

د: الحقوق المدنية الأخرى، ولا سيما الحق في الجنسية.

ومن الاتفاقات التي عنيت بالجنسية أيضاً، الاتفاقية الدولية لقمع جريمة الفصل العنصري والمعاقبة عليها والتي دخلت حيز النفاذ اعتباراً من ١٩٧٦/٧/١٨م، فقد نصت الفقرة (ج) من المادة الثانية من هذه الاتفاقية على منع اتخاذ تدابير تشريعية أو غير تشريعية يقصد بها منع فئة أو فئات عنصرية من المشاركة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية للبلد، أو حرمان فئة أو فئات عنصرية من حريات الإنسان وحقوقه الأساسية بما في ذلك... الحق في حمل الجنسية.

وعلى هذا يكون قانون حقوق الإنسان قد أقر مبدأ المساواة في اكتساب الجنسية التأسيسية بغض النظر عن العقيدة أو الأصل القومي أو اللون أو المنشأ أو غيرها من عوامل الخلاف، ولكن كل هذه الإعلانات والاتفاقات ما هي إلا حبر على ورق لا تلتزم به الحكومات ولا تعيره أي اهتمام وذلك على خلاف ما سنرى حالاً في الجنسية التأسيسية الإسلامية.

الجنسية التأسيسية الإسلامية

سبق أن أوضحنا أن الجنسية التأسيسية هي التي يكتسبها الأفراد في حالة نشوء الدولة للمرة الأولى، لذلك يتحتم علينا لكي ندرس الجنسية التأسيسية الإسلامية أن نحدد اللحظة الحاسمة في قيام الدولة الإسلامية بمعايير القانون الدولي العام، ذلك القانون الذي اشترط لقيام الدولة ثلاثة أركان «الشعب، الإقليم، السلطة السياسية».

إنه العام الأول الهجري عندما عاهد

الرسول - ﷺ - اليهود والمشركين في المدينة على العيش في سلام وأن يكونوا يداً على من عاداهم، فبإبرام هذه المعاهدة توافرت الأركان الثلاثة للدولة الإسلامية، ركن الشعب ويتمثل في المسلمين واليهود والمشركين، وركن الإقليم ويتكون في المدينة وضواحيها، وركن السلطة السياسية ويتمثل في الرسول ﷺ رئيس الدولة الجديدة إن صح التعبير.(١)

فعندما قدم الرسول ﷺ إلى المدينة وجدت ثلاث عقائد، الوثنية وتتمثل في المشركين من العرب، واليهودية وتتمثل في بني النضير وبني قريظة وبني قينقاع، والعقيدة الإسلامية وتتمثل في المهاجرين والأنصار.

وهكذا كانت المدينة عند مقدم الرسول - ﷺ - إليها خليطاً من العقائد المختلفة ومن العناصر التي لا يربطها نظام ولا وحدة ولا وفاق، فعمل ﷺ أن ينظمها ويوحد بينها ويجمعها تحت راية الإنسانية العامة، ويقيم بينها التعاون على أساس الإخاء العام، فقد وادع ﷺ اليهود وعاهدهم على أن يكونوا يداً واحدة على من دهم يثرب وكذلك عاهد المشركين من العرب على الدفاع المشترك عن يثرب.

وعلى هذا تكون ركن الشعب في الدولة الإسلامية من عقائد شتى «إسلامية ويهودية ووثنية»، فماذا فعل الرسول ﷺ حيال هذا التباين في شعب دولته؟

التمييز ضد اللون

حارب قانون حقوق الإنسان التمييز ضد اللون وعند قيام الدولة الإسلامية الأولى كان هناك بلال الحبشي الأسود اللون وغيره، فماذا فعل معهم الرسول ﷺ ؟ هل طرد هؤلاء لكي يبقى شعبه مكوناً من لون واحد فقط؟ لم يفعل الرسول ﷺ شيئاً من ذلك، بل عاملهم أفضل معاملة، وكان بلال مؤذن الرسول ﷺ ، وكان لهم حق المواطنة الكامل في الدولة الإسلامية.

التمييز ضد المنشأ

حظر قانون حقوق الإنسان التمييز ضد المنشأ، وعند قيام الدولة الإسلامية الأولى وجد المهاجرون الذين نشأوا في مكة والأنصار واليهود والمشركون الذين نشأوا في المدينة، فهل طرد الرسول ﷺ المهاجرين على أساس نشأتهم في مكة؟ لم يفعل الرسول شيئاً من ذلك وكان للمهاجرين الجنسية الكاملة في الدولة الجديدة.

التمييز ضد الأصل القومي

منع قانون حقوق الإنسان التمييز على أساس الأصل القومي، وعند قيام الدولة الإسلامية وجد سلمان الفارسي وصهيب الرومي وغيرهم من غير العرب فماذا فعل معهم الرسول ﷺ هل حرمهم من مواطنة الدولة الجديدة لكي يبقى شعبه مكوناً من العرب فقط؟ كلا لم يفعل الرسول شيئاً من ذلك وإنما كان لهؤلاء جنسية الدولة الجديدة.

التمييز ضد العقيدة

منع قانون حقوق الإنسان التمييز ضد العقيدة، فماذا فعل الرسول مع اليهود والوثنيين في بداية الدولة الجديدة هل طردهم لكي يبقى شعبه مكوناً من العقيدة الإسلامية فقط؟ لم يفعل الرسول شيئاً من ذلك وإنما أبقى هؤلاء وعاهدهم وأمّنهم على أنفسهم وأبنائهم وأموالهم وجعلهم من مواطني الدولة الجديدة.

لقد تخطى الرسول الكريم برحمته وسماحته القانون الدولي :

لقد تطلب القانون الدولي وجود علاقة روحية بين الفرد والدولة لكي تمنح الدولة الفرد الجنسية، بمعنى أنه لابد أن يكون الفرد محباً للدولة التي ينتمي إليها شاعراً بالولاء لها. فتعالى معي ننظر حال اليهود والمشركين والمنافقين في المدينة المنورة حال قيام الدولة الإسلامية، هل كان لدى أحد من هؤلاء اليهود والمشركين والمنافقين أي حب لهذه الدولة الجديدة أو أي شعور بالانتماء إليها؟ بالطبع لم يكن لديهم شيئ من ذلك كله، بل ظهر منهم الغدر والخيانة للدولة الجديدة ووصل بهم الحد إلى محاولة اغتيال النبي ﷺ ومع ذلك لم يطردهم الرسول الكريم، ولم يحرمهم من حق المواطنة، ولم يفعل معهم ذلك إلا عندما تحالفوا مع مشركي قريش ضد المسلمين وحاولوا تقويض الدولة الجديدة، فعندئذ وعندئذ فقط طردهم النبي ﷺ وهو بهذا لم يفعل أكثر مما تفعله الدول حالياً مع مواطنيها المارقين الخائنين لها المهددين لأمنها. وبهذا يتبين مدى تفوق الرسول ﷺ (الذي لا ينطق عن الهوى) على الفكر البشري المعاصر المتمثل في القانون الدولي وقانون حقوق الإنسان.

الجنسية التأسيسية ومأساة كوسوفا

رأينا كيف أن الرسول ﷺ تقبل في شعب دولته الجديدة جميع العقائد الموجودة «إسلامية، يهودية، ووثنية» وأنه لم يطرد أحداً من أهل المدينة لكونه على غير العقيدة الإسلامية، فماذا يحدث الآن في كوسوفا؟

مع تفكك جمهورية يوغوسلافيا السابقة وتحولها إلى جمهوريات صغيرة كان لابد من تأسيس جنسية تلك الجمهوريات الجديدة، ومن بين تلك الجمهوريات الوليدة جمهورية صربيا التي نظرت إلى ركن الشعب فيها فوجدته يحتوي على عقيدة غير المسيحية، ألا وهي العقيدة الإسلامية المتمثلة في ألبان كوسوفا، فعمدت تلك الدولة إلى قتل وتشريد هؤلاء المسلمين وذلك لتطهير شعبها من هذه العقيدة المخالفة، ضاربة بالقانون الدولي وقانون حقوق الإنسان عرض الحائط.

فأين هذا التطهير العرقي مما فعله الرسول ﷺ عندما أقام الدولة الإسلامية الأولى بالمدينة حيث احتوت على المسلمين واليهود والوثنيين والمنافقين جنباً إلى جنب.

وأخيراً نقول هل قرأ الرسول إعلانات حقوق الإنسان؟ ■

المراجع:

١ - صفي الدين المباركفوري - الرحيق المختوم.

٢ - د. أحمد شلبي - موسوعة التاريخ الإسلامي - الجزء الأول.

٣ - د. فتحي عبدالكريم - الدولة والسيادة في الإسلام.

بقلم : أ.د. محمد الزحيلي

رد الشبهات عن الإرث في الإسلام

إن نظام الإرث في الشريعة الغراء نظام محكم بديع، وتنظيم فريد دقيق، تكفل الله بإقراره في القرآن الكريم، وبيّنه رسول الله ﷺ. وفصّله الأئمة والعلماء والفقهاء بياناً شافياً، وعملت به معظم قوانين الميراث والأحوال الشخصية في البلاد العربية والإسلامية، ولايزال في حيز التطبيق العملي، ويمثل أحد مرتكزات النظام المالي في الإسلام.

وردَّد فريق من الناس بعض الشبهات والاعتراضات عن الإرث عامة، وعن نظام الإرث في الإسلام خاصة، ونذكر أهم هذه الشبهات، ثم مناقشتها، مع بيان الرد الدقيق عليها.

أولاً : منافاة الإرث للعدالة

يرى بعض الناس أن إقرار الإرث عامة، وقواعده خاصة، تتنافى مع العدالة التي تأبى أن يملك الإنسان مالاً لم يتعب في تحصيله، وقد يكون مجموعاً من طرق ظالمة، فالعدالة تقتضي رده لمن يستحقه، ولا ينتقل إلى ورثة الظالم، أو يعطى على الأقل لخزانة الدولة لصرفه على المصالح العامة التي تحقق الخير للناس جميعاً.

وإن إقرار الإرث يؤدي إلى نتائج تأباها العدالة والمنطق والعقل، كالولد الذي يولد من أبٍ غني يورثه أموالاً طائلة، لم يتعب في جنيها وتحصيلها، ولا يتعقل في إنفاقها، ويبددها في الملذات والمآثم، ويركن إليها دون أن يكد ويسعى في الحياة، وفي مقابله ولد يولد من أب فقير ليس له مال يورثه، فيعيش في الفاقة، ويحرم من طيبات الحياة، ويضطر للعمل الدؤوب، فأي ذنب اقترفه هذا الولد الفقير؟ وأي ميزة استحقها ذلك الولد الغني؟ وإن العدالة توجب منع هذا التفاوت، وتفرض المساواة بينهما.

والجواب عن ذلك من وجوه:

١ ـ ما ذنب الولد القصير أو الهزيل؟ وما ذنب الولد الأعرج أو الأعمى أو المشوّه؟ وما ذنب الولد الأبله والمعتوه وناقص العقل والإدراك؟

إن الحياة لم تسو بين الناس في المواهب والألوان والعقول والصفات والميول، وهذا أمر فطري جبلّي، له حِكم كثيرة، بحيث يتحقق التكامل والتعاون والتكافل بين الجميع، قال الله تعالى: (أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سُخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون) الزخرف:٣٢، وفي الآية كلام لطيف وجميل ورائع لعلماء التفسير، ويتفق مع الواقع، ويعالج شؤون الحياة في مختلف جوانبها، مما لا مجال للتوسع فيه.

٢ ـ إنَّ الآباء يورثون أولادهم الخصائص والألوان والمواهب الجسمية، وهي أهم بكثير من الأموال، فلا غرابة أن يورثوهم المال، وما كسبوه في الحياة، لحِكَم كثيرة أيضاً فطرية ونفسية واقتصادية.

٣ ـ إن جميع الأنظمة في العالم، حتى الشيوعية والاشتراكية، وجميع التشريعات ونظم العالم القديم والحديث، تقر تفاوت الطبقات، ولا تساوي بين الموظفين والعمال في الأجور والرواتب عن الجهد المبذول، والعمل والإنتاج، وتميز العلماء والأدباء والمفكرين والمخترعين والموهوبين ورجال الحكم والسلطة، وتعطيهم أجوراً مرتفعة، وامتيازات متعددة، وهم من شعب واحد، ونظام وضعي واحد، ودولة واحدة، ولا يقارن عقلاً وفعلاً الجهد الذي يبذله المفكر والعالم مع الجهد الذي يبذله العامل، وكل صنف له طبيعته في التقويم والقياس، فما ذنب بقية أبناء الشعب؟ وما ذنب عامة الناس الذين لم يتمتعوا بالمواهب والمناصب والوظائف الممتازة في الوزارات وأجهزة الدولة، مع وجود من يساويهم بالكفاءات والمؤهلات.

٤ ـ أما الادعاء بجمع المال من مصدر حرام وظلم، فهذا لا يقره الإسلام أصلاً، الذي حدد طرق الكسب الحلال، وإن حصل ظلم أو عدوان أو غصب فيجب شرعاً ردُّه إلى أصحابه، والمبادرة إلى إقامة العدل ورد المظالم، ولا يترك المال بين يدي الظالم والغاصب والسارق إلى الوفاة ليبعث في مصيره، وإن الدولة أولاً، والقضاء ثانياً، مكلفان شرعاً بذلك، بل هو واجب مقدس، لا يقبل الإسلام التنازل عنه مطلقاً، قال تعالى: (وأمرت لأعدل بينكم) الشورى:١٥، وقال تعالى: (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) النحل:٩٠، وقال تعالى: (يأيها الذين آمنوا

كونوا قوامين بالقسط) النساء:١٣٥، وهو العدل، وبيَّن تعالى الحكمة من إرسال الرسل وإنزال الكتب، فقال تعالى: (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط) الحديد:٢٥، ولذلك وجد القضاء في الإسلام، وفي سائر الأنظمة والدول.

أما مجرد الاتهام والشك والظن بأن المال حرام، ومصدره ظلم، فلا يعمل به، وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً، ولا يعتمد عليه القضاء، حتى إن وقع ذلك، ولم ترد المظالم إلى أهلها في الدنيا، فالإسلام والدين والعقيدة تقرر أن الحساب في الآخرة عسير، وإن التربية الإيمانية، والضمير الديني يحثان على الخروج من المظالم ذاتياً في الدنيا، والتوبة منها قبل الآخرة.

٥ ـ وإذا ورث الشخص مالاً، أو كسب بكدّ يمينه في الحلال، ثم سعى بإنفاقه في الملذات والمحرّمات والإسراف والتبذير، فهذا لا يترك وشأنه، بل شرع الإسلام والفقه والقضاء الحجر على السفيه والمبذر، والأخذ على يد العابثين والماجنين، وتكلف الدول شرعاً بمراقبة ذلك، ووضع الحد لمن يتجاوز المشروع والمعقول والمعروف، لأن المال مال الله تعالى، وهو ملك لصاحبه، ولكن للمجتمع حق فيه، والشرع أرشد إلى سبيل الإنفاق السديد، والترشيد في الاستثمار والانتفاع.

٦ ـ إن من يبكون من الإسراف والترف وتضييع الأموال تجدهم أحرص الناس على ممارستها إن أتيحت لهم، وإن البلاد غير الإسلامية، ومن يقلدها، ومن يسير بفلكها، هي التي ترعى أماكن الفسق، واللهو، والترف، وتشجع عليها، وترعى مصالحها، وتتباهى بها باسم التقدم، والحضارة، والفن، والحرية.

٧ ـ إن الإرث تقره جميع الشرائع والأنظمة والديانات إلا ما ندر، وإن اختلفت مبادئه وقواعده، وحتى الشيوعية اضطرت إلى إقرار التملك الفردي أولاً، ثم حق الإرث ثانياً، كما جاء في الدستور السوفييتي لعام ١٩٤٥م في المواد ٧ ـ ١٠، ثم انهارت النظم الشيوعية ثالثاً، وتتخبط بقية النظم في العالم بألوان من القوانين الإرثية رابعاً.

ثانياً: تفضيل الرجل على المرأة

يثير أعداء الإسلام، وضعاف الإيمان، ومن يجهل الأحكام، الشبهات حول إعطاء الذكر مثل حظ الأنثيين، وأن ذلك تفضيل للذكور، وانتقاص وإهانة للنساء، وتمييز لأحد الجنسين على الآخر، ويطالبون بمساواة النساء مع الرجال في الإرث.

والجواب على ذلك من وجوه:

١ ـ إن الإرث في الإسلام يعتمد ـ أصلاً ـ على القرب من الميت من جهة، وحاجة الورثة الذكور والإناث للمال من جهة ثانية، وحسب التكاليف والواجبات والمسؤوليات التي تناط بكل منهم من جهة ثالثة في إطار المنظور الإسلامي ومنهجه العام، وأحكامه المختلفة.

وإن الذكر يأخذ ـ فعلاً ـ مثل حظي الأنثى لحاجته، ومسؤولياته، وواجباته المكلف بها، بالمقارنة مع الأنثى سواء أكانت بنتاً أم أختاً، أم أماً، أم زوجة.

والمثال يوضح ذلك: توفي شخص وترك ابناً وبنتاً، وترك لهما ثلاثة آلاف دينار، فتأخذ البنت ألفاً ويأخذ الابن ألفين، وإذا أراد الزواج، فالبنت تأخذ المهر وتضمه إلى ميراثها، والابن يدفع المهر مما ورث، والبنت لا تكلف بالنفقة على نفسها، بل ينفق عليها زوجها، والابن ينفق ما بقي معه على نفسه، وعلى زوجته، وسينفق حتماً في المستقبل على أولاده، والبنت لا تكلف الإنفاق على أولادها، ولا على زوجها، ويضاف إلى ذلك أن الابن يكلف بالإنفاق على أمه، وأبيه، وجده، وجدته، وجد جده وهكذا، إن كانوا موجودين، ويكلف بالإنفاق على أولاده وأولاد أولاده عند الشافعية، وعند الحنفية يضاف إلى ذلك الإنفاق على سائر العصبات من القرابة إن كانوا محتاجين ومعوزين وفقراء.

فالبنت تأخذ ولا تعطي، وتغنم ولا تغرم، وتدخر ولا تكلف بالإنفاق، فهي أسعد حظاً، وأكثر مالاً، ويفتح أمامها الترفه والتنعم والسعادة أكثر من الذكر، وهذا ما أراده الإسلام لها.

والمثال السابق ينطبق تماماً إذا مات شخص وترك أماً وأباً، فالأم تأخذ الثلث والثلثان الباقيان للأب، وهو وحده يكلّف بالإنفاق على نفسه وعلى الأم «زوجته» وعلى أمه وأبيه وأولاده، ولا تكلّف الأم شيئاً من الناحية المالية، لأنها المكلّفة بالتربية والعاطفة والناحية المعنوية.

ميراث الرجال والنساء في الإسلام لا يقوم مطلقاً على تفضيل الرجل على المرأة أو انتقاص المرأة في الإرث أو احتقارها وإهانتها

٢ ـ إن تفضيل الذكر على الأنثى في الميراث محصور في البنات والأخوات، وأحياناً في الأمهات والزوجات، وليس الأمر مطلقاً في كل الحالات، حتى يحلو لضعاف العلم والإيمان إثارة الشبهة عن الإسلام، بل إن الإسلام فضل أحياناً المرأة في الميراث على الرجل، كما يلي.

٣ ـ يكون نصيب المرأة مثل نصيب الرجل سواء بسواء في حالات، كالأخت لأم مع الأخ لأم، وميراث الأم مع الأب عند وجود الابن، وميراث الجدة مع الجد عند وجود الابن، وميراث الأخت الشقيقة مع البنت كميراث الأخ الشقيق مع البنت بأخذ الباقي.

٤ ـ قد تأخذ المرأة أكثر من الرجل في الميراث كالبنت مع ابن الابن عند وجود أم أو أب، أو زوجة أو زوج، أو عند اجتماع هؤلاء جميعاً، ومثل البنت مع الأخ عند وجود الأم والزوج، أو الزوجة، ومثل البنت مع الأب والأم والزوجة، تأخذ أكثر من الابن مع الأب والأم والزوج أو الزوجة، ومثل بنتين مع أب وأم وزوجة، تأخذان أكثر من ابنين مع الأب والأم والزوجة.

٥ ـ إن المرأة ترث في حالات، ولا يرث الذكر مع اتحاد القرب والدرجة، فأم الأم ترث، وأب الأم في درجتها لا يرث، والأخت الشقيقة ترث مع البنت أو تحجب الأخ لأب فلا يرث، ومثل بنت الابن ترث دون ابن الابن في حالات، وكذا الأخت لأب ترث في حالات لا يرث فيها الأخ لأب.

فهذه أمثلة عملية، وأدلة شرعية تدل على أن ميراث الرجال والنساء في الإسلام لا يقوم مطلقاً على تفضيل الرجل على المرأة، أو انتقاص المرأة في الإرث، أو احتقار المرأة وإهانتها، ولا مجال نهائياً لوسوسة شياطين الإنس والجن بالدعوة الصورية لمساواة المرأة بالرجل في

الإسلام، وأن هذا مجرد شعار دخيل على البلاد العربية والإسلامية، والنظم الشرعية، وهو مجرد كلمة حق أريد بها باطل في فتنة النساء المسلمات، والتشكيك في الدين، والطعن واللمز والهزء بالإسلام، ويمكرون ويمكر الله، والله خير الماكرين، والمسلم الواعي، والمؤمن القوي، لا يُلبس عليه بذلك، ولا يقبل هذه الأباطيل، ولا ترف عينه لهذه الدعايات، ولا يأبه لهذه الافتراءات، وهو متمسك بدينه، مقتنع به يعض عليه بالنواجذ، موقناً بالله رباً وبالإسلام ديناً، وبالقرآن إماماً، وبمحمد - ﷺ - رسولاً، ويدافع عن عقيدته وشريعته أمام الباطل، ليردد قول الحق العليم الحكيم: (فريضة من الله إن الله كان عليماً حكيماً) النساء:١١، وقوله تعالى عن آيات الميراث: (تلك حدود الله. ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك هو الفوز العظيم. ومن يعص الله ورسوله ويتعدّ حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين) النساء: ١٣ - ١٤.

لكن المهم الالتزام بالشرع، وتطبيق أحكام الله تعالى، وإعطاء المرأة حقها الذي منحها إياه القرآن الكريم، ولا تحرم من الميراث نهائياً كما هو الواقع الجاهلي المنتشر الآن في كثير من البلاد.

ثالثاً: الإرث بالشرع والقانون

كثيراً ما تثور شبهة في أذهان الناس، وتتردد على ألسنتهم، أن الشرع فرّق بين الذكر والأنثى، والقانون سوّى بين الذكر والأنثى، أو الرجل والمرأة، ويعتقد القائل لذلك أن هذا هو الأمر المقرر والعام والمعمول به في قوانين الأحوال الشخصية والميراث في البلاد العربية والإسلامية.

والحقيقة غير هذا تماماً، وهذه الشبهة فيها التباس وعدم معرفة بالواقع، وذلك أن أحكام الميراث في قوانين البلاد العربية مأخوذة حصراً من الشريعة الإسلامية، ومن مختلف المذاهب الفقهية، ولا يوجد فيها شيء نهائياً من خارج الشريعة والفقه، ولكن وجد فيها الاختيار من المذاهب الفقهية، وترجيح بعض الأقوال على بعض، دون أن تخرج مطلقاً على الشرع والفقه، فقوانين الميراث، أو قوانين الأحوال الشخصية التي تنظم الميراث، كلها مأخوذة من الشريعة والفقه الإسلامي حصراً، والحمد لله، وهذا فضل من الله تعالى ومنّة، يستحق الاعتراف والشكر.

البنت تأخذ ولا تعطي وتدخر ولا تكلف بالإنفاق فهي أسعد حظاً وأكثر مالاً ويفتح أمامها الترفه والتنعم والسعادة أكثر من الذكر

ولكن سبب الشبهة ورد من قانون عثماني قديم، لايزال معمولاً به في معظم البلاد العربية، وهو قانون انتقال الأموال غير المنقولة الصادر في ٢٧ ربيع الأول ١٣٣١هـ الموافق ٢١ فبراير ١٩١٢م، بعد تطور الكثير بدءاً من عهد سليمان القانوني، ثم سليم الثاني سنة ٩٧٥م، وكان أوسعها قانون انتقال الأراضي الأميرية والموقوفة الصادر في ١٧ محرم ١٢٨٤هـ الموافق مارس ١٨٦٧م، الذي قسم أصحاب الاستحقاق في الأراضي الأميرية والموقوفة فقط، دون الأراضي المملوكة والأعيان والأموال المنقولة، قسمها إلى ثماني درجات، ثم صدر القانون الأخير المعمول به حالياً، وينحصر مفعوله أيضاً بالأراضي الأميرية «التي تسمى في الفقه الإسلامي: الأرض الموات التي لا يملكها أحد، وصارت تسمى الأراضي الأميرية»، والموقوفة التي يقوم على الانتفاع بها، واستغلالها، واستثمارها، والبناء عليها، أو الغراس فيها، أشخاص من قبل الدولة، أو أقرتهم عليها، واشترطت أنه إذا مات الشخص فإن حق البقاء والانتقال والإشراف والتصرف ينتقل إلى أقاربه حسب نظام خاص، وليس حسب نظام الإرث الشرعي، لأن ملك هذه الأراضي غير حقيقي بالنسبة لواضع اليد عليها، وإنما يقتصر حقه على الانتفاع فحسب.

وهذا القانون لا ينطبق نهائياً على الأموال المنقولة كالنقود، والديون، والسيارات، والآلات، والأثاث، والأبنية والعقارات المملوكة ملكاً شرعياً، لأن هذه الأراضي مملوكة حقيقة لأصحابها، فلا يطبق عليها القانون العثماني نهائياً، وهي التي حددتها الأنظمة الإدارية في ذلك الزمن بالمدن، والمناطق المنظمة عمرانياً، والأراضي الثابت تملكها لأصحابها، وتسمى المحددة والمحررة.

ولا مانع من الإشارة إلى بعض أحكام قانون الأراضي الأميرية والموقوفة منذ زمن العثمانيين، فقد حصر الإرث بثلاث جهات، كل منها تحجب ما بعدها، وهي جهة فروع الميت، فالذكر كالأنثى، والفرع المتوفى سابقاً يخلفه فروعه في حصته، ثم جهة الأبوين وفروعهما، فالأب والأم سواء، والأخ والأخت سواء، ومن مات سابقاً قام فروعه مقامه، والدرجة الثالثة هي أجداد وجدات المتوفى وفروعهم، والجد والجدة سواء، ومن مات منهما قام فروعه مقامه.

ويضاف إلى هذه الدرجات الثلاث الزوجان، فإنهما وارثان، وتستوي حصة الزوجة مع حصة الزوج، وإن كان للمتوفى أولاد كان لكل من الزوج أو الزوجة الربع، وإن لم يكن له أولاد فيأخذ الزوج أو الزوجة النصف، ويصدر حصر الإرث القانوني في هذه الأراضي الأميرية والموقوفة من حاكم الصلح المدني في غرفة المذاكرة بعد تقديم طلب من أحد الورثة، وليس من القاضي الشرعي الذي يطبق قانون الأحوال الشخصية وأحكام الميراث.

وقد يكون للقانون العثماني ما يبرره ويسوغه شرعاً في ذلك الوقت، ولكن الدول الآن تملّك الأراضي الأميرية للمنتفعين بها ملكاً كاملاً، ويجري عليها نظام التحديد والتحرير لتسجل الأراضي في ملك واضعي اليد عليها، ومن أذنت له الدولة بإحيائها واستثمارها والانتفاع بها، فإذا مات هذا الشخص انتقلت إلى ورثته، ويجب أن يكون نظام الانتقال خاضعاً لنظام الإرث الشرعي، ويجب إلغاء القانون العثماني السابق، لأنه لم يبق مبرر لوجوده، وأصبح عملياً غير صحيح، ولا يوافق الشرع، ولذلك قامت بعض البلاد العربية بمراجعة هذا القانون في مجالس الشعب والأمة، وأخذت فتوى العلماء بمخالفته للشرع، وقررت إلغاءه وإنهاء العمل به، وعدم تطبيقه، وهذا ما نراه هو الحق، ويجب على سائر البلاد أن تحذو هذا المنهج السديد، وأن تلغي هذا القانون العثماني، وتنهي أثره في الوجود، ليصبح نظام الإرث الشرعي عاماً، ويطبق على جميع الأراضي والحالات، ويقضي نهائياً على هذه الشبهة واللوثة الفكرية والقانونية.

نسأل الله أن يردنا إلى ديننا وشريعتنا رداً جميلاً، وأن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علّمنا، وأن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، والحمد لله رب العالمين. ■

بقلم : عبدالوكيل أحمد صافي

تعاليق على طفل الأنابيب

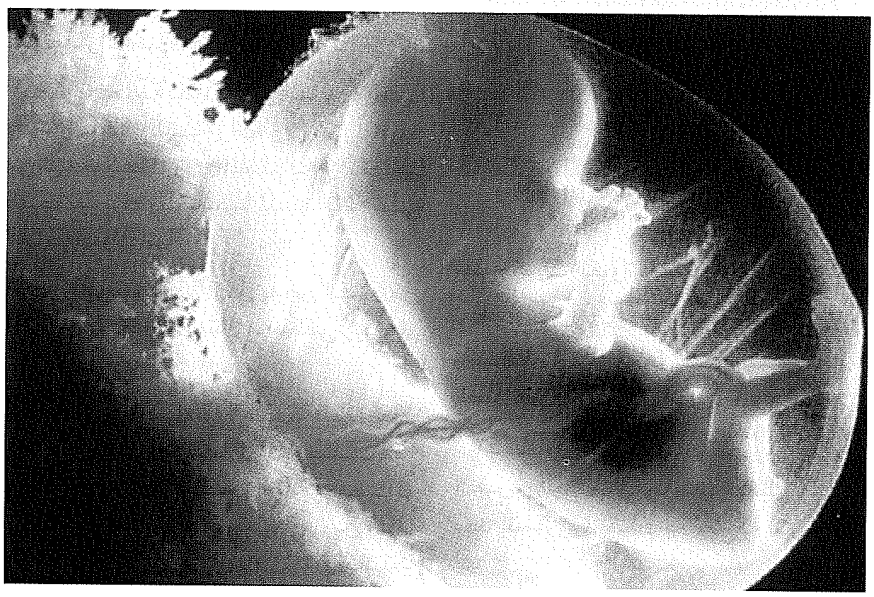

قرأت كلمة الدكتور أحمد الحجي الكردي المنشورة في كتابه القيم «أحكام المرأة في الفقه الإسلامي» في طبعته الثانية ١٩٩٣م تحت عنوان: «طفل الأنابيب»، وأقول إنه كتاب كل بيت، إليه تعود المرأة المسلمة كما يعود إليه الرجل المسلم يراجع فيه المسائل الفقهية بأسلوب عصري جذاب! والفقه الآن يساوي الحياة وشؤونها يرتبها وينظمها ويضع حلولاً إسلامية لمشاكلها، ولم يعد ترفاً عقلياً كما كان في بعض العصور وكل يوم يَجدّ جديد، ويطرأ طارئ، ويقدم لنا العلم أشياء لم تكن موجودة، وما عرفها أجدادنا ولا علماؤنا، إنها مشاكل عصرية، تمخضت عن اختراعات العلم وتقدم الآلة، وتفجر المعلومات، ولابد للدين أن يقول كلمته في كل مستحدث وفي كل ما يجدُّ ويطرأ، وبهذا - إن نحن تصدينا لمشاكل العصر - لا نكون معزولين عن العالم، وإنما نكون مشاركين فاعلين ومتفاعلين ولا يكون بذلك فقهنا جامداً متحجراً، فما كان في يوم من الأيام ولا في عصر من العصور جامداً ولا متجمداً، وإنما يواكب كل نقلة حضارية، ويتصدى لكل أمر مهما بلغ خطره، يقول كلمته الحق فيه لا يخشى بعد ذلك أن يوصف بالرجعية، ولا يخشى بعد ذلك أن يوصف بالتزمت إذا ما رأى الحق في ذلك تؤيده الشريعة بقرآنها وسنتها ومصادر التشريع الأخرى من قياس واجتهاد، على أن نستخدم كل ما أتاحه لنا علم أصول الفقه من تقنيات إن صح التعبير، ومن مفاتيح ومبادئ نسترشد بها ونتبصر أمورنا من خلالها لا نشذ ولا نحيد، ديدننا الإخلاص والصدق في العمل والنية الصادقة والنفس النبيلة تجللها تقوى الله وخشيته من أن نضلّ أو نغوى.

وطفل الأنابيب هدية العصر وتقدمة العلم لنا، انتشر أمره بين الأمم، وعرفت وسائله وأهدافه وغاياته، وأجريت عمليات لها نتائجها الطيبة، ولها نسبتها المعقولة من النجاح، صارت أمراً محتماً وواقعاً مفروضاً مقرراً، فأين حكم الإسلام فيه؟ كلمة الدكتور «طفل الأنابيب» دلو بين الدلاء ومحاولة في التفقه والتبصر، لقد وضع إشارات في معالم الطريق هي أقرب إلى المناقشة منها إلى التقرير، وأقرب إلى طرح المشكلة منها إلى الجزم بحكم فيها.

لقد أهاب في كلمته بأن يجتمع الفقهاء المتخصصون المأمونون على هذا الدين ويبحثوا في هذا الموضوع ثم «يعمل فيه بما ينتهون إليه من الحكم»، وهي دعوة مخلصة أراها ضرورية في هذه الأيام، ويدعو كذلك إذا تعذر هذا الجمع إلى استكتاب جماعة من العلماء ثم ينشر ما يكتبونه بطريقة أو بأخرى ونتقبل المناقشات حوله ثم تنشر كذلك» حتى نصل في النهاية إلى الحق والصواب.

وهأنذا أشارك في هذه المناقشة وأوضح بعض الأمور وأعلق على ما جاء في كلمة الدكتور «أحمد الحجي» من تعاليق حول موضوع طفل الأنابيب، ملخصاً كل فقرة ومعلقاً بما أراه صحيحاً فإن جانفت الصواب فما كان قصدي إلا الوصول إليه.

١ - «إن طريقة طفل الأنابيب يتطلب كشفاً لعورة الرجل وعورة المرأة المغلظتين أمام الطبيب الأجنبي عنهما وهو أمر محرَّم بنصوص القرآن والسنة القاطعة التي لا لبس فيها.

نعم إن كشف العورة يباح لضرورات طارئة إلا أن هذا العمل ليس من تلك الضرورات بكل تأكيد مهما كان الدافع إليه

لعدم استجماعه شروطها وقيودها المعروفة في الفقه» ص ١٦٢ أقول:

- «يباح كشف العورة للمداواة لحاجة الناس إلى التعريف إلى موطن الداء وتشخيص المرض ووصف العلاج المناسب» اهـ «صفحة ٢٦٢ الضرورة الشرعية».

يباح كشف العورة لضرورة الكشف الطبي فكشف العورة في عملية طفل الأنابيب للإنجاب أيضاً من الحاجات الأولية التي تلحُّ على الناس.

- «الحاجة تنزل منزلة الضرورة عامة كانت الحاجة أو خاصة» «قاعدة فقهية».

فالذرية حاجة لطائفة من الناس لا لفرد واحد وبها تباح المحظورات، وإنَّ ستر العورة من التحسينيات ومن المسلم به أن نتجاوز التحسينيات ونخالفها للمحافظة على الحاجيات ولأدائها.

ومن المفيد جداً أن أنقل بعض الكلام من «نوطة» جامعية للأستاذ مصطفى زيد عام ١٩٦٠م:

«يتعلق بكل من الأنواع الثلاثة للمقاصد - الضرائر، الحاجيات، التحسينيات - ما يحوي منه مجرى التكملة والتتمة له بحيث لو فُقد لم يخل بحكمته الأصلية ... ومن أمثلة المكملات عامة أن الحاجيات تُعتبر كالتتمة للضرائر وأن التحسينيات تعتبر كالتتمة للحاجيات إذ الضرائر هي الأصل في بابها، فالحاجيات متممات لها والحاجيات أصل في رفع الحرج، فالتحسينيات متممات لها ولا بد لاعتبار المكملات من حيث هي المكملات من شرط هو ألا يعود اعتبارها على الأصل بالإبطال، أما المكملة التي يفضي اعتبارها إلى إلغاء أصلها فينبغي عدم اعتبارها لأن في إبطال الأصل إبطال التكملة ضرورة، أن وجودها تابع لوجوده ثم إن المصلحة التكميلية دون المصلحة الأصلية في الأهمية ومادام تحقيقهما معاً لم يمكن فقد تعيّن الاقتصار على إحداهما والأصل أهم من التكملة، فوجب اعتباره فضلاً عن أن التكملة لا يتصور وجودها من دون وجوده.

يتبين هذا كله من الأمثلة التالية:

١ - العلاج من الأمراض ضروري لحفظ النفس، وستر العورة تحسيني مكمل فلا يصح أن يكون الثاني مبطلاً للأول ولهذا يصح كشف العورة عند الحاجة إلى العلاج.

٢ - الصلاة ضرورية لحفظ الدين، واستقبال القبلة مكمل فلا يصح أن تسقط الصلاة للعجز عن استقبال القبلة.

٣ - تناول المطعومات ضروري لحفظ النفس، واجتناب النجاسات تكميلي فإذا لم يجد إنسان ما يقتات به أبيح له أكل الميتة. اهـ.

٢ - (إن الوصول إلى ذينك الأمرين يتطلب غالباً تهييجاً للرجل...) ص ١٦٢.

أقول: ليس هذا هو المعتاد في طفل الأنابيب في أغلب الأحوال، بل المعتاد أن يجلب الرجل منيَّه في وعاء خاص لوحده سواء في بيته أو في المشفى.

٣ - (... وكذلك الخلق العربي الأصيل...) ص ١٦٣.

أقول: وهل هذا أصل في بناء الأحكام الشرعية حلاً وحرمة؟ فعموم الإسلام للناس جميعاً أراه يأبى قبول ذلك.

٤ - (ربما تسببت هذه العمليات في تغييرات جذرية في نفس الطفل...) ص ١٦٣.

أقول: هل تبنى الأحكام الشرعية، ومعها القانونية الوضعية على الوهم والحزر والتخمين، ولم يثبت علم النفس هذه التغيرات.

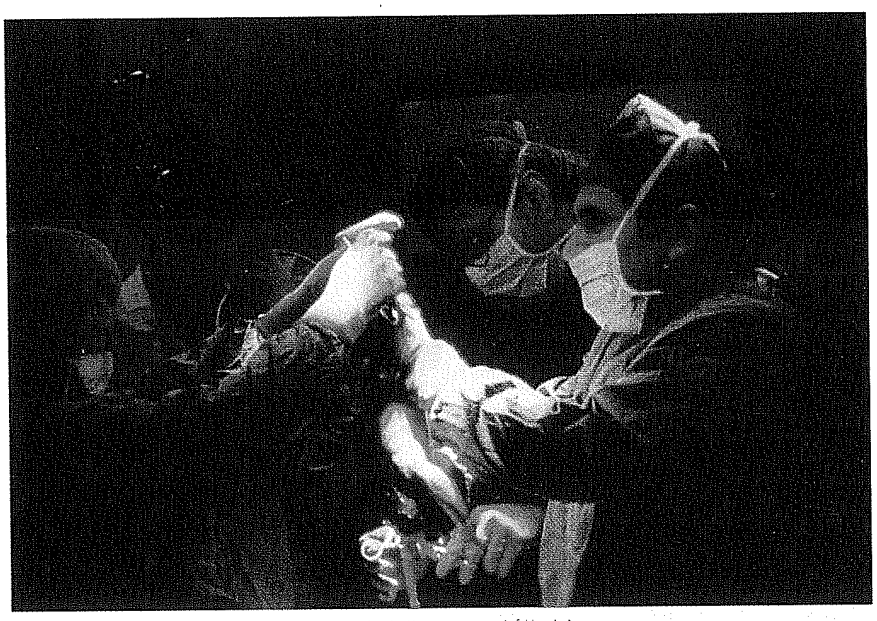

● طفل الأنابيب هدية العلم للإنسانية

٥ - (ولنتصور أعداداً كبيرة من المشوَّهين في خَلقهم أو خُلقهم... وربما كانوا قادة...) ص١٦٣.

أقول: وهل كثيرون أولئك العقماء حتى تكون ذريتهم أعداداً كبيرة: (لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور. أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً) الشورى: ٤٩-٥٠.

وكيف سيكون المشوَّه في مركز القيادة؟

وهل ينحصر هذا النوع من الخلق في طفل الأنابيب؟

٦ - (إن نقاء النسب من أشرف ما يتشرف به العربي...) ص ١٦٣.

أقول: بما أن الإسلام أقرَّه ورعاه فمعنى ذلك أن نقاء النسب هو مسألة إنسانية يتطلبها المجتمع الإنساني بعامة.

٧ - (... والعالم يشكو من الانفجار السكاني...) ص١٦٤.

أقول: ليس صحيحاً أن العالم يشكو من الانفجار السكاني - وهذه دعوى مضللة - وأن السكان يزدادون بمتوالية هندسية من القوة الثانية، فمثلاً إذا كان عدد السكان خمسة ملايين فلن يصبح بعد عشرين سنة مثلاً عشرة ملايين، ذلك أن الملايين الخمسة فيهم الإناث والذكور، وفيهم من لم يبلغ سن

الزواج والإنجاب ومنهم من فاته قطار الإنجاب «عدد سكان سورية كان في وسط الخمسينات ستة ملايين وها هو الآن بعد أكثر من أربعين سنة لم يجاوز الخمسة عشر مليوناً أي ضعفين ونصف).

ثم إن نسبة المهمل من الأرض الصالحة أكثر من المستثمر، ثم إن الإمكانات والتقنيات الحديثة سهَّلت استصلاح الأراضي غير الصالحة وجعلتها صالحة للاستثمار، كما جعلت من الممكنات استصلاح البحر وفي أقل درجات ذلك الاستفادة من كنوزه الغذائية من اللحم الطري.

٨ ـ (... وهو في الحقيقة مشاركة لله تعالى في الخلق...) ص ١٦٤.

أقول: أين وجه المشاركة؟

الخَلق في معناه اللغوي والقرآني هو «إيجاد على غير مثال سبق». بينما التدخل في تغيير الكرموزومات فليس إيجاد كرموزومات جديدة وعلى غير مثال سبق وإذاً فليست بخلق، وليس في الأمر مشاركة لله في خلقه ولا ما يحزنون.

٩ ـ (... أم هي الرغبة في المعرفة حال الجنين أذكراً أم أنثى وهو مما استأثر الله بعلمه (ويعلم ما في الأرحام) ص ١٦٤.

أقول: إن عملية التلقيح الصناعي وعملية طفل الأنابيب التي نتكلم عنها ليستا لمعرفة جنس الجنين ذكراً أو أنثى، وقد يُعرف ذلك بالتصوير وعلى خطأ في قراءة الصورة.

ثم إن التعبير الإلهي (ما في الأرحام) لا يقصد به الجنسية من ذكر أو أنثى وإذا فليست هذه الجنسية مما استأثر الله بعلمه، وإنما مما استأثر الله بعلمه هو المفهوم الذي وُضعت له «ما» في اللغة العربية، أما قالوا إنها للماهية، وإذاً فالله تعالى اختص بعلم ماهية الجنين، وهل جنسية الذكورة والأنوثة هي الماهية؟ وهل هذه الصفة تدخل في الماهية؟ ثم أين التكوين النفسي والذهني والبدني والروحي؟ أما قال المناطقة إن الماهية هي ما تصدق في جواب «ما هو» فهل إذا قلنا: ما الجنين؟ نكون قد عرفنا ماهيته بأنه ذكر أو أنثى، وبماذا نجيب على اكتشاف بغلبة الظن أن هذا الجنين هو ذكر أو أنثى.

١٠ ـ (... الأصل في الفروج التحريم...) ص ١٦٤.

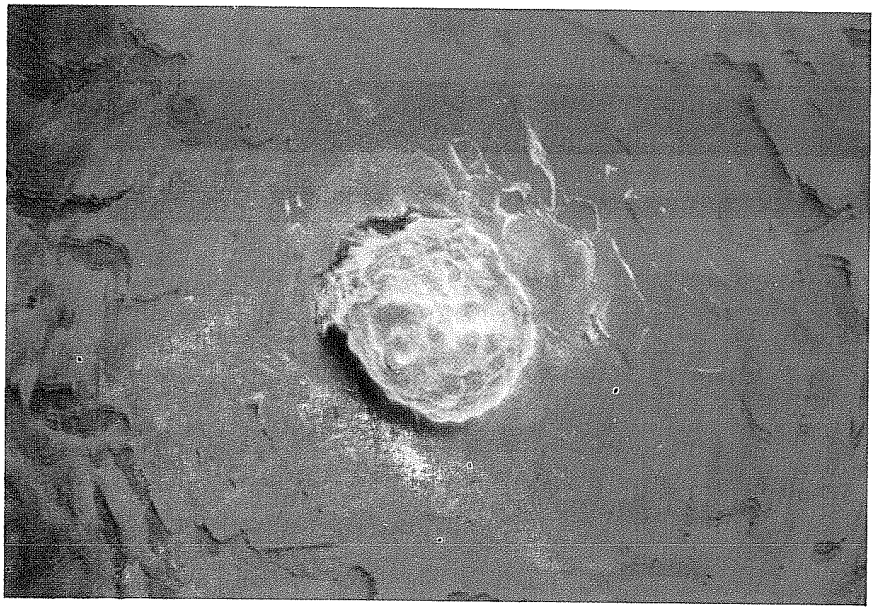

● جنين عمره ٨ أيام وقد تشبث بجدار الرحم

أقول: ليتك وضَّحت صلة هذه القاعدة الفقهية في عملية التلقيح الصناعي وطفل الأنابيب، وثم لماذا ينبغي الاتجاه إلى البحث عن الدليل المانع دون المبيح مع أن الأصل في الأشياء الإباحة (هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً) البقرة:٢٩، والعلم مما في الأرض فاستخدامه هو الأصل.

١١ ـ (... تطييب نفس الزوجين العقيمين بتأمين الخلفة لهما وهو أمر أتفه بكثير من أن يُلتفت إليه بعد تهيُّب الصوارف) ص١٦٤.

ـ ولماذا إذاً طلب نبي الله زكريا الولد:

(وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين) الأنبياء:٨٩.

(ذكر رحمت ربك عبده زكريا. إذ نادى ربه نداء خفياً. قال رب إني وهن العظيم مني واشتعل الرأس شيباً ولم أكن بدعائك رب شقياً... فهب لي من لدنك ولياً) مريم: ٢ـ٥.

ـ وقال نبينا ـ ﷺ ـ وهو يتكلم عن مناقب السيدة خديجة:

«كانت وكانت وكان لي منها ولد» رواه البخاري.

«ما أبدلني الله عز وجل خيراً منها قد آمنت بي إذ كفر بي الناس وصدقتني إذ كذبني الناس ... ورزقني الله عز وجل ولدها إذ حرمني أولاد النساء» مسند الإمام أحمد.

ـ ثم إن هذه الصوارف والموانع يقبلها التقنين الشرعي والقانون الوضعي إذا بلغت درجة غلبة الظن، ويبنى عليها حالئذ حكم شرعي وقانون وضعي أما وأنها لا تزال قيد البحث والنظر وليست محل اتفاق ولا إجماع فلنقل: إذا ثبتت يكون التحريم من باب سد الذرائع وهذا النوع من التحريم أخف مما حرِّم تحريم المقاصد.

١٢ ـ (... ولا سيما أن الله شاء أن يكون في الأمة عقماء) ص١٦٤.

أقول: وهل مداواة الطفل المشوّه خلقة، أو محاولة المداواة فيها معارضة لهذه المشيئة الإلهية؟ كما أن هذه العملية لن تغير من مشيئة الله إنما هي من الأخذ بالأسباب.

١٣ ـ (... الصوارف والموانع...) ص ١٦٤.

أقول: ليست كذلك، وليتك ناقشت حجج المبيحين وفصَّلت أكثر مما سقت وفصَّلت من حجج.

وبعد فهذه ملاحظات خطرت في البال وأنا أقرأ كلمة الدكتور عن طفل الأنابيب رغبت في نشرها إثراء للموضوع ومشاركة في النقاش، وأحب أن أشير إلى أن الموضوع قد تمَّ بحثه في المجامع الفقهية ـ بناء على أبحاث مقدمة من أطباء في هذا المجال ـ وإعطاء فتوى فيه مقيدة بشروط يستحسن رجوع الأخ القارئ إليها في مواطنها استكمالاً للبحث. ■

تابع الندوة: د. عماد الدين عثمان

استضافت لجنة زكاة العثمان فضيلة الدكتور خالد المذكور. الأستاذ في كلية الشريعة «جامعة الكويت» ورئيس اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية. للحديث حول «مستقبل الإسلام في القرن المقبل»، فأوضح فضيلته أن القرن المقبل ليس قرن استعمار دولة لدولة، وإنما عولمة لثقافة واحدة مفروضة، تحمل كثيراً من معاول الهدم للأخلاق، وأن المستقبل للإسلام في كل عصر ومصر منذ أن تمت رسالة الإسلام، ولكن هل المستقبل للمسلمين؟... وأن البشرية دائماً في مسيس الحاجة للإسلام لأنه به تصلح شؤونها وتستقيم أمورها... كما أن المسلمين هم أمة الإسلام إن التزموا به نجحوا وإن تهربوا منه انهزموا دون ريب... وأن الحضارة المادية تعاني من أزمات وكوارث ليس لها حل إلا في الإسلام.

مستقبل الإسلام في القرن المقبل

الحضارة العالمية المقبلة في مسيس الحاجة للإسلام وعلى المسلمين الاستعداد الفكري والثقافي للدخول إلى القرن المقبل

بدأ الدكتور المذكور حديثه بالقول :

إذا نظرنا إلى الإسلام الذي جعله الله خاتم الأديان، وجعل رسوله محمداً - ﷺ - خاتم الأنبياء والرسل، وجدنا أن هذا الإسلام دين كل عصر ومصر، الدين الذي ارتضاه الله لعباده إلى أن تقوم الساعة، إذاً مستقبل الإسلام في القرن المقبل أو القرون اللاحقة لم يتغير، ولم يتبدل... بل إن هذا الإسلام منذ نزوله وحياً على رسوله الله - ﷺ - ومنذ أن قام الصحابة بنشره في الآفاق... أصبح يأخذ به أهل الصحاري والقفار، وأهل السواحل والبحار وأهل الزروع والثمار، وأهل السهول والأنهار، وأهل الجبال، انتشر في الآفاق فأصبح هو دين هذه الأرض، ودين العالم كله، بل إن الناظر إلى الأذان وتوقيت الصلوات يشعر أنه في كل ثانية من الثواني يتردد قول المؤذن: «الله أكبر» «الله أكبر»، ولا ينقطع قول «الله أكبر» من على هذه الأرض، وهذا ما أخبر به رسول الله - ﷺ - بقوله: «جعلت لي الأرض، مسجداً وطهوراً».

فالإسلام إذن يحمل في طياته أنه لهذه الأرض مادام هناك أناس يعيشون عليها، وأنه هو الدين الذي يحمل في ثوابته وفي أسسه وفي مبادئه ما يقوم بهذه الحياة الدنيا في كل أبعادها، ولذلك فنحن عندما نتحدث عن الإسلام وعن شريعة الإسلام، نجد أنها من عند الله سبحانه وتعالى، وأنها باقية خالدة مستقرة في القرون الماضية، وفي هذا القرن وفي القرون اللاحقة إن شاء الله تعالى، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

المسلمون وليس الإسلام

ونحن عندما نتكلم عن القرن المقبل، نتكلم عن المسلمين، وليس عن الإسلام، فالإسلام محفوظ بحفظ الله سبحانه وتعالى، وفيه من المبادئ والأسس ومن الثوابت ومن النصوص ما يقوم بهذه الحياة الدنيا، ودليل ذلك - التطبيق العملي الذي قام في عهد رسول الله - ﷺ - وفي عهد الصحابة رضوان الله عليهم، وما اتبع ذلك في عهود الدول الإسلامية الكثيرة كلها.

ويستكمل الدكتور خالد المذكور حديثه بالقول: إننا إذا نظرنا إلى التاريخ قبل أن ننظر إلى القرن المقبل، وهذا شأن الحضارات والأمم في الحاضر، نجد أن هناك امتداداً لهذه الحضارات، ومنها حضارة الإسلام، وهذا أمر نظري، وهناك انحسار في هذه الحضارات، ومنها حضارة الإسلام، وحتى نكون

المساجد ركيزة إسلامية يجب أن تأخذ دورها والناظر إلى الأذان يرى أنه في كل ثانية يتردد في الكون «الله أكبر»

موضوعيين وعمليين نعترف أن كل حضارة من هذه الحضارات لها قيم ومبادئ، ولها منهج، فإذا تخلت عنها أو تكاسلت، وتراخت، بدأ الانحدار والانحسار، وهذا شأن طبيعي يجده الإنسان في نفسه، وهو يحاسب ذاته، ويجده في أسرته، وفي أولاده وفي جيرانه وفي مجتمعه، ودليل ذلك أن الحضارة المادية بلغت شأناً كبيراً قبل هبوط الوحي بآلاف السنين.

حضارة منهارة

وعندما ننظر إلى قصة يوسف - عليه السلام - وإلى قدماء المصريين، وما خلّدوه من مبانٍ وحضارات ما زالت تدرس وتترجم ويكتشف في كل حين منها آثارٌ قديمة وأكبر آثارها الأهرامات التي يعتبرونها من عجائب الدنيا السبع هذه العمارة الكثيرة، وهذه الحضارة العظيمة قامت قبل آلاف السنين، وقبل اختراع الطائرات والسيارات والقطارات والفضائيات، وما أشبه ذلك... هذه الحضارة كانت حضارة مادية، ولكنها منهارة أخلاقياً، بدليل قصة يوسف - عليه السلام - مع امرأة العزيز التي بلغت بها الجرأة أنها راودت فتاها عن نفسه، وسمعت بها نساء المدينة فقلن: امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حباً فاستدعتهن، وملكن من الجرأة إلى أن ينظرن إلى يوسف - عليه السلام - فجرَّحْنَ أيديهن من شدة إعجابهن بجماله، فهذا دليل على أن هذه الحضارة التي قامت كانت حضارة منهارة أخلاقياً، وهذا يتكرر في كل زمان ومكان.

الإسلام لا يتبدل ولا يتغير

ونحن عندما نذكر انهيار أو انحسار الحضارة الإسلامية، في دول كثيرة نذكر الموازين التي توزن بها، والمنهج الذي يتغير أو يتبدل، وهذا من سنن الله سبحانه وتعالى في خلقه - فلا نقول: إن الإسلام بلغ شأناً كبيراً بل يجب أن نقول:إن المسلمين بلغوا شأناً كبيراً، فالإسلام من عند الله سبحانه وتعالى لا يتبدل ولا يتغير، منهج ثابت من مناهج الله سبحانه وتعالى في هذا الكون، وهذه المبادئ التي يأخذ بها الناس جميعاً والتي تنظم حياة الإنسان والحيوان والجماد، وتنظم هذا الكون كله بنظام دقيق عجيب لايتأخر ولا يتقدم.

ونحن بنو آدم الذين كرَّمهم الله سبحانه وتعالى بالعقل وسخر لنا هذه الكائنات، نحن الذين نخرب دنيانا بأيدينا، وهذه قائمة في كل الحضارات وليست في الحضارة الإسلامية فقط.

أفق القرن المقبل

عندما نتكلم عن المسلمين نجد في شواهد الماضي وفي شواهد الحاضر ما نستطيع أن نستشرف به القرن المقبل أو القرون اللاحقة، فهذا منهج موجود لا يتخلف ولا يتأخر، وعندما نقول: ما آثار القرن المقبل؟ فإننا نأخذ من شواهد الحاضر ما يؤدي بنا إلى أفق القرن المقبل، لا أستطيع أن أعدد من خلال الحاضر أفق القرن المقبل، وهذا يقودنا إلى الحديث في موضوعين مهمين:

الموضوع الأول: التقدم التكنولوجي الهائل الذي رأيناه في وقتنا الحاضر.

والموضوع الآخر: هو موضوع أن يكون هذا العالم قرية صغيرة.

وهذا حادث بالفعل، فما بالنا في القرن المقبل، كيف يكون هذا التقارب الكبير بين دول العالم، وعلى ذلك صارت العولمة في الاقتصادي، والعولمة الثقافية، حيث يساعد التقارب الزماني والمكاني على التقارب الثقافي والفكري، وإذا نظرنا إلى من يستقبل القرن المقبل الآن، نجد أن اليابان وأميركا وأوروبا قد بدأت منذ العام ١٩٩٣م في استقبال القرن المقبل بوضع الأطر والمناهج اللازمة لمثل هذا الأمر.

الاستعمار مصطلح جيد!!

ويشارك الدكتور المذكور بقوله: أين نحن الآن من القرن المقبل كمسلمين؟ حيث تعد الدول الإسلامية في التصنيف العالمي ضمن دول العالم الثالث أو ما يطلق عليه اصطلاح الدول النامية - ومسألة التقدم والتخلف والرقي هذه في الحقيقة مصطلحات يجب أن نفهمها وأن نعيها دائماً - فخلال فترة طويلة في الثلاثينات والأربعينات والخمسينات من هذا القرن... إلى أن تحررت معظم الدول العربية، ساد مصطلح الاستعمار، ومع أن هذا المصطلح جيد «إيجابي» فكلمة استعمار تعني الإعمار والتقدم

والبناء والازدهار، وهذا بالفعل من الناحية المادية البحتة عندما نرى ما فعله المحتل البريطاني أو الفرنسي أو الأسباني من الناحية المادية في بعض الدول العربية، مثلاً، نذكر أنهم أنشأوا مدناً وطرقاً جيدة، وغير ذلك ولكن أنستطيع القول إن هذا المصطلح الذي ساد ليس صحيحاً لأن المستعمر وإن «عمَّر» وأسس وبنى، إلا أنه في الحقيقة ينظر إلى الاحتلال الثقافي والفكري ولإبعاد المسلمين عن عقيدتهم وشريعتهم والاندماج في الحياة المادية الغربية حتى وإن عمَّروا وإن ضحكوا على بعض السذج من أن الاستعمار كان فيه استقرار، وكان فيه أمن وأمان، وعمل وبناء، إلا أنهم لم يدركوا الغاية التي من أجلها صار هذا الاحتلال والاستعمار من تثقيف وتغيير ملامح الفكر والعقل الإسلامي إلى ما يحبونه ويرضونه لا إلى ما يحبه الله سبحانه وتعالى ويرضاه.

إذاً المسألة في القرن المقبل ليست مسألة احتلال أراض حيث أصبح التقارب الفكري والثقافي واضحين في ظل العولمة مع التقارب الزماني والمكاني.

ونحن نستقبل آفاق القرن المقبل نستطيع القول: إن الذي يستطيع أن يسيطر هو الذي يستطيع أن يثقف نفسه وهذه هي النقطة الحساسة التي يجب أن يفكر بها المسلمون.

وفي القرن المقبل، علينا أن ندرك أن المسألة ليست مسألة وسائل وحضارة مادية وتبادل سلع... فقد انتهى البحث في مثل هذه المسائل، لكن الأمر هنا يرتبط بالثقافة والفكر... حيث من الواجب تقويم الفكر الإسلامي والقيم الإسلامية إلى قيم وأفكار عالمية تسود. وهنا تأتي مسألة عولمة الثقافة وعولمة الفكر والتقارب حيث يفرض البعض مبادئهم وقيمهم وأمورهم من خلال إعلامهم، ومن خلال وسائلهم التكنولوجية المهجرة الموجهة إلى العالم الإسلامي.

شتات

وإذا نظرنا إلى العالم الإسلامي من الناحية السياسية لوجدناه يعيش في شتات... بسبب تقسيم الحدود، وما تم من معاهدات واتفاقات صاغها المستعمر، في الوقت الذي تتجه فيه أوروبا نحو الوحدة الواحدة، والتي خرجت فيها عملة أوروبية موحدة، وكذلك أصبح الانتقال بين معظم الدول الأوروبية من دون جوازات سفر.

فالمسألة التي نعيشها إذاً مسألة فكر وثقافة ومسألة إعلام ومسألة نشر حضارة تختلف عن

● المشاركون في الندوة

الحضارات السابقة في كثير من أمورها.

ويتساءل الدكتور المذكور: ولكن كيف يستعد المسلمون لهذه المرحلة؟ فيجيب: المسألة هنا ليست مسألة حدود ووسائل وتبادل تجارة وسلع وعسكر... بل مسألة فكر وثقافة... وكما سبق لنا القول: فإن التقارب الزماني والمكاني سينهار، حيث الوصول إلى أقصى نقطة في هذا العالم ستتم بسهولة ويسر.

ولكن من الذي سيتغلب؟ هذا هو الذي يجب أن يستعد له المسلمون، فهل المسلمون مستعدون لأن ينشروا فكرهم وثقافتهم؟ وهذا يدفعنا إلى سؤال آخر، هل يفهم المسلمون دينهم وشريعتهم؟ فالمسألة الآن ليست مسألة قراءة وكتابة... حيث من لا يستطيع أن يتعامل مع الكومبيوتر يُعَدُّ أمياً.

إذاً فمسألة الدخول إلى القرن المقبل يجب أن يتم الاستعداد لها استعداداً كبيراً جداً... ليس استعداداً حول الحدود والسدود، ولكن الاستعداد الفكري والثقافي... وقبل ذلك يجب علينا أن نفهم ديننا ونعي شريعتنا... ونعلم أن هذه الشريعة ليست لها حدود وليست أمامها سدود - وهذا يعطينا إيجابية كبيرة جداً في توصيل ما نريد إلى هذا العالم، بل تسخير هذه الإمكانات التكنولوجية الكثيرة في أن يقدم الإسلام للعالم هذه القيم وهذه المبادئ وهذه الثوابت.

وعلينا كمسلمين ونحن نستقبل القرن المقبل أن نعي أن المحاربة الفكرية والثقافية من اليهود والنصارى شديدة من ناحية التقدم التكنولوجي الهائل الذي يمتلكونه، وكذلك الموارد المالية الكثيرة التي عندهم، وعلينا أن ندرك أن الإسلام يدعونا إلى إقامة مؤسسات مالية فرضتها الشريعة «مثل مؤسسات الزكاة» ومؤسسات مالية فضلية... فإذا كنا نتحدث عن العولمة، وعن التقارب الزماني والمكاني، فالإسلام بعد أن عرفناه وفهمناه، يتجاوز هذه الحدود، ويفرض التقاربين الزماني والمكاني من خلال الصلاة... بل يذهب إلى أبعد من ذلك، وهو الشعور الحسي والوجداني من خلال مؤسسات فرضية، وأنا أدعو إلى ذلك، كما أدعو إلى أن تأخذ المساجد دورها الرائد في القرن المقبل، بصفتها ركيزة من ركائز الإسلام، وبأن تكون مؤسسة نبحث فيها كل أمور الإسلام والمسلمين.

وفي ختام حديثه طرح الدكتور المذكور سؤالاً مهماً: ما الاستعدادات التي ينبغي اتخاذها للمستقبل؟ وأوضح الجواب فقال: الرجوع إلى ديننا أولاً، ثم الاستفادة من منتوجات العلم، كالحاسوب، وتسخيرها لحمل رسالة الإسلام وقيمه للعالم، ثانياً: لأن العولمة المقبلة فكرية وثقافية وأخلاقية أكثر منها تكنولوجية وعلمية، فعلينا أن نستثمر أموالنا ونسخرها لخدمة معركتنا المقبلة، وأن نهتم بعلم الأوليات وفقه الأساسيات.

ووجه الدكتور المذكور نداء إلى جميع المسلمين بالعودة إلى دينهم لأن فيه حياتهم وأمنهم وانتصارهم وحضارتهم بعيداً عن الخلافات والعصبيات، فالعالم في المستقبل ينتظرهم، والحضارة العالمية المقبلة في مسيس الحاجة للإسلام، والمستقبل للإسلام أمر يؤكده الواقع وتستدعيه الحاجة وتحتاجه البشرية جمعاء. ■

الوعي الإسلامي
al-Waei al-Islami
العدد 402
صفر 1420 هـ
مايو / يونيو 1999 م

الأسرة المسلمة

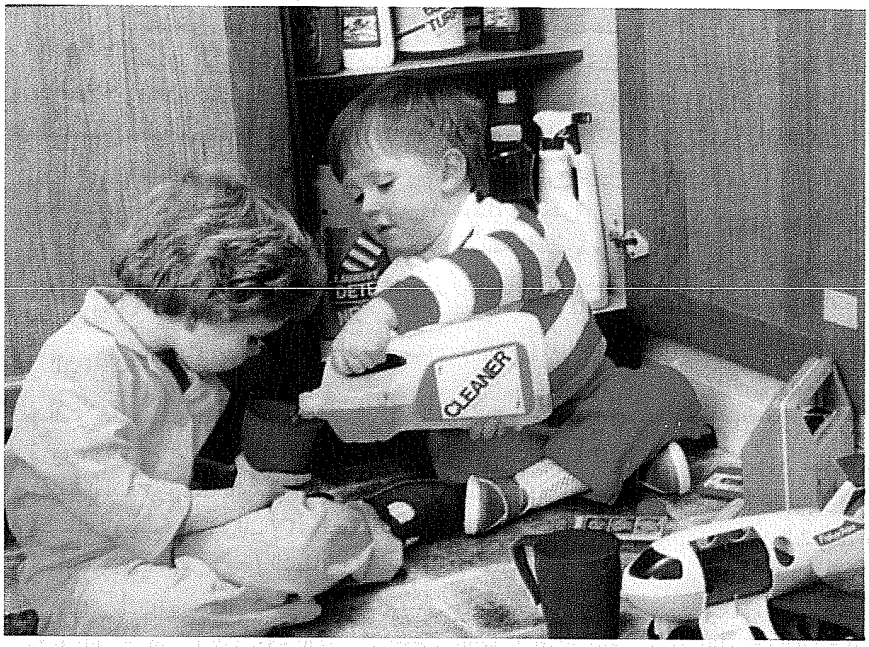

التهاب اللوزتين المزمن ولحمية خلف الأذن

جروح الطلاق النفسية لدى الأبناء

الكذب عند الأطفال

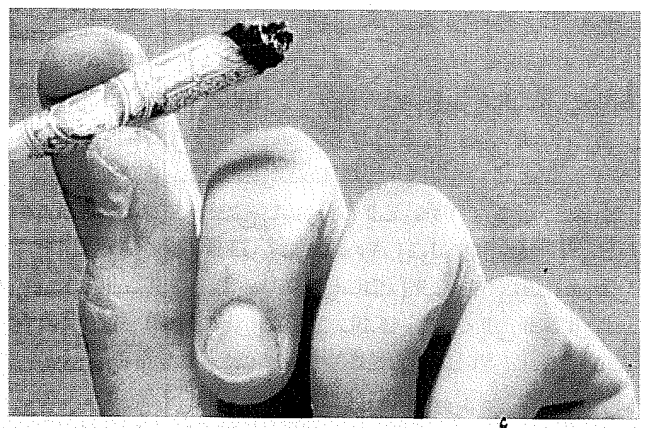

تحريم الزواج العرفي في الكتاب والسنة

المرأة والتدخين

أيها الأزواج مزيدا من الرعاية والصبر

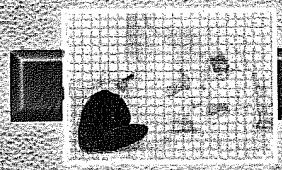

بقلم: د. أحمد عبدالوارث

تحريم الزواج العرفي في الكتاب والسنة

للدخول في هذا الموضوع يجدر بنا أن نتعرف على معنى الزواج لغة وشرعاً، والأهداف السامية منه، وفوائده، ثم نبيّن معنى كلمة العرفي هل هو متعارف عليه ومعمول به، بمعنى هل هو شرع، وإذا لم يكن كذلك فما علاقة العرف به؟ ثم نتعرف على الزواج الصحيح وشروطه وأركانه ومتى يكون فاسداً، ونتطرق إلى تحريم الزواج العرفي من القرآن الكريم ومن السنة المطهّرة ومن إجماع العلماء على ذلك في مختلف العصور والأزمنة. على ضوء ما عرفنا من أركان الزواج الصحيح.

الزواج لغة وشرعاً:

الزوج، خلاف الفرد، قال ابن سيدة: الزوج، الفرد الذي له قرين، والزوج الاثنان، وعلى الأولى قوله تعالى مخاطباً آدم: (اسكن أنت وزوجك الجنة) البقرة:٣٥، وقوله جل شأنه: (أمسك عليك زوجك) الأحزاب:٣٧، وقوله عز من قائل: (وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج) النساء:٢٠، أي امرأة مكان أخرى.

وأما من يطلقون كلمة «زوج» على الاثنين فإنهم يسترشدون بقول الله تعالى: (وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى) النجم:٤٥، فعلم من هذا أن كل واحد منهما يُقال له زوج وإذاً فيكون «الزواج» بمعنى الرباط الذي جمع بين الرجل والمرأة من كل واحد منهما زوجاً.

أما هذا الرباط فهو النكاح، فالزواج إذاً بمعنى النكاح على ملحظ الرباط والعقد بين الرجل والمرأة، والنكاح بمعنى الزواج على اعتبار ما يصير إليه كل منهما أنه زوج. قال الأعشى في انكح بمعنى تزوج:

ولا تقربن من جارة إن سرها

عليك حرام فانكحن أو تأيما

والنكاح في اللغة هو الضم والجمع، يُقال تناكحت الأشجار، إذا تمايلت وانضم بعضها إلى بعض وحكى المبرّد عن البصريين وغلام ثعلب عن الكوفيين إن النكاح عبارة عن الجمع والضم.

ويطلق النكاح ويُراد به العقد على سبيل المجاز، وأما حقيقته فالمراد به الوطء. قال صاحب الاختيار. فمتى أطلق النكاح في الشرع فإنه يُراد به الوطء(١). بينما يرى المالكية والشافعية والحنابلة أن لفظ نكاح لم يستعمل بمعنى الوطء في كتاب الله إلا في قوله تعالى: (حتى تنكح زوجاً غيره)، وقد دل ذلك على أن النكاح في عرف الشارع هو العقد لا الوطء، وأن إطلاقه على الوطء من قبيل المجاز(٢).

ويرى الفقهاء أن النكاح فرض وواجب بلا خلاف(٣) بينهم مستدلين على ذلك بالكتاب والسنة، فقد قال الله تعالى: (فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع) النساء:٣، وقوله عز وجل: (وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم) النور:٣٢.

وقال رسول الله ﷺ: «النكاح سنتي فمن رغب عن سنتي فليس مني» وقوله عليه الصلاة والسلام: «تناكحوا تكثروا فإني أباهي بكم الأمم».

على أن هذه الفرضية وذلك الواجب تكون للزواج إذا توافرت المقدرة عليه، فإن تاقت نفسه إليه وعجز عن الإنفاق على الزوجة ثم الأولاد بعد ذلك، فإنه يسعه قول الله تعالى: (وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله) النور:٣٣، وليتبع سنة النبي ﷺ في هذا الشأن بكثرة الصيام حيث يقول: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغضّ للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» (رواه الجماعة عن ابن مسعود)، والمقصود بالباءة - هنا - القدرة على متطلبات الزواج من جماع ونحوه، وقوله ﷺ: «فإنه له وجاء» أي وقاية مما يحدث من ضرر صحي بسبب الغلمة والاهتياج الشديد، ثم وقاية له من المعاصي التي يرتكبها بسبب عدم الزواج.

على أن هذا الزواج يجب أن يقوم على أسس صحيحة ثابتة مستمدة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فما دمنا مسلمين - والحمد لله - يجب علينا ألا نتحرك إلا في ظل الإسلام وألا نسير إلا على هديه.

ومن الأركان الركنية للزواج في الإسلام الولي بالنسبة للمرأة، إذ لا يصح نكاح إلا به، ومن دونه وفي غيبته يكون الزواج زنى، وقد ثبت ذلك بالكتاب والسنة فمن الكتاب قوله تعالى: (ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا...) البقرة:٢٢١، وقوله سبحانه: (فانكحوهن بإذن أهلهن) النساء:٢٥، وقوله: (وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم) النور:٣٢، وقد فُهم من هذه الآيات الكريمة أن الخطاب بالنكاح موجه إلى الرجال ولم يخاطب به النساء فكأنه يقول: لا تنكحوا أيها الأولياء مولياتكم للمشركين، وفي الآية الأخيرة يقول القرطبي: أي زوجوا من لا زوج له منكم فإنه طريق التعفف، والخطاب للأولياء، وقيل للأزواج، والصحيح الأول إذ لو أراد الأزواج لقال: «وانكحوا» بغير همز وكانت الألف للوصل. وفي هذا دليل على أن المرأة ليس لها أن تنكح نفسها بغير ولي.(٤)

وقوله تعالى: (فلا تعضلوهن) من قوله تعالى: (وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهنّ فلا تعضلوهنّ أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف...) البقرة:٢٣٢، نزلت في معقل بن يسار كانت له أخت تحت أبي البدّاح فطلقها وتركها حتى انقضت عدتها، ثم ندم فخطبها فرضيت،، وأبى أخوها أن يزوجها وقال: وجهي من وجهك حرام إن تزوجيته فنزلت الآية، قال مقاتل فدعا رسول الله ﷺ معقلاً فقال: «إن كنت مؤمناً فلا تمنع أختك من أبي البدّاح». فقال: آمنت بالله زوجتها منه(٥). قال القرطبي في الآية دليل على أنه لا يجوز النكاح بغير ولي لأن أخت معقل كانت ثيباً، ولو كان الأمر إليها دون وليها لزوجت نفسها، ولم تحتج إلى وليها معقل.(٦)

وأما من السنة فما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعلي بن أبي طالب وابن مسعود وابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهم أجمعين أن رسول الله ﷺ قال: «لا نكاح إلا بولي» رواه أحمد وأبو داود والترمذي، وصححه ابن حبان والحاكم، وذكر له الحاكم طرقاً، وقال: قد صحت الرواية فيه عن أزواج النبي ﷺ ... عائشة وأم سلمة وزينب بنت جحش، ووجه الاستدلال بالحديث أن النبي ﷺ نفى صحة النكاح الذي يكون من دون أن يباشره الولي.(٧).

وعن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل، فنكاحها باطل، فنكاحها باطل، فإن دخل بها فلها المهر بما استحل من فرجها، فإن اشتجروا فالسلطان ولي من لا ولي له»(٨). ويفهم من هذا الحديث أن النكاح من دون ولي فاسد، وقد روي عن مالك أن الشريفة والدنيّة لا يزوجها إلا وليها أو السلطان... وإذا كانت المرأة بموضع لا سلطان فيه ولا ولي لها فإنها تصيّر أمرها إلى من يُوثق بها من جيرانها، ويكون هو وليها في هذه الحالة(٩)، وروى الدارقطني بإسناده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «لا تزوج المرأةُ المرأةَ ولا تزوج المرأة نفسها. إن الزانية هي التي تزوج نفسها»، وبإسناده عن الشعبي قال: ما كان أحد من أصحاب النبي ﷺ أشد في النكاح بغير ولي من ﷺ ، كان يضرب فيه، قال ابن قدامة المقدسي: وتسميتها زانية يجوز بدليل أنه سماها بذلك بمجرد العقد.(١٠)

وموضع الاستدلال بالحديث في نهي الرسول ﷺ المرأة عن مباشرة الزواج، لا لنفسها ولا لغيرها. والنهي يقتضي فساد المنهي عنه. فدل ذلك على عدم صحة العقد الذي تباشره المرأة لنفسها أو وكيلة عن غيرها.(١١)

من كل ما تقدم تبين أن الولي ركن أساسي من أركان صحة عقد الزواج، وأنه لا صحة بحال من الأحوال لعقد زواج باشرته الزوجة بنفسها لأن الزواج له مقاصد متعددة، والمرأة كثيراً ما تخضع لحكم العاطفة، فلا تحسن الاختيار، فيفوتها حصول هذه المقاصد، فمُنعت من مباشرة العقد وجُعل إلى وليها، لتحصل على مقاصد الزواج على الوجه الأكمل.(١٢)

الحكم في آية:

وهي قول ربنا جل شأنه في سورة البقرة: (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنّ ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تُنكحوا المشركين حتى يؤمنوا...) الآية:٢٢١، فإن قليلاً من التدبر في ورود الفعل المضارع «تنكحوا» مرتين في الآية بصورة مختلفة عن الأخرى لهو القول الفصل في هذا الشأن، وليس بعد قول الله قول، فقد جاء الفعل «تنكحوا» في بداية الآية وقد فتح فيه حرف المضارعة التاء «تَنكحوا» وماضيه «نكح» وبعده «المشركات» فكأنه يخاطب الذين يريدون الزواج ألا يتزوجوا المشركات حتى يؤمنّ. وأما في المرة الثانية فإنه لا يخاطب الزوجات ولكنه يخاطب الأولياء، ذلك لأن وروده في المرة الثانية جاء وقد ضُم فيه حرف المضارعة التاء «تُنكحوا» وماضيه «أنكح» فهو إلى الأولياء ألا ينكحوا مولياتهم للمشركين حتى يؤمنوا. فهل بعد هذا البلاغ بلاغ آخر؟

على أن مفهوم الزواج العرفي ربما فهمه الناس بل ربما خاصتهم أنه الزواج الذي لا يكون مشهراً ويكون زواجاً صحيحاً بولي وشهود ولكن من غير تسجيل. إن هذا لزواج بهذه الكيفية لا ينقصه إلا الإشهار وهو ركن من أركان الزواج عند بعض الفقهاء، ولكنه صحيح عند غيرهم، أما الزواج الذي يتم فيه الخفاء بعيداً عن الأهل، وبالتالي بعيداً عن الولي بالنسبة للفتاة فهو زواج باطل وهي زانية ونتنبأ لها بسوء المنقلب في الدنيا والآخرة.

أما في الدنيا فإن هذا التيس الذي رضيت به عن عاطفة كاذبة أساسها شهوة حيوانية هابطة سرعان ما ينطفئ لهيب هذا الشوق ويصطدم رأسها بصخرة الواقع بمجرد أن يقضي كل منهما وطره من الآخر، ويفترس سعادتها المزيفة وحش الحياة الكاسر، ومتاعها ومتطلباتها وما ينشأ عن لقائهما الآثم من ولد لا يعترف به أبوه، وتجري به إلى المحاكم التي لا تُقر هذا الزواج ولكنها تنسب الابن إلى أبيه ولكن هيهات. فقد ضاع الأب وهرب بعيداً من مسؤوليته وتحمّلت هي على عاتقها جزاء جرمها بينما يطاردها المجتمع بازدرائه واحتقاره، ونظرات المقت والغضب تطاردها، فلا يقربها أحد بعد ذلك وتظل هي طريدة، حينئذ تستيقظ فيها شهوة الانتقام بدلاً من شهوتها السالفة، وربما كانت الأخيرة أشد ضراوة عن سابقتها، حتى إذا ما التقت بفتى أحلامها السابق قتلته شر قتلة ووقفت على جثته تمزقها إرباً إرباً. وكم سمعنا وقرأنا عن أحداث من هذا القبيل يندى لها الجبين.

وأما في الآخرة فإن العذاب الشديد، وغضب الله ومقته هو جزاء الله العادل لها لعدم التزامها بتعاليم شرعه الشريف.

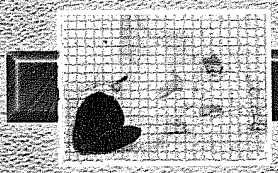

إن الزواج العرفي هو المرض الخطير الذي أصبح سائداً في عصرنا الحاضر، وللأسف الشديد أنه أصبح منتشراً بين البعض من أبنائنا وبناتنا طلاب الجامعات، هذا المجتمع الذي يجب أن تكون العلاقة فيه قائمة على أسس علمية ثابتة وبدلاً من أن يتنافس الأبناء والبنات أيهم يسبق الآخر علمياً ويتفوق على الآخر ينحرفون في هذا الإثم.

لكن يجب أن نكون منصفين ونقول إن هذا التصرف أعني الزواج العرفي لا يتم إلا بين فتى وفتاة انحدرا من بيئة هابطة وأن أسرة كل منهما ليس لها نصيب من الخلق الطيب والأخلاق الحميدة فالأمور عندهم يستوي بعضها ببعض.

أو أن هذا الزواج لا يتم إلا بين فتى وفتاة ساد التفكك في أسرة كل منهما، وليس للرجل سيطرة على أولاده ولا على زوجته قبل ذلك، فتركت الأم لـ«ابنتها» الحبل على غاربه، تلهو كيف تشاء أو تصادق من تشاء تتصرف بكل حرية كيف تشاء، وربما كانت الأم تترك ابنتها على هذا الوضع الشائن مكافأة لها على سكوت الابنة على التصرفات الشائنة للأم نفسها.

إن الإسلام ليتوجه إلى أولياء الأمور بخاصة بهذا الإنذار الشديد اللهجة للمحافظة على من يلون أمورهم بقول الله تعالى: (يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) التحريم:٦. ■

الهوامش :

١ ـ الاختيار شرح المختار ١٤٤/٢.

٢ ـ النكاح والقضايا المتعلقة به د. أحمد الحصري ـ ص٧.

٣ ـ المغني لابن قدامة ٤٤٥/٦.

٤ ـ تفسير القرطبي مجلد ٧ ص ٤٦٣١، دار الشعب.

٥ ـ انظر أسباب النزول للواقدي.

٦ ـ انظر تفسير القرطبي مجلد ٢ ص ٦٦٦، دار الشعب.

٧ ـ النكاح والقضايا المتعلقة به، د. أحمد الحصري، ص ٤٩٨.

٨ ـ رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والترمذي وقال: حديث حسن والحديث صححه القرطبي في تفسيره، انظر مجلد ٢ ص ٨٨١، دار الشعب.

٩ ـ تفسير القرطبي ٨٨٤/٢.

١٠ ـ المغني لابن قدامة على مختصر الخرقي ٤٥٥/٦ ـ عالم الكتب ـ بيروت.

١١ ـ النكاح والقضايا المتعلقة به، ص٢٩٨.

١٢ ـ انظر فقه السنة ـ السيد سابق ـ ٣٦٣/٢ دار الريان للتراث ط. ثانية ١٩٩٠م.

سنة ينبغي أن تعود

عرض الرجل كريمته على أهل الخير والصلاح

جرت عادة الناس بأن يبحث الرجل عن المرأة التي يرغب بالزواج بها فيخطبها من وليها، فإذا اتفقا وكتب لهما الوفاق والوئام تزوجها على عادة الناس، وفقاً للشريعة الغراء.

وقد يقع من بعض العقلاء والحكماء خلاف هذه العادة فيبحث الرجل عن الزوج الصالح لابنته من أهل الكفاءة والديانة والأمانة فيعرضها عليه، ويحدث ذلك غالباً ممن لهم بُعد نظر وحسن تفكير... وليس أدل على ذلك من فعل الفاروق عمر بن الخطاب: فعن عبدالله بن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال: إن عمر بن الخطاب حين تأيمت حفصة بنت عمر من خنيس بن حذافة السهمي، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ فتوفي بالمدينة فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أتيت عثمان بن عفان فعرضت عليه حفصة فقال: «سأنظر في أمري» فلبثت ليالي، ثم لقيني فقال: «قد بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا»، قال عمر: فلقيت أبا بكر الصديق، فقلت: إن شئت زوجتك حفصة بنت عمر «فصمت أبو بكر فلم يرجع لي شيئاً، فكنت أوجد عليه مني على عثمان» فلبثت ليالي، ثم خطبها رسول الله ﷺ ، فأنكحتها إياه، فلقيني أبو بكر فقال: لعلّك وجدت عليّ حين عرضت عليّ حفصة فلم أرجع عليك، قال أبو بكر: فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت عليَّ إلا أني كنت علمت أن رسول الله ﷺ قد ذكرها، فلم أكن لأفشي سرَّ رسول الله ﷺ ، ولو تركها النبي ﷺ لقبلتها»(١). وعرضت أم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها أختها على النبي ﷺ فقال: «إن هذا لا يحل لي».(٢) وقال صالح مدين لموسى عليه السلام: (إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين) القصص:٢٧، قال القرطبي: «فيه عرض الولي بنته على الرجل، وهذه سنة قائمة»(٣). بل بلغ من سماحة الإسلام وواقعيته أبعد من ذلك، إذ أباح للمرأة أن تعرض نفسها على الرجل الصالح رغبة في تقواه، ولا سيما إن لم يكن لها ولي ينوب عنها. فقد جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ تعرض نفسها ـ أي ليتزوجها ـ فقالت بنت أنس بن مالك: ما أقل حياءها، فقال أنس: «هي خير منك رغبت في النبي ﷺ فعرضت نفسها عليه»(٤). هكذا كان شأن الرعيل الأول من أصحاب النبي ﷺ في فهمهم للإسلام، وأخذهم بآدابه واجتهادهم في تحري الصالحين لبناتهم وأخواتهم ولكن غفلة كثير من الناس في هذا الزمان عن هذه الآداب السامية قلب الأوضاع في نظرهم، وأصبح التأسي بمثل هؤلاء الكرام البررة محل غرابة واستنكار. ■

الهوامش:

١ ـ البخاري: ٩ ـ ١٨٣ ك النكاح.

٢ ـ البخاري ١٢١/٩، ومسلم رقم (١٤٤٩).

٣ ـ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٧١/١٣.

٤ ـ انظر فتح الباري ـ ابن حجر ١٧٨/٩٠.

أحمد عبدالكريم عوض الله

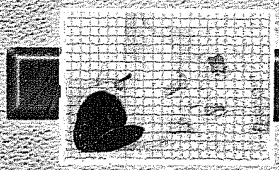

بقلم: محمد رشيد العويد

من وصايا النبي ﷺ بالمرأة

أيها الأزواج مزيداً من الرعاية والصبر

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: طلقت امرأتي وهي حائض. فذكر ذلك عمر للنبي ﷺ؛ فتغيظ رسول الله ﷺ؛ ثم قال: «مُرْهُ فليراجعها حتى تحيض حيضة أخرى مستقبلة، سوى حيضتها التي طلقها فيها؛ فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها طاهرة من حيضتها قبل أن يمسّها؛ فذلك الطلاق للعدة كما أمر الله».

رواه مسلم

أورد مسلم هذا الحديث، مع روايات وأحاديث أخرى، في كتاب الطلاق، وجعلها في باب تحت عنوان «باب تحريم طلاق الحائض بغير رضاها».

وفي هذا إشارة إلى النهي عن تطليق المرأة في فترة الحيض، حيث تكون المرأة في حال أشبه ما تكون بحال المرض، وهو ما يعد إعجازاً لما كشفه العلم والطب من تغييرات بدنية ونفسية تحدث للمرأة في فترة الحيض.

فالمرأة تنزف في حيضها ما يقارب ربع الليتر من الدم، وتنخفض حرارتها درجة مئوية كاملة، حيث تكون العمليات الحيوية المعتادة في جسم الكائن الحي في أدنى مستوياتها لدى الحائض، وهي العمليات المسماة بالأيض أو الاستقلاب (Metobolisom).

يقل إنتاج الطاقة عندها، وتتراجع عمليات التمثيل الغذائي، وتقل كمية استقلاب المواد النشوية والدهون. وتصاب الغدد الصماء بالتغير في أثناء الحيض فتقل إفرازاتها الحيوية اللازمة للجسم إلى أدنى مستوى لها. ونتيجة لما سبق كله يبطئ النبض، وينخفض ضغط الدم، وتصاب كثيرات من النساء بالدوخة والفتور والكسل.

كما يصاحب الحيض آلام تختلف في شدتها من امرأة إلى أخرى. وأكثر النساء يصبن بآلام وأوجاع في أسفل الظهر وأسفل البطن. وآلام بعض النساء تكون فوق الاحتمال؛ مما يستدعي تناول الأدوية والمسكنات، ومنهن من تحتاج إلى زيارة الطبيبة من أجل ذلك. ويؤدي هذا إلى إصابة المرأة بحالٍ من الكآبة والضيق في أثناء الحيض، وبخاصة في بدايته، حيث تصبح متقلبة المزاج، سريعة الاهتياج، قليلة الاحتمال. وتكون حالها العقلية أو الفكرية في أدنى مستوى لها. ومن النساء ممن تصبن بالصداع النصفي قرب بداية الحيض، وتكون الآلام حينئذٍ مبرحة، ويصاحبها زغللة في الرؤية وقيء. هذه الحال التي تصاب بها المرأة في الحيض تكشف عن الحكمة في نهي النبي ﷺ عن تطليقها خلال هذه الفترة، حيث تثور المرأة لأي شيء، فيضيق زوجها بثورتها، ويندفع إلى تطليقها. لكنه لو حلم وصبر، وأجل وانتظر، إلى أن تمر أيام الحيض، لوجد زوجته وقد ذهب عنها ما جعلها متوترة ثائرة.

والإحصاءات العلمية تؤكد أن أكثر حالات الطلاق إنما يقع في فترة حيض الزوجات.

فيأيها الأزواج؛ أحلموا على زوجاتكم أيام حيضهن، ولا تتفاجؤوا بتغير طباعهن وثوراتهن. ■

من التراث

الزوجة الصالحة

قيل لرجل حكيم: صف لنا الزوجة الصالحة؟ والتي تسرُّ الزوج؟

فقال: الزوجة الصالحة هي التي تصون كرامة الزوج، وتحفظ عرضه، وتقدس شرفه، وترعى ماله، وتحترم أهله، وتجله في حضوره، وتعظمه في غيبته، وتحب ما يحبه - وإن كان غير محبوب لديها - وتكره ما يكره - وإن كان غير مكروه عندها - تهتم بكل ما يهتم به، وأن تصرف وجهها عن كل ما يصرف وجهه عنه، وأن تغضب لكل ما يغضبه، وترضى لكل ما يرضيه، إن جاء بقليل استكثرته، وإن جاء بكثير شكرته، تستيقظ قبل أن يستيقظ، وتنام بعد أن ينام، وتتحلّم إذا جهل، وتلين إذا قسى، وتسكت إذا ثار، ولا تتمارض بين يديه، ترضى بكل ما يرضيه، ولا تبكي وهو يضحك ولا تضحك وهو يبكي، ولا تفرض عليه أمرها، ولا تلزمه رأيها... ولا تعامله معاملة الخادم الأجير، ولا تنتقده في عمل، ولا تعيب عليه في نظام، ترفع قدره بين أهلها، وتعظم منزلته بين جيرانها، تطلعه على كل حسن، وتخفي عنه كل قبيح، إن شكا إليها واسته، وإن شكا منها انصفته، تعزيه إن كان حزيناً، وتخفف عنه إن كان مهموماً تسهر بجانبه إن كان مريضاً، وتساعده إن كان محتاجاً، وتهوّن عليه إن كان في حرج أو ضيق، تستقبله إذا دخل، وتودعه إذا خرج تنتقي الألفاظ إذا تكلمت، وتجمل نفسها ما وسعها الجمال، وتظهر من الأفعال أحسنها، وتظهر من الأنوثة ألطفها، وتحاول أن تملئ قلبه وعينيه، تقابل سيئته بالحسنة، لاتصلي صلاة التطوع إلا بإذنه ولا تصوم صوم التطوع إلا بإذنه ولا تخرج من البيت إلا بإذنه... ولا ... فصرخ السائل كفى! كفى يا أخي!... ■

النووي عبدالجواد

بقلم: أشرف سعد

إن رعاية الطفولة والاهتمام بها يعتبر أمراً جليلاً، فالأطفال زينة الحياة الدنيا، يقول الله تعالى: (المال والبنون زينة الحياة الدنيا)، ومن القيم الأساسية التي يحض عليها الإسلام الصدق، ولكننا أحياناً نفاجأ بالأطفال يكذبون لأننا لا نسمح لهم بقول الحقيقة، فعندما يقول الطفل لأمه إنه يكره أخاه فقد تضربه لقوله الحقيقة. وعندما نعاقب الأطفال بسبب الحقيقة فهم يكذبون دفاعاً عن النفس ويكذبون أيضاً ليعطوا لأنفسهم ما ينقصهم في الحقيقة.

الكذب عند الأطفال

أنواع الكذب

- الكذب الخيالي:

وهو ما يقصه الطفل من نسج خياله ووحي إلهامه من حكايات سببه خصوبة الخيال ونشاطه.

علاجه: عند كشف هذه المقدرة في نفوس الأطفال ينبغي أن نحسن توجيهها والاستفادة منها بتوجيه موهبته إلى فنون الأدب وعلى المربين أن يشعروا الطفل بأن حديثه ضرب من الخيال ويبادلونه قصة بقصة وخيال بخيال ويعرفونه أن قصصه تخالف الواقع. وكل الأطفال يمرون بفترة في صغرهم لا يفرقون بين الحقيقة والخيال وأحياناً يكون الكذب الخيالي تعبيراً عن أحلام الطفل وهذا الكذب لا يبشر بانحراف سلوكي أو اضطراب نفسي، بل يدل على إنه لا يفرق بين الواقع والخيال.

- الكذب الالتباسي:

وهو نوع لا يدل أيضاً على انحراف سلوكي.

سببه: أن الطفل لا يمكنه عادة التمييز بين ما يراه حقيقة واقعة وما يدركه واضحاً في مخيلته. فكثير ما يسمع الطفل حكاية خرافية أو قصة واقعة وسرعان ما تملك عليه مشاعره وتسمعه في اليوم التالي يتحدث عنها وكأنها وقعت بالفعل.

علاجه : يزول هذا النوع من الكذب عادة من تلقاء نفسه إذا كبر الطفل ووصل عقله إلى مستوى يمكنه فيه أن يفرق بين الحقيقة والخيال أو الالتباس باسم الكذب البريء ويزول كلما زادت خبرات الطفل.

- الكذب الادعائي:

يلجأ بعض الأطفال الذين يعانون من الشعور بالنقص إلى تغطية هذا الشعور بالمبالغة فيما يملكون أو في صفاتهم أو صفات ذويهم بهدف الشعور بالمركز في وسط أقرانهم، أو استجابة لمؤثرات يتعرضون لها في البيئة. وهو كذب موجّه لتعظيم الذات.

أسبابه: قد ينتج من عدم مقدرة الطفل على الانسجام مع من حوله، ومن ضيق البيئة التي يعيش فيها أو من كثرة القمع والإذلال الواقعين عليه ممن حوله.

علاجه: ينبغي أن نكشف عن النواحي الطيبة في نفس الطفل ونوجهها ونشعره أنه إذا كان يقل عن أقرانه من ناحية فإنه يزيدهم في نواح أخرى. وينبغي الإسراع في علاج هذا الطفل منذ الصغر حتى لا يتفاقم الخطر وإلا نما مع الطفل وصار يصاحبه ويتحول إلى ظاهرة مرضية.

الطفل الذي يعيش في وسط لا يساعد على الصدق يسهل عليه الكذب

- الكذب الغرضي أو الأناني:

يكذب الطفل رغبة منه في تحقيق غرض شخصي.

سببه: عدم توافر الثقة بين الطفل والكبار المحيطين به ونتيجة عدم توافر ثقته في والديه لكثرة عقابهما له أو لوقوفهم في سبيل تحقيق رغباته وحاجاته.

علاجه: إشباع حاجات الطفل النفسية وتحقيق رغباته بشيء من القصد والحكمة.

- الكذب الانتقامي:

هو أن يكذب الطفل ليتهم غيره باتهامات يترتب عليها عقابه وسوء معاملته.

أسبابه: الغيرة بين الأطفال فالذي يغار من أخيه يكيد له عند أبويه لينتقم منه وينتج من عدم المساواة في المعاملة بين الأطفال مما يشعرهم بالرغبة في الانتقام.

علاجه: يتطلب علاجه الحرص التام واليقظة والحذر وبخاصة من الآباء والمعلمين لأنه قائم على غير أساس من الحقيقة.

- الكذب الدفاعي:

هو أكثر أنواع الكذب شيوعاً، فالطفل يكذب خوفاً مما يقع عليه من عقوبة ويسمى بالكذب الوقائي.

أسبابه: المعاملة القاسية للطفل عقاباً على أخطائه والتي تخرج عن حد المعقول - قد يكذب الطفل ليحتفظ لنفسه بامتياز خاص.

- سببه الشعور بالنقص والرغبة في وقاية النفس من السلطة الجائرة في المنزل. ومن أنواعه :

كذب الإخلاص :

فالطفل يكذب ليحمي أخاه أو زميله من العقوبة وتنتشر هذه الظاهرة في سن المراهقة حيث يشتد الولاء للأقران.

كذب التقليد :

كثيراً ما يكذب الطفل كتقليد للوالدين أو من حوله على أساس أنهم قدوة له.

الكذب العنادي :

يكذب الطفل لمجرد السرور الناشئ من تحدى السلطة خصوصاً إن كانت شديدة الرقابة والضغط وقليلة الحب.

ولعلاج الكذب الدفاعي: يجب معاملة الطفل بشيء من الحنان ومنحه الحرية في تدبير أموره وشعوره بالاستقلال في أفعاله ويجب عدم الكذب على الأطفال حتى لا يتولد عندهم الميل إلى تقليد الوالدين، لأن

عندما نعاقب الأطفال بسبب قولهم الحقيقة فإنهم يكذبون دفاعاً عن النفس

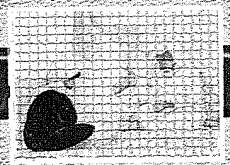

الأطفال يتعلمون الصدق والأمانة من البيئة ومن الكبار القائمين على تربيتهم، ومن الخطأ أن الطفل الصغير لا يفرق بين الصدق والكذب، فالطفل في مقدوره تماماً أن يفرق بين ما هو صادق وما هو كاذب خصوصاً فيما يتعلق بالأمور والرغبات الخاصة به.

والطفل الذي يعيش في وسط لا يساعد على تكون اتجاه الصدق والتدريب عليه يسهل عليه الكذب، خصوصاً إذا كان لا يتمتع بالقدرة الكلامية ولباقة اللسان وكان خصب الخيال.

- الكذب المزمن أو الموضوعي:

ويصل الكذب هنا إلى مرحلة الإدمان فيصدر عن الطفل على الرغم من إرادته وهذا النوع من الكذب يتطلب جهداً كبيراً في علاجه وينتج من الشعور بالنقص وعدم القبول سواء من أقرانه أو من الأسرة.

- الكذب بغرض الاستحواذ:

يلجأ الطفل إلى الكذب للاستحواذ على الأشياء كالنقود أو الحلوى أو اللعب وذلك عندما يفقد الثقة في البيئة فهو يشعر بالحاجة إلى امتلاك أكبر قدر ممكن من الأشياء وهو يكذب في سبيل تحقيق ذلك.

- كذب الخوف من العقاب:

كثيراً ما يتصف الأطفال في الأسرة التي يسود فيها نوع من النظام الصارم والعقوبة الشديدة بالكذب خوفاً من العقاب كما يسود هذا النوع من الكذب في الأسر التي يختلف فيها الآباء والأمهات في طريقة معالجة مشكلات الأبناء. لذلك نجد أن الطفل يتفنن في الكذب وينتقل من كذبه إلى أخرى مستخدماً ذكاءه ولا يضيره أن يلصق تهمه ببريء بهدف الدفاع عن نفسه خوفاً من العقاب الذي يلحق به.

كيف نتصرف عندما يكذب الأطفال؟

أحياناً يكون الكذب عارضاً وأحياناً أخرى يكون مصحوباً بأعراض أخرى كالسرقة أو العصبية الزائدة ونوبات الغضب ولا جدوى من علاج الكذب بالعقاب والتهديد والتشهير والسخرية لأن لهما أثر ضار على نفسية الطفل.

ويجب أن ندرك أن الطفل يتقمص سلوك من حوله لذلك يجب أن يكونوا قدوة للأطفال، فالآباء والأمهات الذين يتباهون بالأكاذيب يدفعون أطفالهم إلى تقليدهم في سلوكهم، ويجب أن نتجنب الظروف التي تشجع الطفل على الكذب وتضطره للدفاع عن نفسه ويجب إذا اعترف الطفل بكذبته ألا نعاقبه لأن عقابه في هذه الحال يعتبر عقاباً على الصدق.

لا جدوى من علاج الكذب بالعقاب والتهديد لأن لهما أثرا ضارا على نفسية الطفل

علاج كذب الأطفال:

لعلاج كذب الأطفال يجب تقصي الباعث الحقيقي الدافع إلى الكذب، وهل هو كذب بقصد حماية النفس خوفاً من العقاب أو بقصد الانتقام والتشفي أو أنه بدافع لا شعوري مرضي إذا كان الطفل دون الرابعة من عمره فلا ننزعج لما ينسجه خياله من قصص أو وقائع غير صحيحة وعلينا أن نساعده لكي يفرق بين الواقع وبين الخيال مستخدمين الدعابة دون أن نتهمه بالكذب أو نؤنبه على ما يؤلفه من قصص خيالية.

وإذا كان عمر الطفل في الخامسة نحدثه عن أهمية الصدق وفوائده دون أن يكون حديثنا له مغزى النصيحة والتأنيب.

وينبغي معاملة الطفل بقدر من التسامح والمرونة إذا لجأ إلى الخيال من وقت لآخر.

وعلينا أن نعلم أن الصدق صفة مكتسبة يكتسبها الطفل من القائمين على تربيته وتعليمه فإذا نشأ الطفل في بيئة تحترم الحق وتلتزم الصدق، فإنه من الطبيعي أن يلتزم حدود الصدق.

والتربية والاستقلالية وعدم تذليل الطفل خير وسيلة للوقاية والعلاج فكلما كان الطفل يتصرف بحرية في أموره الصغيرة ولم يتعرض للعقاب المبرح كلما أخطأ نشأ مطيعاً صادقاً لا يلجأ للكذب أبداً. ■

المراجع:

١ - د. مصطفى رجب - أطفالنا من أين نبدأ - سلسلة مكتبة الشباب - الهيئة العام لقصور الثقافة - ع٢٩ - القاهرة سنة ١٩٩٥م.

٢ - د. ملاك جرجس - مشاكل الأطفال النفسية - القاهرة سنة ١٩٩٦م.

٣ - د. محمد كمال عبدالعزيز - أنت ومشاكل طفلك - مكتبة بن سينا - القاهرة سنة ١٩٨٨م.

٤ - د. محمد مهدي علام - فلسفة الكذب - دار المدينة المنورة - القاهرة سنة ١٩٦٦م.

٥ - يوسف ميخائيل أسعد - رعاية الطفولة - دار نهضة مصر للطباعة - القاهرة سنة ١٩٧٩م.

٦ - د. سعد جلال - المرجع في علم النفس - دار المعارف، ط٣ القاهرة.

٧ - د. جينوت - بين الآباء والأبناء - ت صبري الفضل - مكتبة الدار العربية للكتاب - القاهرة سنة ١٩٩٥م.

٨ - د. فاطمة عبدالعزيز - د. محمد قرني - العناية بطفلك بدنياً ونفسياً - دار الشعب - القاهرة سنة ١٩٨٥م.

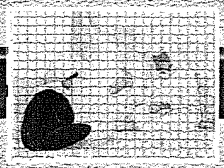

بقلم : منى السعيد الشريف

لماذا هذه الازدواجية ؟

لماذا هذه الازدواجية؟... نؤمن بالمبدأ وعكسه، نقول ما لا نفعل ونفعل ما لا نقول، حتى أصبحت الازدواجية ظاهرة تسيطر على حياتنا كلها.

تشكو لي إحداهن من زوجها فتقول: «إن زوجي لا يؤمن بفكرة خروج المرأة للعمل ما لم تكن هناك حاجة ماسة لذلك، ويرى أن خروجها للعمل امتهان لدينها وحيائها، بل أنوثتها، ومع إيمانه بكل هذا لا يمنعه ذلك من التطرق في حديثه معي إلى ذكر أخته أو زوجة أخيه أو زوجة فلان من أصدقائه وكيف تعمل وتتحمل معه المسؤولية، وتخفف عنه أعباء الحياة، فإذا قلت له لماذا لا تجعلني أعمل أنا الأخرى مثلهن ما دمت ترى ذلك؟... فيرد: إنك مرفهة ولا تستطيعين تحمل مسؤولية البيت والأولاد مع العمل وكأن المانع الوحيد لخروجي للعمل هو قصور في شخصيتي وجهدي. لا إيمانه بمبدأ يطبقه فأي ازدواجية في ذلك؟».

وتحدثني ابنتي عن بعض تصرفات المعلمين وكيف يناقض قولهم فعلهم فتقول: «حتى مدرس اللغة العربية الذي يحدثنا عن أهيمتها وأن تدريسها رسالة مقدسة وأنها لغة الضاد العظيمة ولغة القرآن ولغة أهل الجنة ولسان الله لعباده ومع ذلك لا يتورع عن إقحام بعض الكلمات الأجنبية في حديثه والتي قد لا يحسن نطقها متفاخراً بحفظه ومعرفته بها».

نعم... إننا نؤمن بالمبدأ، ولكن تطبيقنا له شيء آخر، إننا نؤمن بالآخرة ولكن لا نعمل لها، نؤمن بقيمة العمل ولا نعطيه حقه، نؤمن أنه (لاتزر وازرة وزر أخرى)، (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى)، فإذا ما سقط أحد أقاربك وجدت الناس تنقلب عليك وتحاسبك على فعله، كأنك أنت الذي قمت به، وكلما زادت درجة قرابتك له زاد تأففهم منك وريبتهم ونفورهم.

والله لقد أصبحنا بهذه الازدواجية ينطبق علينا عتاب الله تعالى في قوله الكريم: (يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون). وكنت أظن أنني وأسرتي بمنأى عن تلك الظاهرة حتى دخل عليَّ ولدي ذات يوم يخبرني عن رغبته في الزواج، وأنه قد اختار بالفعل من يريد الاقتران بها فتهللت أساريري، ولم يساورني الشك لحظة أنه قد أحسن الاختيار، فهو يعلم أن خير متاع الدنيا زوجة صالحة، ويؤمن بنصيحة رسول الله ﷺ : «فاظفر بذات الدين تربت يداك»، بل ينصح بذلك أصدقاءه.

ولكني صعقت عندما أخبرني من تكون العروس... إنها حقاً فتاة تسترعي انتباه أي شاب... يتوافر فيها الجمال والمال والنسب الرفيع، ولكنها بعيدة أكبر البعد عن الزوجة التي كنت أرجوها له، وارتضي تدينها وثقافتها، وتمالكت نفسي وجمعت شتات فكري بعد هذه المفاجأة محاولة أن أثنيه عن عزمه أو أقنعه على الأقل بإعادة التفكير في هذا الاختيار وذكّرته بكل المبادئ التي تربى ونشأ عليها وأنه لا يختار امرأة كي يعيش معها فترة من الزمان، ولكنه يختار الأم لأولاده، والرفيق الذي سيلازمه رحلة الحياة، والعقل الذي يجب أن يستوعب أفكاره ومعتقداته وثقافته فيتجاوب مع حواره ويبادله رأياً برأي، والأهم من ذلك كله أنه يختار اليد التي ستكون عوناً له على أمر دينه قبل دنياه، ولكن باءت محاولاتي كلها بالفشل، لقد كان يعتقد اعتقاداً جازماً أنه قادر على أن يشكلها بعد الزواج كيف شاء، وأن يصلح كل ما أراه عيباً بها، كان يتحدث وكأنها ستكون دمية في يده دون إرادة أو مقاومة، ووجدتني في آخر الأمر مرغمة على الإذعان لرغبته وتمنيت من الله أن أكون أنا المخطئة في تقديري وأن يوفق في تحقيق كل ما يرجوه منها.

ومرت أشهر على الزواج ودق بابي ذات يوم ففتحت له فدخل مطأطأ الرأس وألقى عليَّ السلام بصوت مختنق، ثم ألقى بجسده على أول كرسي وكأنه يتخفف من حمل ثقيل ونظر إليَّ بانكسار قائلاً: «كان الحق معك يا أماه لقد أخطأت»، ولم يكن في حاجة أن يكمل فلقد فهمت أن الخلاف بدأ يدب بينه وبين زوجته بعد أن انتهى بريق مميزاتها الظاهرة، وتخلص من تأثيرها عليه، وبدأ يبحث عن الإنسان بداخلها، وأخذ يسرد لي بعض خلافاته معها وكيف أنهما لا يكادان يتفقان على شيء، كان ينتظر مني أن ألومه أو أطلب منه إصلاح خطئه بالانفصال عنها، وأدركت أن الشيطان ساق ولدي إلى الآن كي أكون عوناً له على أخذ القرار لأبغض الحلال ولم أكن لأفعل ذلك أبداً، وأخذت في تهدئته وإقناعه بأنه هو الذي اختارها وعليه أن يتحمل مسؤولية ذلك وقلت له: «لابد أن تعلم يا بني أنه ليس من السهل عليها أن تستجيب لكل ما تقول ويرضيك، وبخاصة إذا كانت على غير دراية بأمور دينها، فهي ترى إذاً في كل أوامرك تشدداً وتحكماً لا مبرر له، فعليك أولاً أن توضح لها أمرها، ولتكن معها زوجاً قبل أن تكون مربياً أو ناصحاً حتى لا تمل واحذر كل الحذر أن تشعرها أنك تريد تغييرها وتعديل سلوكها فقد يأتي هذا بنتيجة عكسية... يا بني أنا على يقين من أنك عندما تزوجت بها توسمت فيها الخير فلتبحث عن هذا الخير داخلها ولتظهره... إن الأمر يتطلب كثيراً من الصبر والوقت فلتجعل ذلك في سبيل الله و«لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم» لقد حان الوقت يا بني كي نطبق مبدأ من المبادئ التي نؤمن بها ونعلم أنها الصلاح لنا في الدنيا والآخر.

تركني ولدي وانصرف وأنا أتساءل... هل أخطأت في تربيته؟ أم أنها صفة متأصلة فينا؟ ومتى سنحيا بمبادئنا فنطبق ما نعتقد ونؤمن به؟ لقد استطاع الرعيل الأول من الصحابة والتابعين تحقيق ذلك، فدانت لهم الدنيا بأسرها... فهل نستطيع نحن ذلك!! ■

بقلم: د. محمد محمد الفيومي

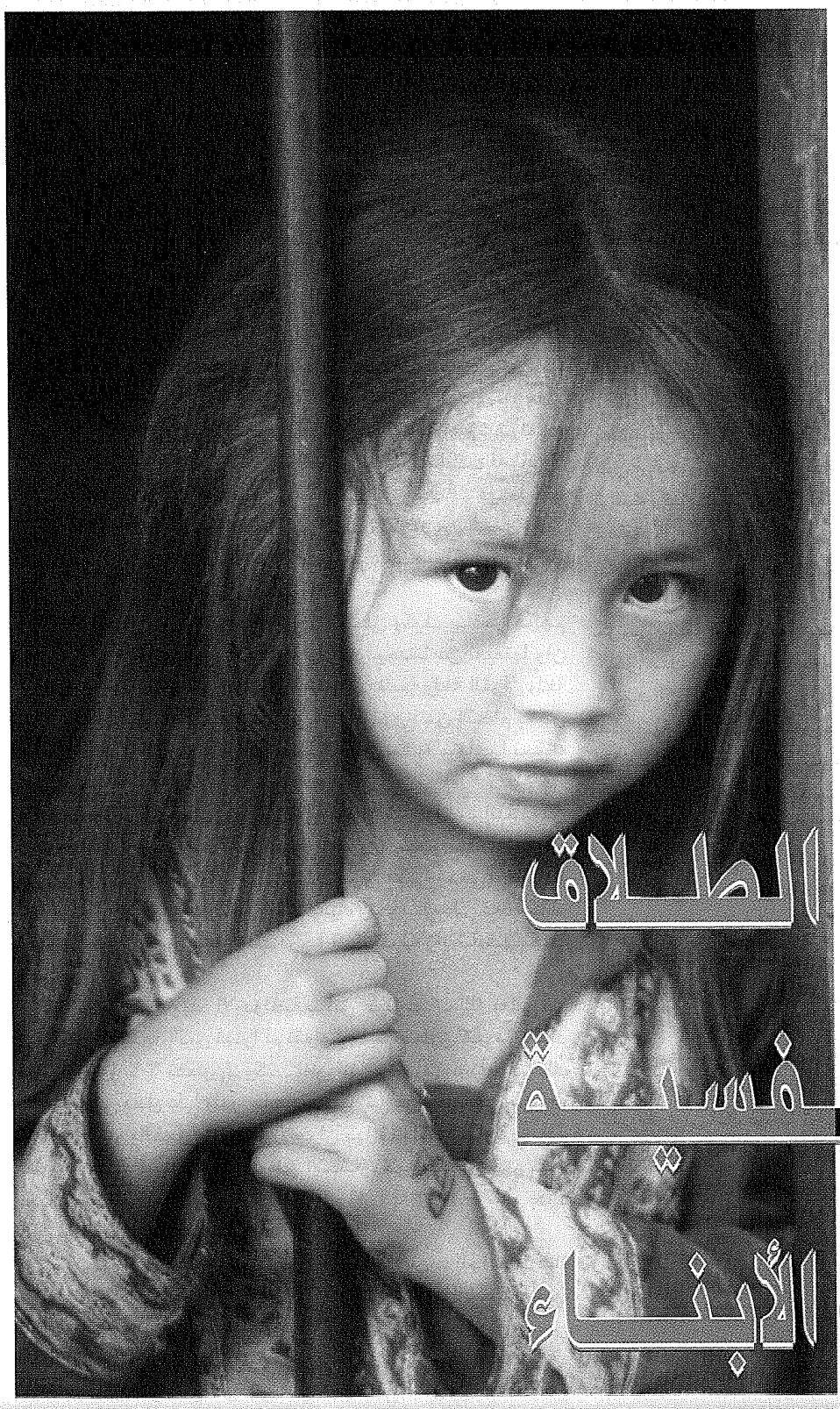

جروح الطلاق النفسية لدى الأبناء

ما من شك أن العلاقات الزوجية غير السوية التي تعاني التصدع والخلافات التي تنتهي بالطلاق تحدث جروحاً وآثاراً مدمرة في حياة الأبناء، ذلك لأن الشقاق بين الزوجين يشكل مناخاً غير صحي في التنشئة الاجتماعية للأبناء، وبخاصة إذا كان هناك صراع بين الزوجين في محاولة ضم الأبناء إلى معسكره لتقوى شوكته في مواجهة الزوجة.

وقد يتولد لدى الأبناء اتجاه نحو العنف، وقد يضل بعض الأبناء الطريق القويم فيسلك طريق الانحراف ويندفع إلى السلوك المضاد للمجتمع، حيث تكون السلطة الأسرية في غفلة عنه وربما يكون قد وقع الانفصال وتم الطلاق.

ويفقد الأبناء الرعاية والعناية في فترة أحوج ما نكون فيها بأمسّ

الحاجة إليها، فهم يحتاجون في هذه الفترة إلى توجيه القدوة حتى ينمو ذكاءهم وتزدهر قدراتهم وتتوجه إلى العلم والمعرفة لا إلى الهدم والتخريب، وربما يتخذ الطفل من العنف منهجاً إذا لم يجد من يقوده إلى جادة الصواب ويجنبه الزلل وإلا ذهب إلى الضياع.

إن أبناءنا فلذات أكبادنا وحملة لواء المستقبل ينبغي أن نوفر لهم حياة سعيدة مستقرة وما واقعة الطلاق إلا تبدداً لكل آمال المستقبل أمام الأبناء.

فالطلاق هو الإعلان الرسمي لفض الحياة الزوجية، وهو الوسيلة الوحيدة لإنهاء الزواج غير الناجح، وتفريق الزوجين وفق مقتضى الشريعة الغراء.

وبالرغم من إباحة الطلاق إلا أنه ينبغي أن يكون الملاذ الأخير، فهو «أبغض الحلال عند الله»، ويؤكد علماء النفس أنه بالرغم من أن الطلاق هو الحل المشروع للزواج الفاشل إلا أنه عامل مثير لكثير من الاضطرابات والمشكلات النفسية لدى الأبناء والمراهقين بخاصة، إذ ينطوي على الحل والمشكلة في آن واحد. ومن الصعب إيجاد التوازن بين هذين الأمرين.

وقد أكدت أبحاث علماء الصحة النفسية أن استمرار الزواج الفاشل ربما يكون أكثر ضرراً بالأبناء من الطلاق، فالشجار المتعاقب في المنزل ربما يكون السبب الأساسي لجنوح الأبناء وبخاصة إذا عمد الوالدان إلى اتخاذ الطفل محوراً لشجارهما، وهذا الجو المضطرب يمنعهم من الحصول على الحب والحنان اللازمين من الوالدين.

إن القلق عند المراهقين أبناء المطلقين مرجعه تعرضهم لظروف قاسية في طفولتهم نتيجة عدم الانسجام الأسري وسوء العلاقة بين الزوجين التي انتهت بالطلاق.

وتؤكد الأبحاث أن أبناء المطلقين ترتفع نسبتهم في قوائم الانتظار في العيادات النفسية في الولايات المتحدة الأميركية وهم يشكلون من ٥٠ إلى ٧٥ في المئة من المجتمع من الأطفال المضطربين.

كما أكد العالم النفسي «كالنر» إن المراهقين الذين يعيشون في بيوت مفككة بسبب الطلاق أو الانفصال يعانون من مشكلات عاطفية وسلوكية ونفسية واجتماعية وصحية بدرجة أكبر من أقرانهم الذين يعيشون في بيوت مستقرة، بل إن هذه الفئة من الأبناء يميلون إلى الحدة والغضب ولديهم ميل شديد للعزلة والانطواء وتتضح لديهم أعراض الاكتئاب.

ويؤكد علماء الصحة النفسية أن المشكلات النفسية التي يعاني منها هؤلاء الأبناء مصدرها تلك التغييرات التي تشمل مجالات الحياة العائلية والاقتصادية والنفسية والاجتماعية.

كما تحدث تغييرات شاملة في علاقة الطفل بالوالدين ومجالات الأداء الوظيفي العائلي وربما يشمل هذا التغير لدى الأبناء نظرة الناس لهم في المدرسة والحي والبيت، كل هذه العوامل تؤدي إلى معاناة أبناء المطلقين من مشكلات انفعالية وسلوكية أهمها:

الكذب، السرقة، العزلة، الغضب، ويلي ذلك مشكلات الغيرة وضعف التحصيل الدراسي، والشعور بالنقص، وهناك مشكلات أخرى أيضاً كالتدخين والإدمان والميول إلى العدوانية.

كما توضح الأبحاث انعدام المساعدات من البيئة الاجتماعية المحيطة بأبناء المطلقين مما يضاعف من هذه المشكلات ومعاناتهم كأن ينحاز الأجداد إلى أحد طرفي الصراع في اتخاذ قرار الطلاق ما ينتج عنه محنة شديدة للأبناء.

وتبرز الدراسات الفروق بين الجنسين من أبناء المطلقين في المشكلات النفسية استناداً إلى أن الذكور والإناث في الأسر المطلقة يعانون من الظروف نفسها، ولكن تظهر لدى الذكور أكثر مشكلات الغضب والهروب والسرقة والعدوان والتدخين، أما لإناث فتسود لديهم مشكلات الكذب والغيرة والخوف.

ويتفق الذكور والإناث في مشكلات الاكتئاب والعزلة والشعور بالنقص والقلق والضعف في التحصيل الدراسي.

وهكذا أكدت الدراسة أن للطلاق آثاراً نفسية أليمة وينتج عنه مشكلات انفعالية وسلوكية تؤثر على تشكيل شخصية الأبناء.

وهكذا فإن الطلاق هو «أبغض الحلال عند الله» ويجب على الآباء مراجعة أنفسهم قبل الإقدام عليه والتفكير فيه ومحاولة تجنب المشكلات التي تقود إلى الطلاق بداية من اختيار الزوجين كلاً منهما للآخر، ولم تغفل الشريعة الإسلامية هذا الجانب لذا دفعت إلى حسن اختيار الزوجين كل منهما للآخر لما لذلك من أثر في إدامة العشرة الزوجية وتربية الأبناء تربية إسلامية. فجاء في حديث الرسول ﷺ : «إذا جاءكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه» رواه مسلم، كما جاء في حديثه الشريف : «تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس» رواه ابن ماجه.

ذلك لأن العلاقة الزوجية تكون علاقة فريدة أساسها الألفة والمحبة والتعاون والرحمة وإذا تحقق ذلك، فإن الأسرة المسلمة التي تسير وفق نهج الله هي التي يترعرع في ظلها الأبناء إذ تمد المجتمع بالأبناء الصالحين الذين يتمسكون بالقيم الدينية التي تحض على الصدق والأمانة والتعاون والمحبة.

فلنتق الله في اختيارنا لأزواجنا وليكن أساس اختيارنا هو الإيمان لتنبت الأسرة نباتاً حسناً، وليحيا أبناؤنا حياة آمنة مستقرة، ولنكن بحق خير أمة أخرجت للناس نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر. ■

بقلم: عبدالحميد غزي

المرأة والتدخين

لماذا لا تجعلي فترة الحمل والرضاعة فترة ذهبية للتخلص من هذه العادة الروتينية، وأعني بها عادة التدخين؟ إذ لم يكن الأمر كذلك، فإليك بعض الأخطار.

دلت الإحصاءات على أن قابلية المرأة الحامل للإجهاض، تتضاعف بالتدخين وبخاصة في الأشهر الأولى من الحمل، حيث يزداد الخطر، فمادة النيكوتين في السجاير يمتصها دم الأم من الرئة، لتسري في جميع أجزاء الجسم، ومن ضمنها الرحم والمشيمة، حيث تؤثر على مهد الجنين الصغير، وربما تسبب انفصاله عن مصدر غذائه وإعالته عن الأم، وتكون النتيجة الحتمية لهذا هو الإجهاض الذي قد يتكرر ما دام السبب موجوداً وهو التدخين في أثناء الحمل.(١)

وقد يشير حالياً إصبع الاتهام في هذا المجال إلى أن نواتج احتراق السيجارة مثل «القطران» وغيره، تؤدي إلى تشوهات في الجنين وبخاصة في أثناء الحمل، وأولى ضحايا هذه المواد الغريبة هو الجهاز العصبي، والأصعب من ذلك، أن مادة النيكوتين وبعض نتائج احتراق السيجارة يفرزها الثدي مع اللبن في فم الطفل الرضيع.

ومن هنا، أترك لك يا سيدتي حالة هذا الكائن الضعيف، «الطفل الرضيع»، وهو في أسابيعه الأولى، فماذا لو أعلمتك عن نتائج التدخين الأخطر، ألا وهي السرطان، وهذا احتمال وارد لإصابة طفلك به والسبب هو الاستمرار في التدخين.

التأثير على وزن الطفل:

أوضحت بعض الأبحاث أن من النتائج السلبية لظاهرة التدخين عند النساء إنجاب أطفال بأوزان منخفضة ومصابين بأمراض تتعلق بأجهزتهم التنفسية، إضافة إلى ارتفاع معدلات الوفيات بين الرضع، ومن الجدير ذكره في هذا السياق دراسة للدكتور «مايكل وايتزمان»(٢) حيث بنى نتائجه على أساس تحقيقات ومقابلات، شاركت فيها أمهات (٢٢٥٦) طفلاً، تتراوح أعمارهم بين أربعة، وأحد عشر عاماً، وتوصل إلى الاستنتاج التالي:

«كلما ازداد عدد السجائر التي تدخنها الأم، ازدادت نسبة احتمال إصابة أولادها بمشاكل تتعلق بالسلوك».

وأوضح د. وايتزمان: «أن النساء اللواتي يدخن علبة من السجائر على الأقل يومياً، ينجبن أطفالاً لديهم مشاكل سلوكية متطرفة كالعصيان والقلق والتشاجر مع الآخرين بمعدل أكبر مقارنة مع أطفال أمهاتهم لا يدخنّ» وأوضح أيضاً إنه إذا ولد طفل وزنه أقل من

كيلو غرام ونصف الكيلوغرام لأم تدخن علبة سجائر يومياً على الأقل، فيكون الاحتمال لديه لإظهار مشاكل سلوكية متطرفة أكثر بثماني مرات من طفل قليل الوزن، ولد لأم لا تدخن السجائر.

وإذا كنتِ تريدين المزيد مما قاله الدكتور «وايزمان» فإليك الخبر التالي:

«تدخين الأمهات في أثناء فترة الحمل وبعد الولادة، قد يغير تركيب وعمل الدماغ مع حدوث آثار طويلة الأمد على سلوك الأطفال، بالإضافة إلى حدوث تغيير في سلوك الأم من حيث معاملتها مع الطفل»(٣).

الإقلاع عن التدخين:

تفيد تقارير منظمة الصحة العالمية، أن هذه الظاهرة - ظاهرة التدخين - بدأت تنتشر في صفوف الآباء والأمهات والمربين والمدرسين والأطباء ورؤساء العمل الذين يفترض أنهم القدوة، يمارسون التدخين على مرأى ممن هم دونهم، وكما تبدي المنظمة أسفها بنشر بعض نتائج التدخين قائلة: «... إن الأطفال الرضع وصغار السن الذين يولدون لآباء وأمهات يدخنون السجائر، أو يستنشقون كمية النيكوتين نفسها، وكأنهم يدخنون ما بين ٦٠ إلى ١٥٠ سيجارة في العام الواحد، فالتعرض لدخان التبغ يزيد من احتمال الإصابة بالمرض لغير المدخنين...»(٤).

ناهيك عن أن المنظمة أوضحت أن التدخين مسؤول عن موت ثلاثة ملايين شخص سنوياً في العام، وأكدت أن هذا الرقم سيصل إلى عشرة ملايين شخص في العام ٢٠٢٠م ويبلغ نصيب الدول النامية منه نحو ٧٠٪ من هؤلاء الأشخاص.

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن - بعد عرض بعض نتائج المنظمة - نتساءل على من تقع مهمة الإقلاع عن التدخين؟

وقبل الإجابة على هذا السؤال، أزف إليك هذا الخبر المهم، وذلك من بريطانيا، حيث تسعى الشركات البريطانية جاهدة لمنع التدخين

في أثناء العمل، والأهم عن ذلك: لجوء العاملين في شركة - «أبي ناشونال» البريطانية المتخصصة - إلى عدم التدخين في أثناء قيامهم بعملهم الوظيفي.

وخيارات أخرى تصب كلها في منع التدخين، لدرجة أوجدت غرف خاصة للمدخنين بعيداً عن الآخرين الذين لا يدخنون، إلا أن الخيار الأقوى تأثيراً هو منح قروض من قبل شركة «أبي ناشونال» لموظفيها وتكون معفاة من الفائدة بقيمة ٢٠٠ جنيه استرليني، لمن يريد منهم المعالجة للتخلص من آفة التدخين، والغريب في ذلك. تلك الدعوى التي رفعتها إحدى الموظفات في المجلس البلدي في شمال شرق انكلترا، ونالت تعويضاً قيمته ١٥ ألف جنيه استرليني، بسبب أضرار صحية أصابتها في عملها جراء تدخين الآخرين.(٥)

ونحب أن نشير إلى الاقتراح المتضمن، إبعاد المدخنين بمكاتب خاصة مستقلة عن العاملين الذين لا يدخنون، حيث جاء هذا الاقتراح تطبيقاً لتلك الدارسة التي قام بها الدكتور «ستانتون غلانتز» الذي عالج مشكلة التدخين من جانبه، فأشار بل أكد أن الدخان المنبعث من سجائر المدخنين يزيد في مستوى الكوليسترول الخطير في دم الأشخاص غير المدخنين الذين يستنشقون دخان المدخنين.

وانطلاقاً من مسببات التدخين، نستنتج أن مهمة الإقلاع أولاً وأخيراً تقع على المدخن نفسه وعلى قناعته الذاتية، من حيث الاقتناع بأضراره الجوهرية. وآثاره المختلفة سواء بالمشاهدة أو الملاحظة وعبر أجهزة الإعلام المقروءة والمسموعة، ويجب أن يكون التوجيه والتوعية ضمن برامج وخطط منظمة لتبيان آثار التدخين، والأفضل عرض ذلك بأسلوب الحوار المباشر بين المدخن والمقلع عن التدخين، لأن الامتناع عن التدخين أولاً يحتاج إلى اقتناع المدخن نفسه بأن السيجارة، هي السبب فيما يعاني من آلام وأنها تسبب الضائقة المالية التي يعيشها.

وقد أثبت العلم أن التدخين عادة وليس إدماناً ومن الممكن الاستغناء عنها، كأي عادة لو خفضت نسبة المواد الضارة تدريجياً، دون أن يكون هناك تغيير مفاجئ في نكهة السيجارة، ومن ثم لإثبات أن الإنسان يجب أن ينتصر على هذه العادة، ولزاماً علينا أن نطرح هنا بعض النصائح الواجب على المدخن اتباعها:

- الإقلال من عدد السجائر تدريجياً حتى يستطيع ترك هذه العادة تماماً.

- تناول السوائل قليلة السكر وخصوصاً الماء لترطيب الفم ومنع جفافه وبخاصة بالنسبة للمدخن بكثرة.

- استخدام الفرشاة أو السواك لتنظيف الفم والأسنان بصفة دائمة.

- البعد عن المدخنين حتى لا يتأثر بهم ولا يخالطهم في أثناء التدخين.

- الذهاب إلى العيادات الخاصة - المتخصصة لمكافحة التدخين - من أجل تنفيذ نصائحهم وإرشاداتهم.(٦)

رأي الإسلام في الدخان:

قال الشيخ محمد فقهي العيني الحنفي: وجه تحريم الدخان من أربعة وجوه:(٧)

الأول: كونه مضراً بإخبار الأطباء المعتبرين، وكل ما كان كذلك يحرم استعماله اتفاقاً.

الثاني: كونه من المفترات المتفق عليها عندهم المنهي عن استعماله شرعاً لحديث أم سلمة، أن النبي ﷺ نهى عن كل مسكر ومفتر. أخرجه أحمد وأبو داود بسند صحيح، وهو مفتر باتفاق الأطباء.

الثالث: كون رائحته كريهة تؤذي من لا يستعمله، ولا سيما في المساجد والأماكن العامة، بل إن رائحته تؤذي الملائكة لأنه من نوع أشد كراهة وضرراً مما ورد النهي عن اقتراب المسجد إذا تناول المرء ثوماً أو بصلاً أو كل ما له رائحة كريهة.

روى جابر أن النبي ﷺ قال: «من أكل البصل والثوم والكراث فلا يقربن مسجدنا، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم». أخرجه مسلم ...

ومعلوم أن رائحة الدخان ليست أقل خبثاً من رائحة الثوم أو البصل.

الرابع : كونه تبذير إذ لا نفع فيه، بل ضرره محقق، وحرمة ما فيه تبذير الأموال في الأمور غير المباحة أو ثابتة الضرر شرعاً وعقلاً. ■

الهوامش والمصادر والمراجع:

١ - تأثير التدخين على الرئتين بصفة عامة - محاضرة للدكتور وجيه أحمد السحين - مدرس في كلية الطب جامعة الإسكندرية.

- «مايكل وايتزمان» دكتور في كلية الطب، جامعة «وشيستر» في ولاية نيويورك الأميركية، حيث أجرى دراسات وأبحاثاً كثيرة، وتوصل إلى نتائج مهمة في العلاقة بين المرأة والتدخين.

٣ - التدخين وتأثيره على سلوك الأطفال - جريدة «تشرين» السورية العدد ٥٥٤٢ تاريخ ١٩٩٣/١٠/١٠م، ترجمة محمود الجزائري.

٤ - التدخين ... وصحة الإنسان - مجلة «الجيل» الرياض - العدد ٢٣٣ الموافق ١٨ أبريل - ١٧ مايو ١٩٩٦م، إعداد محمد عبدالله.

٥ - الشركات البريطانية تمنع التدخين في أثناء العمل - جريدة «البعث» السورية، العدد ٩٠٩٢ بتاريخ ١٩٩٣/٣/١٧م.

٦ - وفي إطار جهود مكافحة التدخين، دعت منظمة الصحة العالمية إلى رفع أسعار منتجات التبغ عن طريق فرض الضرائب، والعمل على منع الترويج للتبغ، وإنهاء الدعم الحكومي له، والعمل على إقناع البنك الدولي وصندوق النقد الدولي بعدم تمويل أي مشروع يتعلق بزراعة التبغ وتصنيعه.

٧ - مكافحة التدخين من منطلق الشريعة الإسلامية - مجلة «الجيل» العدد ٢٤١، إعداد: محمد عبدالرحمن السحرتي.

بقلم: د. كمال الدين أبو الحمد

مشكلة كثير من الأسر

التهاب اللوزتين المزمن ولحمية خلف الأنف

إن كل فرد يولد تولد معه لوزتان على جانبي اللسان عند التقاء تجويف الفم مع البلعوم الفمي (شكل ١)، وهما تعتبران خط الدفاع الأول أمام الميكروبات، حيث إن اللوزتين ما هما إلا غدد ليمفاوية تقومان بتكوين أجسام مضادة لقتل أي ميكروب قد يدخل عن طريق الفم.

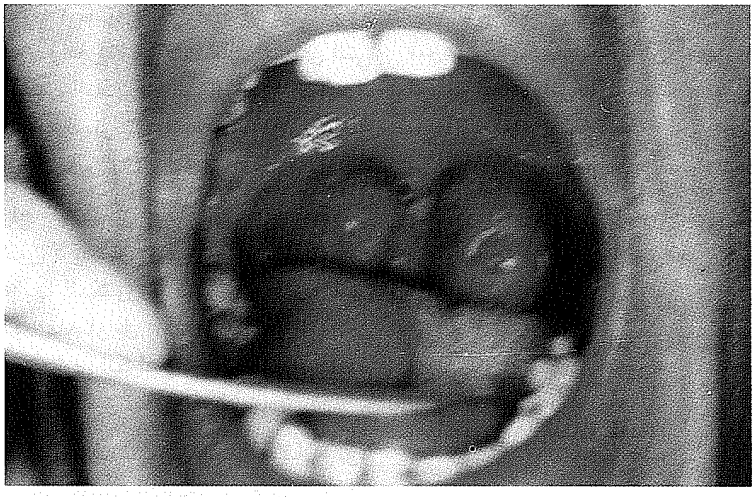

● اللوزتان خط الدفاع الأول أمام الميكروبات

ولذلك لهما أهمية كبرى خصوصاً عند الأطفال حيث يكثر تعرضهم للميكروبات نتيجة اللعب بما تلتقطه أيديهم وإدخالها داخل فمهم، ولذلك فهما أكثر ما تكونان بين عمر الثالثة والعاشرة وبعد البلوغ تبدآن في الصغر في حجمهما وتضمران مع التقدم في العمر.

أما لحمية الأنف فهي غدة ليمفاوية مبطّنة للبلعوم الأنفي وعادة لا تظهر إلا عند تعرض الطفل للميكروبات عن طريق الأنف فتكبر وتزداد في حجمها وتكون أجساماً مضادة للميكروبات (شكل٢)، وتسمى عادة لدى الناس بلحمية الأنف.

واستئصال اللوزتين ولحمية خلف الأنف أصبح أمراً شائعاً.

على الرغم من أنها عملية جراحية صعبة ولها مخاطر، فإذا كانت اللوزتان بهذه الأهمية من حيث أنهما أول خط دفاعي للجسم وإذا كانت العملية لها مخاطرها فلماذا إذاً يقوم الجراح باستصالهما؟

دواعي استئصال اللوزتين

١ ـ إذا تكررت التهاباتهما بحيث تؤثران على عمل وحياة المريض من ارتفاع في درجة الحرارة قد تصل إلى ٤٠درجة مئوية، وصعوبة في البلع وألم في الحلق مما يدفع المريض إلى التزام السرير وعدم القيام بأنشطته اليومية المعتادة، وعادة إذا تكرر الأمر ٩ مرات خلال ثلاث سنوات متتالية أو ٨ مرات في عامين متتاليين أو خمس مرات في عام واحد يجب على الجراح استئصالهما.

٢ ـ إذا صاحب الالتهاب خرّاج خلف اللوزتين، حيث إن ذلك يجعل تكرار التهابهما أمراً حتمياً.

٣ ـ إذا كان حجم اللوزتين كبيراً بحيث تعوقان البلع والتنفس وقد يتقابلان مما يسمى اللوزتين المقبلة كل منهما الآخر (شكل٣).

وهذا إذا ترك يجعل الطفل يعاني من الشخير ليلاً وينتج عن ذلك صعوبة في التنفس وقلة الأكسجين في دمه، مما يقلل من قدراته العقلية والجسدية ويجعله دائم الميل إلى الكسل والنوم في النهار.

٤ ـ إذا كانت اللوزتان هما السبب في تكرار الحمى الروماتزمية وتأثيراتها الضارة على القلب ومفاصل الأطراف السفلية والعلوية وتأثيرات اللوزتين الضارة أيضاً على الكلى وقد تكون السبب في فشل كلوي حاد.

٥ ـ إذا كانت اللوزتان هما السبب في كبر حجم الغدد الليمفاوية تحت الفكين أو كانتا متورمتين بشكل دائم.

٦ ـ إذا دخل في إحدى اللوزتين جسم غريب ولم نستطع استخراجه.

٧ ـ إذا كان هناك ورم حميد أو خبيث باللوزتين أو بإحداهما.

٨ ـ إذا كانت اللوزتان هما السبب في تكرار التهابات الأذن الصديدية.

هذه هي دواعي استئصال اللوزتين فما الموانع التي تجبر الجرّاح على عدم استئصالهما بالرغم من دواعي استئصالهما؟

موانع استئصال اللوزتين الدائم :

١ ـ إذا كان المريض يعاني من مرض واحد من أمراض نزيف الدم مثل «الهيموفيلا ونقص عوامل التجلط» نتيجة تليف الكبد أو كسله.

٢ ـ إذا كان المريض يعاني من التهابات الأنف المزمنة المسماة بالسكلوروما وهي منتشرة في قرى مصر لأن استئصالهما يؤثر على نغمة الصوت ويجعل المريض اخنس.

٣ - إذا كان المريض عنده ما يسمى بانفصال سقف الحلق تحت الغشاء المخاطي وذلك لتأثيرهما السيئ على نغمة الصوت.

موانع استئصال اللوزتين الموقت والتي تزول بزوال المانع

١ - في حال التهابات اللوزتين الحاد لأن ذلك يسبب كثرة النزيف في أثناء إجراء العملية وبعدها.

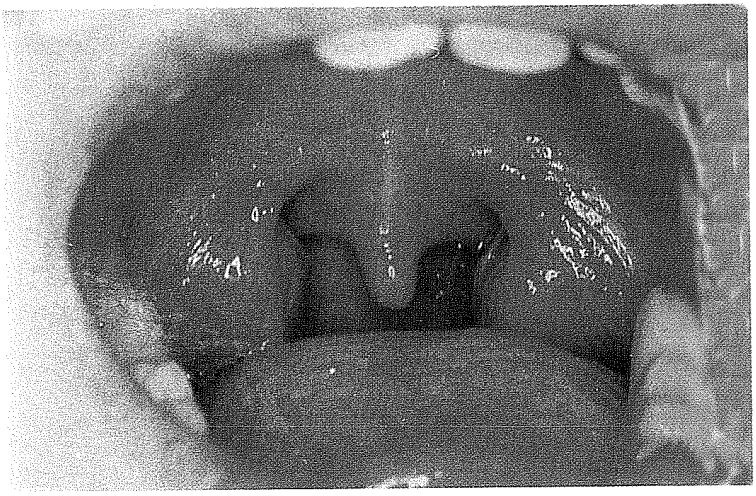

● استئصال اللوزتين يؤدي إلى تقلص الأحبال الصوتية

٢ - في أثناء فترة الحيض عند النساء لأن الأنثى تكون ضعيفة وعرضة أكثر للنزف.

٣ - في أثناء نوبات انتشار وباء شلل الأطفال لأن إجراء العملية يجعل المريض ضعيفاً أمام غزو الفيروس.

وهناك بعض الاحتياطات التي يجب على الجرّاح اتخاذها قبل الإقدام على إجراء عملية استئصال اللوزتين:

أ - الفحوصات والتحاليل للتأكد من أن يكون المريض لا يعاني من أمراض نزيف الدم مثل تحديد زمن نزف الدم وتحديد زمن تجلط الدم وزمن البروثروميبين.

ب - تحديد نسبة الهيموغلوبين بالدم بحيث لا تقل نسبته عن ٧٥٪.

ج - تحديد معدل سرعة الترسيب ليتأكد الطبيب من أن المريض لا يعاني من أي التهابات وقت إجراء العملية.

وهناك مخاطر في إجرائها يجب معرفتها حتى يتجنب الجراح حدوثها وهي:

١ - النزف في مكان إجراء العملية قد يكون النزف أوليا في أثناء إجراء الجراحة كما هو في حالات الهيموفيلا أو نزيف تفاعليا خلال الـ٢٤ ساعة الأولى بعد إجراء العملية وذلك بسبب انفلات إحدى الخيوط الجراحية المربوطة في مكان العملية، إما بسبب سعال لازم المرض، أونتيجة عودة ضغط الدم إلى معدله الطبيعي بعد استيقاظ المريض من التخدير الكلي، وهذا يحدث في الساعتين الأوليين بعد إجراء العملية وربما ٦٠ في المئة من الحالات ومعظم النسبة المتبقية في الساعات الأربع التالية، وقد يكون النزيف ثانوياً وهو نزيف شديد يحدث بعد أسبوع من إجراء العملية، إما لأن المريض لم يأخذ الأدوية الموصوفة له بعد إجراء العملية، أو لعدم إجبار المريض نفسه على الأكل، أو نتيجة لعدم استخدام آلات معقمة.

٢ - انسداد مجرى التنفس وميل وجه المريض إلى الزرقة: وقد يكون نتيجة:

أ - تقلص بالأحبال الصوتية بعد سحب أنبوب التخدير.

ب - رجوع اللسان إلى الخلف وعدم مقدرة المريض على الاستيقاظ نتيجة سحب أنبوب التخدير قبل إفاقة المريض من التخدير.

ج - وجود قطعة من القطن أو جلطة من الدم سادة الحنجرة.

وهناك بعض التعليمات الخاصة يجب مراعاتها بعد إجراء العملية:

● بالنسبة للغذاء :

١ - اليوم الأول مثلجات مثل عصير الفواكه والجيلاتي.

٢ - اليوم الثاني والثالث طعام سهل البلع مثل زبادي أو أرز بلبن أو جيلي وشربة خضار.

٣ - ابتداء من اليوم الرابع غذاء طبيعي تماماً.

وللعلم كل مضاعفات عملية اللوز تنتج عن امتناع المريض عن الطعام لشعوره بالألم عند الأكل، ولكن يجب على المريض أن يأخذ مسكناً للألم مثل بيرال «شراب» قبل الأكل بنصف ساعة حتى يستطيع الأكل ويتجنب المضاعفات.

● بالنسبة للممنوعات :

يمنع أكل الحوامض والمواد الحارة والساخنة والجافة لمدة أسبوعين.

ما يحدث بعد العمل الجراحي

١ - ألم بالزور (أي في البلعوم) وألم بالأذن وربما صعوبة في البلع ونزول الماء من الأنف عند الشرب والكلام بلهجة أنفية شيء طبيعي في الأسبوع الأول بعد العملية.

٢ - الريق المرفق بالدم والبلغم شيء طبيعي بعد العملية.

٣ - ارتفاع درجة الحرارة بعد العملية شيء طبيعي ويعطى المريض شراب بيرال.

٤ - تكون غشاء أبيض مكان إجراء العملية (شكل٤)، شيء طبيعي يظهر في الأسبوع الأول وليس هذا صديد كما يعتقد معظم أهل المريض أو المريض عند رؤيته.

اللحمية خلف الأنف:

دائماً تحدث في عمر أقل من ٥ سنوات، ويمكن استئصالها بحكها في أي عمر، ومن الخطأ الشائع بين المتخصصين هو انتظار الطفل حتى يبلغ من العمر خمس سنوات لكي تستأصل مع اللوزتين، وهذا يترتب عليه مضاعفات للطفل نحن في غنى عنها، إذ يكمن إجراؤها في عمر متقدم يصل إلى ٩ أشهر وبمجرد استئصالها يظهر التحسن في حياة الطفل بصورة واضحة وسريعة مثل اختفاء الشخير والنوم المريح وتحسن الشهية للأكل، ولكن استمرار تنفس الطفل من الفم قد يستمر. وهذا يحتاج إلى تمرين الطفل على التنفس من الأنف حتى يترك عادة التنفس من الفم.

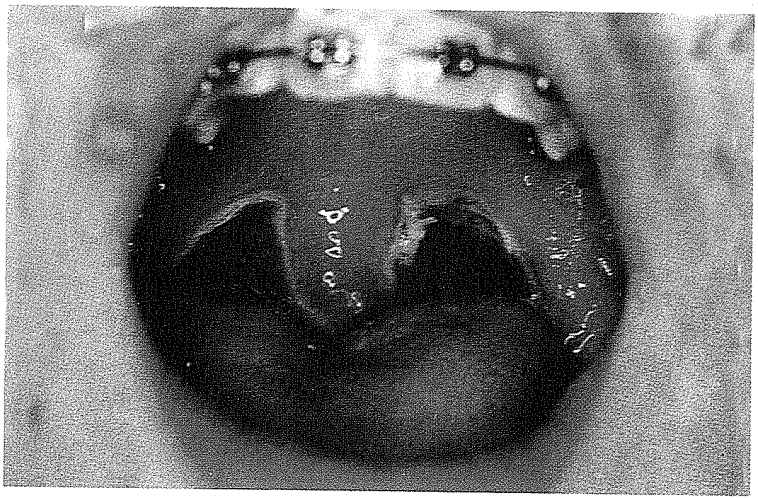

● صورة الحلق بعد استئصال اللوزتين

دواعي استئصال لحمية خلف الأنف :

١ ـ مشاكل أنفية تؤدي إلى:

ـ صعوبة الرضاعة عند الأطفال.

ـ الشخير المستمر في أثناء النوم.

ـ خنة في أثناء الكلام.

ـ رشح مستمر في الأنف مما يسبب أكزيما بين الشفة العليا وفتحة الأنف الخارجية.

ـ نزيف في الأنف وخصوصاً في أثناء النوم.

٢ ـ مشاكل أذنية:

ـ قلة في قوة السمع.

ـ رشح خلف طبلة الأذن.

ـ تكرار التهاب الأذنين التهاباً صديدياً.

٣ ـ مشاكل بالجهاز الهضمي:

ـ قلة شهية الطفل للأكل.

ـ اضطرابات هضمية وقيء متكرر في الصباح.

٤ ـ مشاكل ذهنية:

ـ قلة التركيز نتيجة قلة السمع

ـ تأخر الطفل دراسياً نتيجة تكرار النوم في أثناء الدراسة بالفصل وتكرار تغيبه عن المدرسة لتكرار الالتهابات الأنفية والفمية والرئوية.

٥ ـ تغير في شكل الوجه:

ـ الفم دائماً مفتوح مع تغلظ الشفتين.

ـ بروز قواطع الأسنان بالفك العلوي للخارج.

ـ ضيق في فتحتي الأنف الخارجي.

ـ تقوس علوي في سقف الحلق.

أما موانع استئصال لحمية خلف الأنف والاحتياطات الواجب اتخاذها قبل إجراء العملية والمضاعفات التي قد تنشأ بعد استئصالها، تقريباً هي ما ذكرناه في عملية استئصال اللوزتين.

لكن هل بعد إجراء العملية تتكرر الالتهابات للوزتين واللحمية؟

نعم وجد أن نسبة ١٠٪ من الحالات التي تم استئصال اللوزتين فيها ثم تكرار التهاباتهما وكبرهما لأنه من الصعب على الجرّاح أن يستأصل كل الغدد الليمفاوية حتى وإن استأصلها كلياً.

فإن بعض الناس عندهم ميل عالٍ لكبر الغدد الليمفاوية وهذا لا يمنع من استئصالها عند التهابها للمرة الثانية.

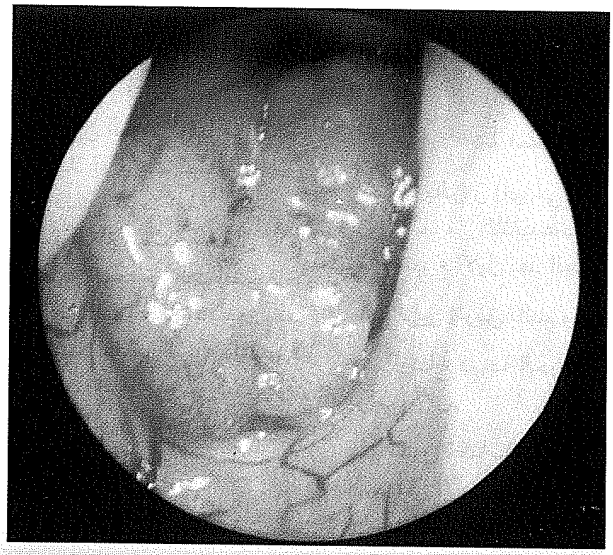

وقد سألني والد أحد الأطفال بعد استئصال اللوزتين لابنه:

هل اللوزتان عضو يجب دفنهما بعد استئصالهما؟

وأنني أرى أنهما ليسا بعضوين وإنما هما غدد ليمفاوية، لكنْ تكريماً لبني البشر يجب دفنهما إن استطاع الطبيب أو صاحب اللوزتين ذلك والله أعلم.

وهذه عجالة عن التهاب اللوزتين ولحمية خلف الأنف واستئصالهم لعلها تغطي بعض استفسارات كثير من الأسر التي تشغل عند حدوث هذا الطارئ في الأسرة. ■

تأليف : زيغريد هونكه

عرض : عبدالرحيم الوهابي

الله ليس كذلك

صدر للمستشرقة الذائعة الصيت زيغريد هونكه صاحبة كتاب «شمس العرب تسطع على الغرب» مؤلف جديد يحمل عنوان «الله ليس كذلك»(١)، ويتصدى هذا الكتاب - كما جاء في كلمة الناشر - علمياً وموضوعياً لما يلصقه الغرب ظلماً وعدواناً أو جهلاً بالعرب والإسلام، وتحررهم من قبضة الفئة التي زيفت التاريخ، إن هذا الكتاب ليس صرخة في واد، وإن صدوره في هذه الفترة العصيبة التي تشهد ضراوة العدوان على أرواح المسلمين وممتلكاتهم وحرياتهم، وإنما هو دفاع تعلنه المؤلفة جهاراً لعلها تسمع من (جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً)(٢).

وتؤكد هونكه في مستهل مؤلفها أن «ليس ثمة شعب يسيء الغرب فهمه كالعرب والعروبة، وأن العلاقة بينهما لترزح منذ قرون تحت أثقال شتى، وقد أسهمت الآراء المسبقة في مسخها وتشويهها، بل إن شعوباً أخرى نائية غريبة عنا وشعوباً غيرها ذات أديان وضعية ليست من ديننا نقف منها موقف سمحاً مبسطاً ليس بالمعقّد، على العكس من موقفنا من الشعوب العربية المسلمة، أو تلك التي تدين بالإسلام من غير العرب»، ومرد ذلك قائمة من الأسباب والدواعي يتجلى أبرزها في الحمل الموروث الذي ينوء بثقله الوعي الغربي، تراكمات ترسخت عبر مسيرة طويلة من الأجيال والعقود من سوء الفهم والنظرة القاصرة المشحونة عداء للإسلام مما سد أي سبيل في إمكانية تقارب ما، فلقد «أصرّ الغرب إصراراً على دفن حقيقة العرب في مقبرة الأحكام المتعسفة والافتراءات الجماعية دفناً وأهال عليها ما أهال طمساً منه لمعالمها».

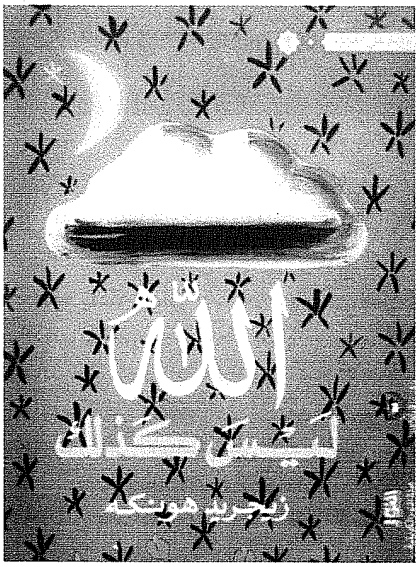

لقد آلت هونكه على نفسها تسخير قلمها لإجلاء الحق وإظهار صورة الإسلام الحقيقية وإبراز الوجه المشرق للحضارة العربية الإسلامية والإشادة بأيادي العرب البيضاء على الإنسانية برمتها ومشاركتهم الفعّالة في تطور البشرية. ورغم كل الجهود المبذولة، تعترف هونكه أن صوتها لا يزال محدود التأثير في مجتمع يموج بالتنظيمات اليمينية المتعصبة واجتاحته الحركات الشبابية العنصرية النازية، ويزداد فيه الحقد والضغينة لكل ما هو شرقي - إسلامي يوماً بعد آخر «وإن خطورة هذا الأمر لتتضح لمن يرى ويسمع كما تبرهن على ذلك موجات العداء الجديدة المغرضة في ألمانيا، والتي تستهدف الإسلام، وتكيد له قاصدة بالدرجة الأولى وقف الزحف التركي، وموجات طالبي اللجوء في ألمانيا من الأتراك المسلمين».

المحمديون ؟!!

مازال الغرب وحتى يومنا هذا يصدق، وبطريقة ساذجة، تدعو إلى الدهشة والاستغراب، الحكايات والروايات الأسطورية التي نسجت حول المسلمين وظلت عالقة بالذاكرة الأوروبية... مازالت القصص البشعة التي تقشعر الأبدان ماثلة في الوعي الغربي عن أولئك «المحمديين» السحرة، والأشرار، الأجلاف قاطعي الرؤوس، عبدة الشيطان، الهمج، المتوحشون... وقس على ذلك.

و«المحمديون تعبير شائع في الكتابات الغربية يعود إلى ما قبل سبعة قرون، ومازال يستعمل إلى وقتنا الحاضر ويحمل الدلالات نفسها.

عداء مترسخ يقيد أي تحرك نحو الاتجاه الصحيح، عداء غذته عوامل ومؤثرات كثيرة حديثة وقديمة، إحداها الروح الصليبية الماثلة والمتجسدة في كثير من ردود الفعل الغربية تجاه المسلمين وقضاياهم.

الحروب الصليبية

توضح المؤلفة في أحد فصول كتابها أنه «لا يمكن إطلاقاً إصلاح ما أفسده البابا» فلقد كانت دعوة البابا أوربان الثاني في ١٠٩٥/١١/٢٧م من كلير مونت في فرنسا، مستنهضاً همة جميع الفرسان الأوروبيين لقتال «أعداء الرب» وتحرير الأراضي المقدسة من «السراسنة الأجلاف» نقطة تحول في مسار علاقة الغرب بالشرق.

كانت دعوة فرض بها الرئيس الروحي الأعلى للمسيحية بقوة «تفويضه» الإلهي وسلطته المقدسة، على فرسان الغرب ألا يكفوا عن قتال العالم الإسلامي، دعوة تسببت في حروب دموية دامت ما يقارب القرنين من الزمان حصدت الآلاف المؤلفة من الأرواح، وارتكبت خلالها المجازر الرهيبة

سجلها التاريخ لبشاعتها، ويصف المؤرخ الأوروبي «درسيرر» كيف كان «البترك» نفسه يعدو في زقاق بيت المقدس وسيفه يقطر دماً حاصداً به كل من وجد في طريقه، ولم يتوقف حتى بلغ كنيسة القيامة وقبر المسيح، فأخذ في غسل يديه من الدماء اللاصقة بها مردداً كلمات المزمور: «يفرح الأبرار حين يرون عقاب الأشرار، ويغسلون أقدامهم بدمهم فيقول الناس حقاً إن للصديق مكافأة وإن في الأرض إلهاً يقضي» ثم أخذ في أداء القداس قائلاً إنه لم يتقدم في حياته للرب بأي قربان أعظم من ذلك ليرضي الرب. على أن احتكاك الصليبيين بالمسلمين في عقر دارهم، والاطلاع على أنماط عيشهم ومظاهر حضارتهم، إضافة إلى هزيمة فرسان الصليب الماحقة، كل ذلك شكّل صدمة عنيفة هزت الوجدان الغربي «ونما ذلك نمواً متراكباً مكوناً عقدة نفسية غائرة مازالت منذ ذلك الحين حتى اليوم... تسد تلك الصدمة المزمنة الطريق أمام كل معرفة موضوعية تتفق مع الواقع الحقيقي، دون بذل أي محاولة أو أي استعداد للنظر إلى الواقع الفعلي بلا تحيز لحكم مسبق، فضلاً عن تفهم ذلك الواقع. وهكذا حل محل التقصي الموضوعي للمعلومات النيل من العرب هجوماً وتجريحاً، وإلصاق أحكام ظالمة مسبقة بهم، رسخت على مر القرون وأصبحت لها صلاحية البدهيات المسلم بها».

نظرة الغرب للمسلم

إن مدى نقص معرفة الغرب بالإسلام يتجلى في التصورات التي تحكم نظرة الغرب إلى الإنسان المسلم، إنها ليست سوى النظرة النصرانية ذاتها إلى الإنسان النصراني راح يخلعها على الصورة الإسلامية للإنسان. والحق أن على الغربي أن يطرح جانباً تلك المصطلحات الذائعة والتصورات الشائعة، فليس «في الإسلام خطيئة أولى» فهذا معارض للفطرة، فالفرد لا يتحمل إلا وزر خطئه بل يغفر له إذا تاب واستغفر ربه. «فالإنسان في الإسلام يحمل في ذاته ما نفخه الله فيه من روحه وهو في الوقت نفسه عبد لله، كفء لحمل التكليف، خليفة في الأرض».

ويرى الإسلام ببساطة ـ عكس المعتقدات والتعقيدات النصرانية واليهودية ـ شموله للعالم أجمع بوصفه دين الفطرة. وتعلن

● غلاف الكتاب باللغة الألمانية

صاحبة الكتاب براءة الإسلام مما يقذف به في الغرب بأنه ترسيخ للجبرية والخنوع، فهذا «الحكم المسبق المفترى والذي لا يفتأ مغذوه يلحّون على إنمائه زاعمين أن التواكل المذعن خصيصة تسيطر على المسلمين، إنما يتعارض مع روح القرآن، وتنفيه الأحاديث النبوية نفياً قاطعاً، بل إن كليهما يدعوان الإنسان إلى الاحتكام إلى إرادته الحرة للبت في الأمور، ويهيبان به أن يتبصر ـ انطلاقاً من كونه مسؤولاً ـ ويتفحص الإمكانات المختلفة والأهواء والمشارب المتعرضة ليميز بينهما وليختار اختياراً حراً بين الفضيلة والرذيلة، فإما أن يكون هداه هواه وإما أن يسلم وجهه لمشيئة الله، وليس معنى ذلك التوكل التواكل الأعمى السلبي المذعن إذعاناً أعمى للقضاء».

وتدحض المؤلفة الافتراءات القائلة إن «الإسلام انتشر بالنار وحد السيف البتار»، ويلح الغرب على ذلك بجميع السبل وبالكلمة منطوقة أو مكتوبة، ولا عجب أن نجد هذا الادعاء كلمة سائرة على الرغم من كون ذلك كذباً لا أساس له من الصحة التاريخية أو الحقيقة الواقعية «لقد كان أتباع الملل الأخرى هم الذين سعوا سعياً لاعتناق الإسلام والأخذ بحضارة الفاتحين... ولقد أقض مضاجع الكنيسة وتأبى على فهمها واستحال عليها قبول دخول شعوب الأقطار المفتوحة في الإسلام أفواجاً بمحض إرادتها، دون مساعي إرساليات التبشير ودون الإكراه في الدين» ومن ثمَّ وجدت الكنيسة أن الإسلام بات يهدد كيانها، فلجأت إلى أساليب منحطة لمحاربة هذا الدين، فمن تجهيز جيوش الصليب الجرارة إلى تلفيق الدعايات المغرضة واختلاق الافتراءات إلى حملات التشنيع والتشهير الدينية التي تطفح بالمقت الضاري الأعمى، ومقابل أروع مثال على التسامح الإسلامي علقت مشانق محاكم التفتيش في الأندلس.

بطل النصرانية

رغم أن شارل مارتل في تحركاته العسكرية استولى على الممتلكات الكنسية من كنائس وأديرة وضياع وأوقاف ونهب كنوزها لتمويل جيوشه وفرسانه ومنحهم الإقطاعيات، فإن الغرب لا يرى فيه إلا «بطل النصرانية المبجل» الذي استطاع إيقاف زحف «العرب الهمجيين» على ربوع أوروبا و«صانها من الاندثار والفناء» وهذه أكذوبة مازالت تجد صداها في عقول الأوروبيين(٣)، وبمثل بسيط يمكن تفنيد هذا الزعم، فمثال إسبانيا «يبين أن تلك البلاد التي كانت قبل الحكم العربي تتسم بالفقر والخراب والاستبعاد، قد استحالت بعد قرنين فحسب من الحكم العربي إلى إسبانيا أخرى رفرف الرخاء والثراء على سكانها، وتميزت بارتفاع مستوى كل طبقات الشعب وازدهار الحضارة والتمدن فيها وتقدمها في جميع العلوم والفنون، فصار لها السبق والريادة في أوروبا، وذلك بسبب موقف الكنيسة المعادي للفكر، وأمست إسبانيا العربية أسوة يقتدي بها، ومناراً يهتدي به في شتى المجالات، واستمر ذلك خمسمئة عام كما هو

ثابت تاريخياً بلا جدال، إلى أن زحفت إسبانيا النصرانية من الخارج فقوضت كل ذلك وحطمته تحطيماً، إن سماحة النفس العربية وتسامحها الآسر والغامر الذي نما وترعرع في ترى تلك القارة تحت ظل الحضارة العربية الفريدة كان له أبلغ الآثار في ازدهار إسبانيا العربية».

الغرب والمرأة المسلمة

تبين هونكه أن الأوروبي اعتاد التخيل أن المرأة في الإسلام لم تخلق إلا لإشباع رغبات الرجل وفقاً لمزاجه، كائنة بلا روح محرومة مهضومة الحقوق مسلوبة الإرادة قابعة في بيت أبيها سلعة يشتريها القادر على الشراء، والحق - تؤكد صاحبة الكتاب - أن الإسلام بريء من هذا.

إن القرآن الكريم بصفته الدستور الإلهي يؤكد أنه لا فرق بين الذكر والأنثى لا في الجوهر ولا في التكريم وساوى بينهما مساواة تامة في جميع العبادات وأمور العقيدة وفي الناحية الخلقية الإنسانية البحتة كما في الأمور المالية والمادية والاجتماعية، وعلى عكس المعتقد النصراني نجد أن الإسلام لا يصف المرأة بأنها أصل الخطيئة ولا يعرف ذلك الصراع بين الجنسين لا في الحياة الزوجية ولا في الحياة العامة، بل إن العكس هو الصحيح. كما أن الإسلام ألح على المسؤولية الخاصة والعطف والرقة والرعاية تجاه البنات، وساوى بينهن وبين الذكور في التربية وضرورة التعليم. وعرف العهد الزاهر للمسلمين فقيهات، وعالمات ضليعات في العقيدة، ونابغات في شتى المجالات والميادين.

أما حال المرأة المسلمة اليوم في وضعها المزري «فبالرجوع إلى القرآن نفسه تتضح غربة التأثير الدخيل المستشري الذي حاق بالمرأة ظلماً». وتنصح هونكه المرأة المسلمة ألا تتخذ المرأة الغربية قدوة تحتذيها، أو أن تهتدي بفكر عقائدي مهما كان مصدره، لأن في ذلك تمكيناً جديداً للفكر الدخيل المؤدي إلى فقدها لمقومات شخصيتها، وإنما ينبغي لها أن تتمسك بهدي الإسلام الأصيل، وأن تسلك سبيل السابقات من السلف الصالح، اللاتي عشنه منطلقات من قانون الفطرة التي فطرن عليها، وأن تلتمس العربية لديهن المعايير والقيم التي عشن وفقاً لها، وأن تكيف تلك المعايير والقيم مع متطلبات العصر

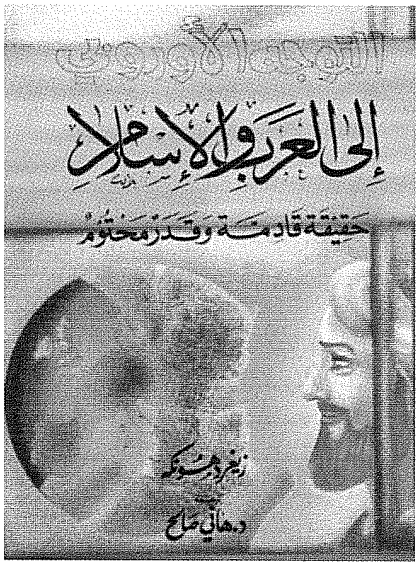

الضرورية، وأن تضع نصب عينيها رسالتها الخطيرة المتمثلة في كونها أم جيل الغد العربي الذي يجب أن ينشأ عصامياً يعتمد على نفسه.

حريق مكتبة الإسكندرية

فرية مزيفة للتاريخ لا يُراد لها أن تمحى أبداً، اختلقتها وروجت لها روح الصليبية في القرن ١٣، حيث زعم أحد النصارى أن عمرو بن العاص أحرق المكتبة التي كانت في قيصرية بالإسكندرية، ولا يخجل القوم في الغرب من افتئاتهم على خليفة المسلمين عمر بن الخطاب المشهود له بأنه من أعظم مؤسسي الدول وأجلّهم قدراً وكفاءة وعبقرية، ويتهمونه بالسذاجة وضيق الأفق والجهل الذي لا جهل بعده، وقد انبرى عدد من المؤرخين المنصفين لكشف هذا الزيف المبيّن، ونفوا عن العرب خرافة الحرق الهمجي للتراث الإنساني.

إن التدمير المخطط لمكتبة الإسكندرية بدأ في القرن الثالث الميلادي وعلى يد بعض النصارى - حكاماً وقسساً ورعاعاً - من المعارضين لأفكار مجمع الإسكندرية، وعند الفتح فإن «المكتبات القديمة في مصر جميعاً لم يكن لها أي وجود أيام دخول العرب للإسكندرية العام ٦٤٢هـ.

الإسلام أعظم دين

إن الإسلام هو لا شك أعظم ديانة على ظهر الأرض سماحة وإنصافاً، نقولها دون تحيز ودون أن نسمح للأحكام الظالمة أن تلطخ بالسواد، إذاما نحينا هذه المغالطات التاريخية الآثمة في حقه، والجهل البحت به، وإن علينا أن نتقبل هذا الشريك والصديق، مع ضمان حقه في أن يكون كما هو»، كلمة ختمت بها مؤلفها لخصت فيها على وجازتها محور ما حاولت إيصاله إلى القارئ الألماني والغربي عموماً، ويمكن القول إن هذه الكلمة الموجزة تلخص أيضاً موقف هونكه الواضح من الإسلام وفكرها المتفتح الداعي للحوار.

وقبل شهادتها هاته وجهت دعوة خالصة، من وجدان صديقة محبة للعرب عاشقة لحضارتهم، إلى كل المسلمين لشق الطريق إلى الأمام وذلك يتطلب التمسك بدينهم بصفته المحور الذي يدور حوله وجودهم، وبلغتهم العربية.

كما يتطلب التنقيب عن الماضي الفكري المدفون تحت الأنقاض تماماً واستيعاب أسباب نشوئه، واكتماله واكتهاله، ثم تقهقره واندثاره، والخروج بالعبر والدروس اللازمة للانطلاق إلى المستقبل، أما التوسل بأمجاد الماضي التليد فإنه لا يجدي فتيلاً، وإن التفاخر بالعصر الذهبي للتاريخ لا يجوز أن ينقلب إلى هروب من الواقع أو يكون اعتذاراً واهياً يكتفي المرء بالاتكاء إليه، فيذكي بذلك كبرياءه فحسب، دون أدائه الحق المفروض عليه، وهو التعلم من الماضي لبناء المستقبل. ■

١ - ترجمة د. غريب محمد غريب ١٠٤ صفحات من القطع الكبير، عن «مؤسسة بفاريا» الألمانية «دار الشروق» اللبنانية، ومجلة النور الكويتية.

٢ - سورة نوح: ٧.

٣ - يرى جوزيف ماك كيب في كتابه «مدينة المسلمين في أسبانيا» أن شارل مارتل وجنده كانوا لصوصاً مخربين ومتوحشين. وحمله مسؤولية حرمان بقية أوروبا من النور وتخلفها عن ركب الحضارة قروناً عدة. أما أناتول فرانس - أحد مشاهير الكتّاب الفرنسيين - فيقول إن أشأم يوم في تاريخ الإنسانية هو اليوم الذي صد فيه شارل مارتل الفتح العربي عن أسبانيا.

إعداد : محمد هاني

الكويت وحقوق الإنسان

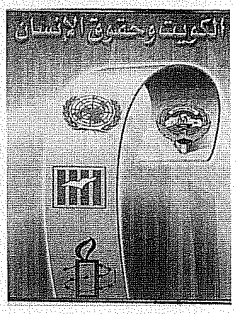

صدر عن مركز نظم المعلومات في الديوان الأميري كتاب «الكويت وحقوق الإنسان» ويحتوي على مجموعة من الأبحاث التي تتناول حقوق الإنسان في التشريع الكويتي والتشريعات المعمول بها طبقاً لأحكام الدستور والمتصلة بمؤسسات المجتمع المدني والأمن الاجتماعي والدفاع الاجتماعي والحريات العامة والاتفاقات الدولية المتصلة بحقوق الإنسان والتي وقعت عليها الكويت، كما يحتوي على فصل خاص حول حقوق الإنسان بين الفضيلة والجريمة، وتنقسم أبحاث هذا الفصل إلى أقسام عدة منها: حقوق الإنسان في ظل قيادة سياسية متوازنة، ومعاملة الغرباء، رسالة من الكويت إلى المجتمع الدولي والعمالة الوافدة وظلم النظام العراقي الحاكم في بغداد، والقضية رقم ١٥٥٦ في شأن جرائم سلطات الاحتلال العراقي بحق الطبقة العاملة الكويتية، وحقوق الإنسان في ظل العدوان والاحتلال العراقي لدولة الكويت بالإضافة إلى مجموعة من الاتفاقات والمواثيق والقرارات الدولية المتصلة بحقوق الإنسان، والكتاب يقع في ٣٨٨ صفحة من القطع الكبير.

تأسيس إسرائيل والهجرة الفلسطينية

صدر حديثاً كتاب بعنوان «الهجرة الفلسطينية» (١٩٤٨م - ١٩٩٨م)عن دار نشر «إيثا كابريس» قامت بإعداده الدكتورة غادة الكرمي الباحثة في قسم الدراسات الشرقين الأقصى والأوسط بمعهد الدراسات الشرقية والأفريقية (SO AS) ورئيسة الحملة الدولية من أجل القدس التي أسستها العام ١٩٩٤م، ويوغين كوتران وهو بروفيسور قانوني زائر في معهد الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن ورئيس مركز القانون الإسلامي الشرق أوسطي بالمعهد نفسه، وعضو اللجنة الفلسطينية المستقلة بحقوق الإنسان.

ويتطرق الكتاب إلى قضية الهجرة الفلسطينية وظهور مشكلة اللاجئين الفلسطينيين، ويركز على العلاقة القريبة والسببية بين هجرة اللاجئين وتأسيس الدولة العبرية في فلسطين وهي قضية لم يتم شرحها إلا قليلاً وعادة ما تتذكر وكأنها مستقلة عن بعضها بعضاً، ويراجع المؤلفان وضع الهجرة الفلسطينية منذ العام ١٩٤٨م وصولاً إلى العام ١٩٦٧م ثم إلى غاية الوقت الراهن، ويبحث كذلك قضايا تعويض الفلسطينيين، وحق رجوع اللاجئين إلى إسرائيل، وإمكانية الرجوع، كما يطرح الكتاب آراء حول حل مستقبلي لمشكلة اللاجئين، وهي قضية تبقى حجر عثرة كبيرة أمام سلام دائم في الشرق الأوسط، وجمع الكتاب آراء الكثير من المؤرخين، والأكاديميين والخبراء القانونيين لإعطاء نظرة متنوعة حول الموضوع، بهدف التطرق إلى كل جوانب هذه القضية الشائكة، ومن هنا تجيء ضرورته للمتخصصين، والقراء الغربيين عموماً الذين يهتمون بالأسباب الأصلية للصراع الفلسطيني - الإسرائيلي.

رؤية قرآنية للمتغيرات الدولية

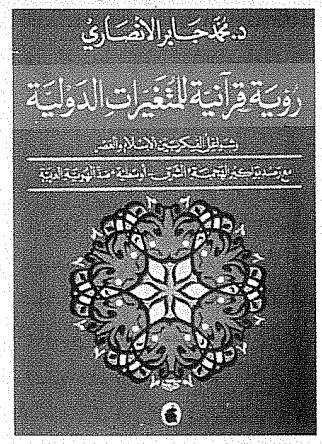

الكتاب واحد من حلقات المشروع الفكري للمفكر العربي محمد جابر الأنصاري، يبدأه المؤلف بتأطير فكري لمعاصرة إسلامية تنطلق من رؤية قرآنية للمتغيرات الدولية.

ينقسم الكتاب إلى ثلاثة أبواب يتناول أولها: بواكير الهجمة الجارية لإعادة تشكيل المنطقة، والباب الثاني: تأسيس مختلف لصلة العربية بالإسلام. أما الباب الثالث فقد خصصه المؤلف لـ «المثلث الحتمي للنهضة: الإسلام... العربية.. العصر».

الكتاب من النوع الذي لا ينفك عن الواقع ولا يسبح في تنظيرات أكاديمية أو أوهام خيالية، فأجزاء الكتاب لم تبرز دفعة واحدة كموضوع أكاديمي محدود، وإنما تنامت مع الأحداث والتجارب المريرة التي تشهدها المنطقة العربية - الإسلامية.

هاجس العلاقة بين الإسلام والعربية يفرض نفسه على الكتاب فمؤلفه واحد من المهتمين بهذه المعضلة والمشاركين بحماس في تذليلها، يفند الملف الأطاريح التي جعلت من القومية عقيدة، ويؤكد أن القومية ظاهرة اجتماعية ولغوية وثقافية لا بد لها من عقيدة تستلهمها وتستهدي بها، أما تحولها إلى عقيدة فهو يمثل نهايتها كما حدث للنازية، كما ينتقد المؤلف خطأ المفكرين الدينيين الذين يلغون القومية تماماً، ويضعون الإسلام في حرب معها دونما مسوغ، متجاهلين منطق الإسلام نفسه في الاهتمام والاعتراف بالفطرة ا لإنسانية.

يلفت المؤلف انتباهنا إلى الاهتمام القرآني المبكر بالمتغيرات الدولية، مستشهداً بالآية الكريمة في سورة الروم (غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون) ومستعرضاً ما جاء في هذه الآية من تفسيرات، مؤكداً الرأي القائل «القرآن الكريم يُعدُّ الوعي الإسلامي الناشئ والجماعة المسلمة الفتية إلى التعاطي بالشؤون الدولية وإلى إدراك أبعاد الصراع القائم بين القوتين العظميين في ذلك الوقت، لكي تستعد القوة الإسلامية الجديدة الصاعدة لحسم هذا الصراع، ليس بنصر قوة على أخرى، وإنما بإبعاد القوتين معاً عن مركز الصدارة لصالح القوة المسلمة».

ويحذر المؤلف من الاعتماد على المتغيرات الدولية مستشهداً بالآية: (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)، ويدعو أولئك الذين يعتمدون على المتغيرات الدولية لكي تجلب لهم التغيرات أن يبتعدوا عن أوهامهم.

التعليم التطبيقي في القرآن والسنة

صدر عن مكتبة الصحوة في الكويت الطبعة الأولى - كتاب التعليم التطبيقي في الكتاب والسنة لمؤلفه الدكتور بدر عبدالرزاق الماص الموجه العام للتربية الإسلامية في الكويت ورئيس تحرير مجلة الخيرية الصادرة عن الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية والكتاب يقع في نحو ٢٤٠ صفحة من القطع المتوسط، وقدّم له الدكتور عبدالله يوسف الغنيم وزير التربية الأسبق.

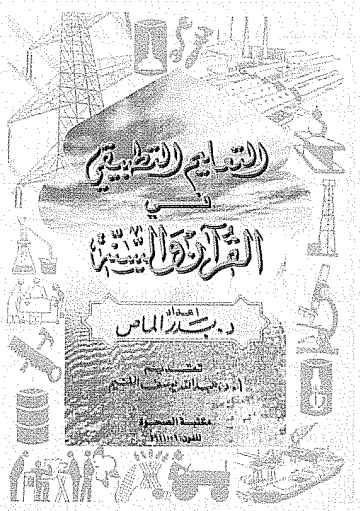

يربط الكاتب فيه مسار التعليم التطبيقي بمفهومه المهني الواسع بكتاب الله تعالى وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم نظراً لأن قضية بناء الإنسان القادر على الالتحام بعصرنا هذا على أسس من دينه وتقاليده هي القضية المركزية التي ينبغي أن تدور في فلكها قضايا أمتنا الأساسية انطلاقاً منها وعودة إليها حتى تصل إلى مستويات متقدمة في مجال المنافسة الحقيقية على الاتفاق وخفض الكلفة وهما وسيلتا النجاح والانتشار في عصر التجمعات الكبرى حيث ترفع الحدود والحواجز أمام التفاعل الحي مع معطيات العلم والعمل المتقن ومتطلبات التنمية وحركة العصر.

حاول المؤلف - جزاه الله كل خير - من خلال مقدمة الكتاب أن يؤكد هذه الحقائق السابقة حيث بيَّن فيها أن إعداد الفرد للحياة والعمل والانتاح لا يتحقق إلا بربط العلم بالعمل والإنتاج والناس في حاجة إلى العمل في الدنيا لكسب المعاش وإلى التفكير في الآخرة ولذلك فإن الإنسان يعمل لدنياه ودينه وقد جمع القرآن الكريم بين شؤون الدين والدنيا في أكثر من موضع، ووجه القرآن الكريم المسلمين إلى السعي في الأرض للتعلم والعمل، كما أن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم خير شاهد على ذلك حيث حضت في طياتها على مزاولة الحرف المتنوعة الشريفة للارتقاء بالأمة الإسلامية وتقدمها واكتفائها ذاتياً بكل ما تحتاجه من مواد وسلع.

هذا وقد قسم المؤلف كتابه إلى مقدمة وأربعة فصول تناول في المقدمة أربعة أمور: المقصود بالتعليم التطبيقي، وأهداف التعليم التطبيقي بالنسبة للفرد والمجتمع، ولمحة عن التعليم التطبيقي في الكويت ومفهوم العمل وفضله والحض عليه في الإسلام. أما فصول الكتاب الأربعة فقد تناولت على التوالي: موقف الإسلام من العمل المهني، التعليم التطبيقي في القرآن الكريم، التعليم التطبيقي في السنة النبوية، الأنبياء، والعلماء والعمل المهني.

وختاماً نقول: إن هذا الكتاب يُعد إسهاماً طيباً ولفتة جديدة في إثراء المكتبة الإسلامية على أبنائنا الطلبة وبناتنا الطالبات أن ينهلوا من معينه ليكون دافعاً لهم على العزم والإصرار والتفاني في العمل والإخلاص فيه.

أخبار ثقافية

● أنهى مؤتمر مجمع اللغة العربية أعماله في دورته الخامسة والستين في القاهرة، بمشاركة وفود من المجامع العربية الأخرى وقد أكدت توصيات المجمع ضرورة إيلاء الفصحى، في وسائل الإعلام، القدر الأكبر من الأهمية كما دعا الحكومات العربية لإصدار تشريعات تمنع كتابة اللافتات بلغات أجنبية وتحضير أعمال تعريب وترجمة المصطلحات ووضع المعاجم المتخصصة.

● قال تقرير رسمي بريطاني صدر يوم ١٩٩٩/٣/٢٥م أن سبعة ملايين من البريطانيين البالغين هم فعلاً أميون، إذ لا يستطيعون القراءة والكتابة أو إجراء العمليات الحسابية ويعني الرقم أن ٢٣٪ من البريطانيين البالغين يواجهون مشاكل في القراءة والكتابة والحساب.

● قررت لجنة الترجمة في المجلس الإعلى للثقافة في مصر إصدار مجلة للترجمة مبوبة في ثلاثة أقسام، يخصص الأول منها لعدد من الدراسات حول نظرية الترجمة، والثاني يضم ترجمة للأعمال الأدبية والدراسات المعرفية من مختلف الثقافات، ويتناول القسم الثالث عروضاً للرسائل المختلفة التي تتناول قضايا الترجمة في الجامعات، وعروضاً لأحداث الكتب المترجمة، كما تضم المجلة باباً خاصاً بالمصطلحات الأدبية.

● أعلن مكتب منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم «يونيسكو» في عمان أن اليونسكو اعتمدت نهائياً تسمية الكويت عاصمة للثقافة العربية العام ٢٠٠١ وعمان للعام ٢٠٠٢م.

- أوصت ندوة تعميم استخدام اللغة العربية التي انعقدت في الجزائر في الآونة الأخيرة بتفعيل الأجهزة المكلفة بمتابعة تعميم استخدام اللغة العربية في الجزائر وطبع كل الوثائق الرسمية المتداولة باللغة العربية وحدها وإلغاء كل الوثائق المحررة باللغات الأجنبية.

العدد ٢٠ من مجلة الأدب الإسلامي

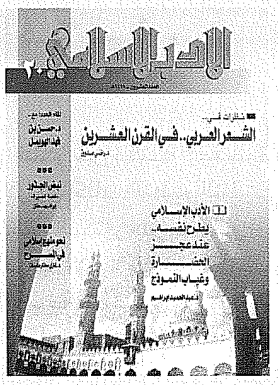

في العدد عشرين تكون مجلة الأدب الإسلامي الفصلية أكملت سنتها الخامسة، بتوفيق من الله سبحانه وتعالى أولاً وآخراً.

ولهذه المناسبة نقدم أصدق الشكر وأبلغ التحية للإخوة والأخوات الذين أسهموا جميعاً في دعم مسيرة المجلة ونحيي قراءنا الكرام على متابعتهم لأعداد المجلة والسؤال عنها دائماً.

ونسأل الله تعالى أن يعيننا على الاستمرار في أداء رسالة الأدب الإسلامي عبر هذه المجلة.

وقد اشتمل هذا العدد على موضوعات كثيرة متنوعة... فمن المقالات والبحوث: نحو منهج إسلامي في المسرح للدكتور غازي طليمات، ونظرات في الشعر العربي في القرن العشرين للأستاذ الأديب راضي صدوق، وقراءة في ديوان مدائن الفجر للأستاذ محمد بن سعد بن حسين، كما تضمن حواراً مع الدكتور حسين بن فهد الهويمل.

أما في مجال الإبداع فنحن نقرأ قصيدة لفواز الشروقي بعنوان: «دموع من أجل ليلى»، وقصيدة لرفعت المرصفي بعنوان: «رباعيات إلى الوجه الجميل»، وقصيدة «رحلت يا أسد الآداب» لخليفة بن عربي، كما تضمنت قصيدة طويلة بعنوان «ستار» للدكتور حيدر الغدير عن نزار قباني. وفي مجال القصة تضمن العدد قصة مترجمة عن الأدب الأردي بعنوان «الستار» ترجمة د. سمير عبدالحميد، وقصة أخرى بعنوان «عرف الديك» لحسني سيد لبيب، وفي العدد مسرحية عنوانها: الرضا لفيصل غمري.

هذا بالإضافة إلى الأبواب الثابتة مثل تراث الشعر والنثر، وعنوانه في هذا العدد «بر الآباء» ومكتبة الأدب الإسلامي، وردود ومناقشات، والأقلام الواعدة، وأخبار الأدب الإسلامي.

أما الورقة الأخيرة فهي بعنوان «العقاد يتحدث إلى كتبه» للدكتور عبدالرزاق بن حمود الزهراني ، ويلي ذلك كشاف عام بالموضوعات والكتّاب للأعداد الأربعة الأخيرة ١٧ ـ ٢٠ المجلد الخامس.

جائزة مكتبة الشيخ علي بن عبدالله آل ثاني العالمية

أعلن مركز البحوث والدراسات في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في قطر، عن موضوعي جائزة مكتبة الشيخ علي بن عبدالله آل ثاني العالمية ـ وقيمتها خمسة وسبعون ألف ريال قطري ـ لسنتيها المقبلتين، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.

حيث أعلن موضوع «الأسرة المسلمة في العالم المعاصر» كعنوان لجائزة ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م، وفق الأطر العامة التالية:

- الأسس الشرعية لبناء الأسرة.
- الأسرة في مرحلة القدوة «العهد النبوي والخلافة الراشدة».
- دور الأسرة في التربية والنهوض الحضاري.
- تحديات تواجه الأسرة «تحديات داخلية وخارجية»، وسبيل التحصين.
- رسالة الأسرة المسلمة في عالم اليوم.

وموضوع «إشكالية التعليم في العالم الإسلامي» كعنوان لجائزة ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م، وفق الأطر العامة التالية:

- التعليم المحور الأساس للتنمية والنهوض الحضاري.
- أبعاد الإشكالية: البعد السياسي، البعد الإعلامي والثقافي، البعد الاجتماعي، البعد المنهجي.
- عجز التعليم بمؤسساته المختلفة عن تحقيق أهدافه، مواطن الخلل وأسباب العجز.
- دور مؤسسات البحث العلمي ومراكز الدراسات في البناء التعليمي.
- وسائل التصويب، وكيفية النهوض.

أما شروط الجائزة فهي كالتالي:

١ ـ يشترط في البحوث المقدمة، أن تكون قد أعدت خصيصاً للجائزة، وألا تكون جزءاً من عمل منشور، أو إنتاج عملي حصل به صاحبه على درجة علمية جامعية، وأن تتوافر في هذه البحوث خصائص البحث العلمي، من حيث المنهج والإحاطة والتوثيق، وسلامة الأسلوب والجدة والابتكار.

٢ ـ يقدم البحث باللغة العربية، من ثلاث نسخ، مكتوباً على الآلة الكاتبة، ويفضّل أن يكون مكتوباً على الحاسوب على ألا تقل عدد صفحاته عن مائتين وخمسين صفحة (A4 ×٢٢ سطراً× ١٢ كلمة).

٣ ـ يحق للجهة المشرفة سحب قيمة الجائزة، إذا اكتشفت أن البحث الفائز قد نشر سابقاً أو قدم إلى جهة أخرى، أو لغرض آخر، أو مستلاً من رسالة علمية. كما يحق لها حجب الجائزة في حال عدم ارتقاء البحوث المقدمة للمستوى المطلوب.

٤ ـ يحق للجنة التحكيم التوصية بمنح جائزة مشتركة بين اثنين أو أكثر من الباحثين، كما يجوز اشتراك باحثين أو أكثر في كتابة بحوث الجائزة.

٥ ـ لا تمنح الجائزة لشارك واحد أكثر من مرة خلال فترة ثلاث سنوات.

٦ ـ يرفق مع البحث ترجمة ذاتية لصاحبه وثبتاً بإنتاجه العلمي المطبوع وغير المطبوع، بالإضافة إلى صورة جواز السفر وصورة شخصية حديثة.

٧ ـ آخر موعد لاستلام بحث «الأسرة المسلمة في العالم المعاصر»، شهر أبريل العام ٢٠٠٠م، بينما آخر موعد لاستلام بحث «إشكالية التعليم في العالم الإسلامي» شهر فبراير العام ٢٠٠١م.

٨ ـ تعرض البحوث على لجنة من المحكمين، يتم اختيارهم في ضوء موضوع الجائزة.

العنوان البريدي

ترسل البحوث بالبريد المسجل إلى العنوان التالي:

ص.ب: ٨٩٣ ـ الدوحة ـ قطر أو البريد الإلكتروني : M - Dirasat @ islam. gov. qa

لمزيد من الاستفسار، يُرجى الاتصال على:

هاتف: ٣٢٤٥٨٤ ـ ٣٢٤٥٨٦ ـ ٤٤٧٣٠٠ ـ فاكس: ٤٤٧٠٢٢ ـ (٠٠٩٧٤).

دراسة تدعو لتعريف المصطلحات المصرفية في العالم الإسلامي

أكدت دراسة حديثة ضرورة التقريب بين وسائل وأدوات السياسة النقدية الائتمانية في الدول الإسلامية بما يساعد على تحقيق التقارب بين سياسات وأهداف البنوك بها ويؤدي إلى خلق بيئة ملائمة للتعاون الاقتصادي بين الدول الإسلامية.

ودعت الدراسة التي أعدها الدكتور محمد المتولي الموجي المدير العام في البنك الأهلي المصري حول «أثر اتفاقية الغات على الصناعة المصرفية في الدول الإسلامية» إلى دعم وتفعيل دور البنك الإسلامي للتنمية من أجل خلق قنوات تمويلية بين البنوك في الدول الإسلامية والتقريب بين هذه البنوك بما يساعد على التكامل بين هذه البنوك من أجل رفع مستوى أداء الخدمة المصرفية فيها.

كما طالبت الدراسة بتحسين البيئة التشريعية التي تعمل من خلال البنوك في الدول الإسلامية، وذلك بإعادة النظر في القوانين والتشريعات وأساليب الرقابة والمواجهات الإدارية بما يعطيها القدرة على سرعة تطوير أعمالها بما يتواءم مع المتغيرات الدولية المتلاحقة في ظل زيادة المنافسة التي ستزداد حدتها في ظل اتفاقية الغات.

وأوصت الدراسة بضرورة تكثيف الجهود لتنمية تجارة الخدمات المالية في ما بين الدول الإسلامية وعقد اتفاقات ثنائية من أجل التنسيق بين السياسات الائتمانية على مستوى الأجهزة والإسراع بإصدار مشروع الشيك السياحي العربي.

الرضاعة الطبيعية حماية وأمان

أكد أحدث تقرير صادر عن منظمة الأمم المتحدة أن الرضاعة الطبيعية تسهم في إنقاذ نحو ١,٥ مليون طفل من إجمالي ١٢ مليون طفل ممن تقل أعمارهم عن الخامسة من الوفاة نتيجة التعرض لسوء التغذية والتلوث.

وأكد التقرير أن الأطفال الذين يعتمدون على الألبان الصناعية في تغذيتهم يعانون من ضعف الجهاز المناعي ليصبحوا أكثر عرضة للإصابة بحالات الإسهال المزمن ومشكلات الجهاز التنفسي.

نصف أطفال بريطانيا يولدون من دون زواج

قال مكتب الإحصاء الوطني البريطاني إن نصف الأطفال في بريطانيا تحبل بهم أمهاتهم خارج العلاقات الزوجية المتعارف عليها اجتماعياً وقانونياً بينما كانت النسبة تصل إلى الثلث فقط قبل عشر سنوات من العدد الكلي لحالات الحمل في مقاطعتي إنكلترا وويلز.

وقال المكتب الحكومي في تقرير نشره يوم ١٩٩٩/٣/١٦م أن من الـ ٨٠٠ ألف امرأة حامل هناك ٤٠٠ ألف منهن حملن أطفالهن العام ١٩٩٧م خارج العلاقات الزوجية، مقارنة مع ٣٠٥ آلاف امرأة من مجموع ٨١٩ ألف امرأة العام ١٩٩٦م.

وأضاف المكتب في تقريره الدوري «نزعات سكانية» أن حمل المراهقات اللواتي «تحت السن القانوني وتتراوح أعمارهن بين ١٣ و ١٥ عاما» انحسر بنسبة خمسة في المئة، أي من ٩,٤ في المئة العام ١٩٩٦م إلى ٨,٩ في المئة العام ١٩٩٧م، وقد تضاءلت النسبة بين المراهقات بشكل عام بواقع واحد في المئة للفترة نفسها، وبالرغم من هذا الانخفاض، إلا أن بريطانيا هي الأعلى في ثماني دول أوروبية بالنسبة إلى عدد المراهقات (١٥ ـ ١٩) عاماً اللواتي يحملن وينجبن أطفالاً، وقد سجل المكتب ٣٠ حالة ولادة لكل ألف مراهقة (١٥ ـ ١٩) العام ١٩٩٧م، مقارنة مع ٢١ حالة لكل ألف في البرتغال و ١٧ حالة في جمهورية إيرلندا.

وأظهر التقرير أنه منذ العام ١٩٩١م، ازداد عدد النساء البريطانيات (٣٥) عاماً اللواتي يقبلن على الحمل والإنجاب، فقد أصبحت النسبة ٤٢,٢ امرأة لكل ألف العام ١٩٩٧م، ومنذ العام ١٩٩٦م، كان هناك ازدياد ملحوظ في إقبال النساء اللواتي تزيد أعمارهن عن ٤٠ عاماً على الحمل والإنجاب.

وعلق ديفيد ماردار على ذلك قائلاً لـ«الشرق الأوسط» إن الاعتقاد السائد حول سبب الحمل عند تقدم النساء في العمر هو تحصيلهم العلمي ووضعهم الاقتصادي الجيد.

١٢٥ مليون طفل بلا تعليم

حذرت منظمة «أوكسفام» وهي منظمة خيرية دولية، من ازدياد أعداد الأطفال في سن الدراسة الابتدائية الذين لا يسجلون في المدارس، وذكرت في تقرير لها بعنوان «التعليم الآن: اكسروا حلقة الفقر» أن ١٢٥ مليون طفل من فئة الأعمار ٦ إلى ١١ عاماً، لم يسجلوا في المدارس على الإطلاق، وقال كيفن واكتنز الخبير في تحليل السياسات في المنظمة إن التقرير الذي نشر بالتزامن مع حملة عالمية جديدة انطلقت في لندن وجوهانسبيرغ وواشنطن، ويقوم التقدم الذي حققته دول العالم في سعيها لتنفيذ برنامج التعليم الابتدائي الشامل لكل طفل بحلول العام ٢٠١٥م.

وأشار واتكنز بالتفصيل عن التطورات والصعوبات التي تشهدها الدول العربية إلى ظاهرة انخفاض نسبة تسجيل التلاميذ في المدارس الابتدائية في العراق والكويت وسورية والأردن والسعودية.

وقال إنه في اليمن يتوقع أن يزداد عدد الأطفال غير المسجلين في المدارس الابتدائية إلى ٢,٦ مليون طفل بحلول العام ٢٠١٥، ولدى سؤاله عن مصر قال الخبير البريطاني إن ١٨ مليون مصري بالغ هم من الأميين. ووضعت مؤشرات ١٠٤ دول في جدول لتحديد أفضلها في ميدان التعليم الابتدائي، فيما وضع جدول «مالي» آخر للدول حسب الدخل النسبي لها، وأظهرت الدراسات أن سورية تقع في الموقع العشرين حسب المؤشرات التعليمية، فيما جاء العراق في الموقع التعليمي الثلاثين، أمام السعودية التي تحتل الموقع الثاني عشر من الدخل فإن التقرير وضعها في الموقع التعليمي الـ٤٨ وتقع الكويت في الموقع الـ٥٦.

مفتي كوسوفا يطالب بدعم مسلمي الإقليم

قال رئيس المشيخة الإسلامية في كوسوفا الشيخ رجب بويا : إن على المسلمين كافة أن يؤيدوا قضية كوسوفا في المنظمات والمحافل الدولية والإسلامية، وأن يقدموا المساعدات لشعب كوسوفا المسلم الذي يعاني ظروفاً سيئة من جراء حملات التطهير العرقي التي أدت إلى هجرة أكثر من مليون شخص من موطنهم.

الجدير بالذكر أن الإسلام دخل كوسوفا على أيدي العثمانيين، عندما فتحوا كوسوفا بقيادة السلطان مراد خان الذي انتصر على الصرب في معركة كوسوفا الشهيرة سنة ١٣٨٩م، واستمر الوجود العثماني في المنطقة حتى منتصف القرن العشرين.

وقد دخل الألبانيون في الإسلام وتمسكو به أشد التمسك وخدموه، وكان الإسلام معهم حيثما كانوا وبرز منهم علماء كبار خدموا الإسلام بعلمهم، مثل الشيخ ناصر الدين الألباني والشيخ شعيب الأرناؤوط.

وقد استمر الوجود العثماني في المنطقة حتى احتلت صربيا كوسوفا العام ١٩١٢م، بعدما انسحبت الخلافة العثمانية من هذه البلاد، وبقي هؤلاء المسلمون بين مخالب الصرب، حيث دخلت كوسوفا ضمن الاتحاد اليوغسلافي الفيدرالي، وكان لها حكم ذاتي، ومع تفكك يوغسلافيا طلب شعبها المسلم الاستقلال، ولكن قوبل طلبه بالاحتلال الصربي لكوسوفا العام ١٩٨٩م، والذي استمر حتى الآن.

موجز أخبار

- ذكر تقرير صادر عن منظمة الصحة العالمية في جنيف أن التدخين يتسبب في وفاة ٤ ملايين شخص سنوياً، ومن المنتظر أن يصل هذا العدد إلى عشرة ملايين شخص في العام ٢٠٢٠م. وأوضح التقرير أن عدد المدخنين في العالم يصل حالياً إلى ١,٢ بليون مدخن.
- أعلن بنك ناصر الاجتماعي في مصر عن البدء في مشروع جديد تحت مسمى الشجرة الطيبة يقوم بجمع نسبة من أموال الزكاة وتوزيعها على صورة أدوات إنتاجية للشباب الفقراء في مصر بغرض إعانتهم على الكسب الحلال.
- قال الأمين العام للشرطة الدولية «انتربول» ميغيل شامورو إن الاتجار بالمخدرات درّ على شبكات مافيا التهريب الدولية في السنوات الأخيرة نحو ٥٠٠ مليار دولار، وأضاف شامورو أمام المؤتمر الخامس حول الاتجار بالكوكايين الذي يعقد في كارتاخينا شمال كولومبيا أن عدد مستهلكي مواد الهلوسة في ارتفاع مستمر في العام مشيراً إلى عدم فعالية حملات التوعية والوقاية.
- تؤكد الدراسات الإحصائية التي يجريها «صندوق الزواج» في دولة الإمارات العربية المتحدة ارتفاع معدلات العنوسة بين البنات الإماراتيات، بحيث أصبحت تشكل ظاهرة تقلق المجتمع الاماراتي . وتوقعت الدراسة أن يصل عدد من لا تتاح لهن فرص الزواج في الدولة إلى نحو ٩٧ ألف فتاة مواطنة بحلول العام ٢٠٠٣م.

العام ٢٠٥٠ سكان العالم ٩ بلايين نسمة والهند الأولى

قالت الأمم المتحدة في أحدث تقديراتها إنه من المتوقع أن يصل تعداد سكان العالم إلى ستة بلايين نسمة في أكتوبر المقبل ويقترب من نحو تسعة بلايين بحلول العام ٢٠٥٠ وقال جوزيف تشامي مدير إدارة مشروعات الأمم المتحدة للسكان أمام لجنة الأمم المتحدة للسكان والتنمية بعد ٥٠ عاماً من الآن تتوقع الإدارة عدداً أكبر من السكان الحاليين، نحن نتوقع أن يقترب سكان العالم من تسعة بلايين نسمة.

واستطرد قائلاً آمل أن نكون مخطئين في تقديرنا، آمل أن يكون تقديرنا هذا أعلى بكثير، لكنه أشار إلى أن تقدير الأمم المتحدة للعام ٢٠٠٠ الذي أعلنته قبل ٤٠ عاماً كان دقيقاً بشكل ملحوظ حين تحدث عن ارتفاع عدد سكان العالم في نهاية القرن إلى أكثر من ستة بلايين نسمة على الرغم من أن تعداد السكان بعد الحرب العالمية الثانية كان يزيد قليلاً عن ٢ بليون نسمة ولم يصدق كثيرون أنه سيزيد ثلاثة أمثال خلال هذه الفترة.

وقال تشامي إن زيادة السكان التي ستصل إلى نحو ثلاثة بلايين نسمة منذ الآن ستصل إلى نحو ثلاثة بلايين منذ الآن وحتى العام ٢٠٥٠ ستحدث على الأرجح في الدول الأقل نمواً، ففي الوقت الذي سيبقى فيه تعداد السكان في الدول المتقدمة دون تغيير يذكر ليقف عند ١,٢ بليون نسمة من المتوقع أن يرتفع في الدول النامية من ٤,٨ بليون حالياً إلى ٧,٨ بليون بحلول العام ٢٠٥٠م.

وصرّح بأن تعداد السكان في الهند وحدها سيزيد بنسبة ٥٠ في المئة خلال الخمسة عقود المقبلة ليرتفع من بليون نسمة حالياً إلى ١,٥٣ بليون لتصبح الهند بذلك أكبر دولة في العالم من حيث تعداد السكان، كما سيزيد تعداد سكان نيجيريا وباكستان بمعدل أسرع يقترب من ١٢٠ في المئة، ليقفز من ١٥٦ مليون نسمة إلى ٣٤٥ مليوناً بالنسبة لباكستان ومن ١١٢ مليوناً إلى ٢٤٤ مليوناً بالنسبة لنيجيريا، وتحتل الصين الآن مركز أكبر دولة في العالم من حيث تعداد السكان ولم يقدم تشامي أرقاماً لكن تعدادها يقدر بنحو ١,٢ بليون نسمة، لكنه قال إن معدل الإنجاب في الصين الذي كان أعلى معدل العام ١٩٥٠ وقدر نظرياً نحو ٦,٢ طفل لكل زوجين انخفض الآن إلى ١,٨ طفل.

وسورية ٧٤ مليون نسمة

أوضح إحصاء رسمي صدر في دمشق أن عدد سكان سورية يتزايد سنوياً بمعدل ٣,٣ ٪ حيث كان عدد السكان العام ١٩٥٠م نحو ٣,٥٩ ملايين نسمة، وفي ١٩٦٣م نحو ٤,٩٩ ملايين نسمة، وفي ١٩٧٠م نحو ٦,٢٥ ملايين نسمة. وأشار الإحصاء إلى أن عدد سكان سورية في ١٩٨٤م قد ارتفع إلى ٩,٩٣ ملايين نسمة وفي ١٩٩٠ ارتفع هذا العدد ليصل إلى ١٢,١٢ مليون نسمة.

وذكر في الإحصاء إن عدد السكان في ١٩٩٥م بلغ ١٤ مليون نسمة، وإذا نظرنا إلى تطور الأرقام نجد أن عدد السكان تضاعف تقريباً كل ٢٠ سنة فإذا استمرت نسبة التكاثر ٣,٣ ٪ في إن العدد في العام ٢٠٠٠ سيصبح نحو ١٧,٥ مليون نسمة وفي ٢٠٥٠ نحو ٧٤,٠٥٧ مليون نسمة.

تضاعف عدد المسنين

خلال أقل من ٤٥ عاماً سيتضاعف عدد سكان كوكب الأرض من المسنين فوق التسعين حيث يصبح عددهم أكثر من ٤٠ في المئة من سكان العالم.

هذا ما أكده تقرير مركز الإحصاء الأوروبي بالتعاون مع مراكز المعاشات والذي أضاف أن ٩٠ في المئة من المسنين لن تقل أعمارهم في ذلك التاريخ عن ٦٠ سنة وأنه مقابل كل صبي عمره ١٥ سنة وخصوصاً في أوروبا سيوجد ٤٠ مسناً فوق السبعين.

ويؤكد التقرير اعتماد الـ٦٠ في المئة من سكان الأرض على تعاون ومدخرات ونشاط المسنين في العالم، وأن أكثر من ١٥ في المئة من الأطفال سيتمتعون بتربية وحكمة الأجداد في غياب الوجود الضروري للأبوين بجانب تمتع المسنين الجدد بصحة أفضل ورغبة إيجابية بالعطاء.

الإيدز يقطع الأعمار إلى النصف

أدى مرض الإيدز في أفريقيا إلى قطع الأعمار بصورة مخيفة قياساً إلى المعدل الطبيعي الذي ساد القارة السوداء قبل انتشار عدوى مرض نقص المناعة بحسب تقرير مكتب الإحصاء الرسمي في واشنطن.

ففي بوتسوانا انخفض عمر الإنسان من ٦٢ عاماً إلى ٤٠ عاماً، وفي بوروندي انخفض من ٥٥ إلى ٤٦ عاماً، وفي الكاميرون من ٥٩ إلى ٥١ عاماً، وفي جمهورية أفريقيا الوسطى من ٥٦ إلى ٤٩، وفي جمهورية الكونغو من ٥٧ إلى ٤٧ عاماً، وفي أثيوبيا من ٥١ إلى ٤١، وفي ساحل العاج من ٥٧ إلى ٤٦، وفي كينيا من ٦٦ إلى ٤٨، وفي مالاوي من ٥١ إلى ٣٧، وفي نامبيا من ٦٥ إلى ٤٢، وفي نيجيريا من ٥٨ إلى ٤٢، وفي رواندا من ٥٤ إلى ٤٣، وفي جنوب أفريقيا من ٦٥ إلى ٥٦ عاماً، وفي تانزانيا من ٥٥ إلى ٤٦، وفي أوغندا من ٥٤ إلى ٤٣، وفي زامبيا من ٥٦ إلى ٣٧ عاماً. وذكر التقرير أن عدد سكان العالم في العام ١٩٩٩م سيصل إلى ٦ بلايين شخص.

إعداد : عبدالمنعم أحمد

الجذور العميقة للصراع العرقي في البلقان

في تحليلها للأوضاع المأساوية في منطقة البلقان نشرت اللومند الفرنسية مقالاً حول الجذور العميقة للصراع العرقي في البلقان وحمَّل المقال زعيم الصرب سلوبودان ميلوسيفيتش مسؤولية الأحداث الأخيرة الجارية في كوسوفا يقول المقال:

في العام ١٨١٥م، كانت شبه الجزيرة مقسومة بين إمبراطوريتين مترامي الأطراف، فالعثمانيون سيطروا على جزئها الأعظم، وآل هابسبورغ حكموا الأطراف الشرقية والشمالية، ولم تكن للحدود القائمة آنذاك بين هاتين الإمبراطوريتين علاقة بتوطن من صار ما يسمون لاحقاً «الشعوب»: وهي مجموعات بشرية موحدة حول لغة واحدة أو في غالب الأحيان في ديانة واحدة. وثلاثة من هذه الشعوب وهي الرومان والصرب والكروات وتقاسمتها القوتان العظميان آنذاك. أما الشعوب الباقية، فقد عاشت في ظل الإمبراطورية العثمانية. غير أن هذه الشعوب اختلطت بطريقة لا انفكاك منها. ففي مقدونيا كان الناس يتحدثون بست لغات وفي البوسنة كانت هناك أربع ديانات.

تجانس إثني

وشهدت الفترة الممتدة بين عامي ١٨١٥م و ١٩١٨م تبديلاً متواصلاً لهذه المجموعات متعددة القومية، بصورة قسرية، إنما متسامحة بوساطة الدول القومية التي أخذت تجنح بهذا القرار أو ذاك نحو التجانس الإثني.

ففضلاً عن مونتينيغرو «الجبل الأسود» التي كانت مرة في الواقع، بلغت الحركة القومية صربيا، ففي العام ١٨٠٤م حدثت

● منطقة البلقان فسيفساء من الدول والشعوب والقوميات

الانتفاضة والعام ١٨١٧م نالت الاستقلال الذاتي ثم حازت على الاستقلال في ما بعد، واليونان انتفضت العام ١٨٢١م، ونالت الاستقلال العام ١٨٣٠م، وأخذت الدولتان الأخيرتان توسعان رقعتيهما الضيقتين بطرد السكان المسلمين، وهكذا حدثت أولى أعمال التطهير العرقي، ثم جاء دور رومانيا التي استقلت العام ١٩٦٠م، وبلغاريا التي انتفضت العام ١٩٧٥م، ونالت الحكم الذاتي العام ١٨٧٨م، ثم الاستقلال التام.

برميل البارود البلقاني

غير أن تحرر هذا البلد الأخير كان متصلاً بأول أزمة بلقانية دولية، فبعد الانتفاضات في بلغاريا والبوسنة العام ١٨٧٥م والحرب الروسية التركية - (١٨٧٧م - ١٨٧٨م)، حققت روسيا، وفق معاهدة سان ستيفانو «بلغاريا الكبرى» التي تضم مقدونيا، فيما كان الصرب يأملون في تكوين صربيا الكبرى بضم البوسنة، لكن القوى الأخرى عارضت ذلك، ثم فرض مؤتمر برلين العام ١٨٧٨م حلولاً أخرى، فبلغاريا لم تحصل على غير أراض محدودة، ثم احتلت الإمبراطورية النمساوية - الهنغارية البوسنة فيما بعد.

ومنذ ذاك، لم تعد الإمبراطورية العثمانية تحتل في أوروبا غير حيز ضيق، فقد صارت «الرجل المريض» وفي التنافس على الأشلاء الأخيرة لهذه الإمبراطورية أخذت الدول

البلقانية تتنازع في ما بينها فأججت الدول الكبرى نزاعاتها واستغلتها، فمن برميل البارد البلقاني اندلعت الحرب العالمية الأولى، وفي عامي ١٩١٢م و ١٩١٣م، نشبت حروب البلقان، ففي العام الأول، ١٩١٢م، تحالفت أربع دول بلقانية ضد الأتراك وأرجعتهم القهقرى حتى أبواب اسطنبول، وفي العام ١٩١٣م، تحاربت هذه الدول فيما بينها للسيطرة على الأراضي المكتسبة، وقبل كل شيء مقدونيا، وكانت النتيجة أن الأتراك لم يعودوا يسيطرون في أوروبا إلا على الجزء الشرقي «الأوروبي» لأسطنبول وأن المنتصرين، أي الصرب واليونانيون، وسّعوا أراضيهم بصورة جيدة، وهكذا تقلّصت مساحة بلغاريا المهزومة وألبانيا، وهي الدولة المشكّلة حديثاً، فلم تعد تؤوي غير نصف الألبان، أما الباقون الذين كانوا يقيمون في كوسوفا وفي مقدونيا الغربية، فقد ضمتهم صربيا (بينما ضمت مونتينيغرو الألبان المقيمين في شمال شرق كوسوفا).

ولدت الحرب العالمية الأولى من رحم الخصومة النمساوية ـ الصربية بشأن البوسنة «والشرارة هي اغتيال ولي عهد النمسا في سراييفو على يد قومي صربي»، وكان المهزومون في الحروب البلقانية، أي تركيا وبلغاريا، يقفون إلى جانب المعسكر النمساوي ـ الألماني ، والمنتصرون إلى جانب معسكر الحلفاء، وهكذا وقعت صربيا ورومانيا تحت الاحتلال النمساوي ـ الألماني الذي دمرهما لكنهما تحررتا العام ١٩١٨م.=

جبهة سالونيك «اليونان»:

وثبتت معاهدة فرساي بأحرف كبيرة الحدود المرسومة العام ١٩١٣م في جنوب البلقان، ففي الشمال، أدت إلى تدمير الإمبراطورية النمساوية ـ الهنغارية، وعلى حسابها ضاعفت رومانيا وصربيا المنتصرتان أراضيهما. فالأولى ضمت مقاطعات بانات وترانسلفانيا وبوكوفينا حيث يتعايش الرومان والهنغار مع بعض الشعوب الأخرى، وتحولت الثانية إلى يوغسلافيا فصارت تضم فويفودينا ومونتينيغرو والبوسنة وكرواتيا وسلوفينيا وجميع المناطق الأخرى التي تقطنها شعوب ذات أصل سلافي في الجنوب، أي الصرب ومعهم الكروات والسلوفينيين والبوسنيين المسلمين

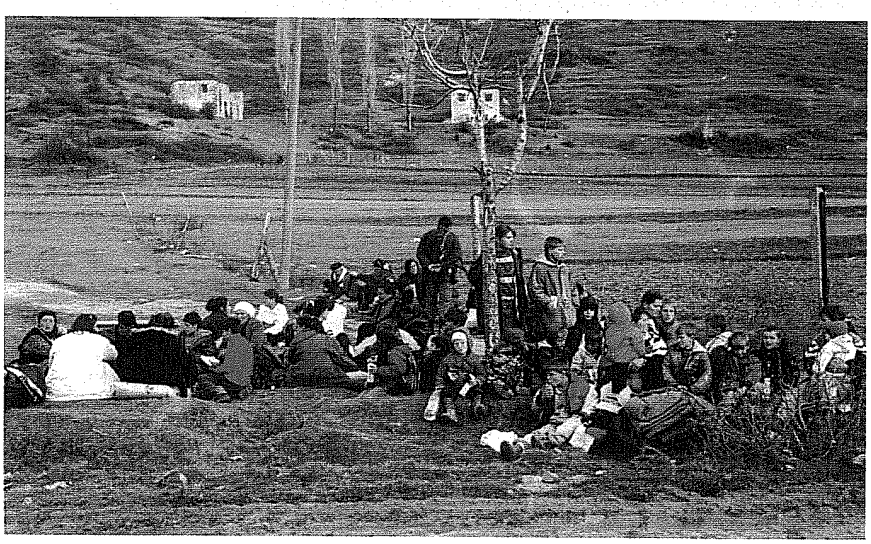

● الحلم الصربي يهدف إلى توحيد قصري لجميع الشعوب السلافية

وأهالي مونتينيغرو فضلاً عن الأقليتين الألمانية والهنغارية وغيرهما، وهكذا صارت تحقق في آن واحد هدفين متناقضين «صربيا الكبرى» التي تؤوي جميع الصرب في دولة واحدة و«الفكرة اليوغسلافية» وهي حلم كرواتي يعود إلى القرن التاسع عشر ويرمي إلى توحيد طوعي لجميع الشعوب السلافية في الجنوب، لكن في هذه الدولة متعددة القومية ذات المركزية المفرطة التي تحولت بسرعة إلى دولة دكتاتورية لم يلق الصرب دعماً قوياً من الشعوب الأخرى في حين ترشحت فيها التوترات، ومن ذلك اغتيال الزعيم الكرواتي «استيبان راديتش» العام ١٩٢٨م، واغتيال ملك صربيا الكسندر العام ١٩٣٤م.

ترسيم جذري للحدود

وشهدت الحرب العالمية الثانية احتلال النازيين شبه الجزيرة كلها وإعادة ترسيم جذرية للحدود لمصلحة المحتلين والمحسوبين عليهم «إيطاليا وهنغاريا وبلغاريا» على حساب المنتصرين العام ١٩١٨م، وهكذا حدثت مذابح رهيبة.

وبعد التحرير، تمت المحافظة على الحدود، كما رسمتها معاهدة فرساي باستثناء التقدم السوفييتي نحو الشمال الشرقي بضم مولدافيا وبوكوفينا، وتراجع إيطاليا عن منطقة ايستريا (هي في كرواتيا حالياً). ونظمت اتفاقية يالطا إعادة توزيع مختلف بلدان البلقان بين الكتلتين الجديدتين. لكن يوغسلافيا «جوزيف تيتو» خرجت على هذا «الانحياز» الذي لم يعد يسيطر عليه الصرب وتحولت إلى اتحاد فيدرالي لستة أعضاء ثم لثمانية، حيث تم الاعتراف فيه بشخصية ستة شعوب سلافية في الجنوب، وبكثير من القوميات، وبدءاً من العام ١٩٧٤م، تلقت الجماعات الثماني الأعضاء في الاتحاد اليوغسلافي «أي الجمهوريات الست والمقاطعتين المحكومتين ذاتياً» صلاحيات جديدة موسعة وصارت أشبه بدول مستقلة.

هذه اللامركزية هي التي أزعجت الصرب المقيمين في سبع مناطق من أصل ثماني بدءاً من العام ١٩٨٧م، حيث أخذ زعيمهم الجديد «سلوبودان ميلوسيفيتش» يعزز النزعة القومية، ثم ألغى العام ١٩٨٩م الاستقلال الذاتي لكوسوفا وفويفودينا وسعى إلى توسيع سلطته حتى تشمل جميع مناطق الاتحاد، مهدداً بذلك الجمهوريات الأخرى، ولهذا السبب أعلنت أربع منها العام ١٩٩٠م بعد الانتخابات الحرة استقلالها وهي كرواتيا وسلوفينيا ومقدونيا العام ١٩٩١م، ثم في البوسنة ١٩٩٢م ـ ١٩٩٥م، ويثبت اتفاق دايتون العام ١٩٩٥م استقلال البوسنة، لكنه يكرّس انقسامها إلى كيانين عرقيين، أما مشكلة إقليم كوسوفا الذي ضم بالقوة إلى يوغسلافيا العام ١٩٨٩م، وقمعت فيها صربيا سكانه ذوي الأغلبية الألبانية فتبقى قائمة في أساس الأزمة الحالية. ■

* زعيم الصرب هو الذي فجّر الصراع الأخير بإلغاء الحكم الذاتي لإقليم كوسوفا العام ١٩٨٩م.

حديقة الوعي

إعداد : أحمد عبدالجبار

من هدي كتاب الله

قال الله تعالى :

﴿ وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كلٍّ تأكلون لحماً طرياً وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾.

فاطر :١٢

من هدي رسول الله ﷺ

عن صهيب . رضي الله عنه . قال : قال رسول الله . ﷺ . :

« عجبت لأمر المؤمن إن الله لا يقضي له قضاء إلا كان خيراً له، ذلك إلا لمؤمن، إن أصابه خير شكر الله فكان خيراً له، وإن أصابه ضر صبر لله، فكان ذلك خيراً له ».

رواه مسلم

مجير أم عامر

جاء في « جمهرة الأمثال » عن أبي عبيدة معمر بن المثنى أنه سأل يونس بن حبيب عن المثل المشهور «كمجير أم عامر» فقال :

كان من حديثه أن قوماً خرجوا إلى الصيد في يوم حار، فبينما هم كذلك إذ عرضت لهم أم عامر «وهي الضبع» فطردوها واتبعوها حتى دخلت خباء أعرابي فاقتحمته، فخرج الأعرابي فقال: ما شأنكم؟ قالوا: صيدنا وطريدتنا، قال الأعرابي: كلا والذي نفسي بيده لا تصلون إليها ما ثبت قائم سيفي بيدي، فرجعوا وتركوه.

ثم قام الأعرابي إلى قدر فيها لبن فقرّبها إليها، وقرّب الماء منها، فأقبلت أم عامر تلغ من هذا ومن هذا حتى شبعت واستراحت، فبينما الأعرابي نائم في جوف بيته، إذ وثبت عليه فبقرت بطنه وشربت دمه وأكلت أحشاءه وتركته، فجاء ابن عم له فوجده على تلك الصورة، فالتفت إلى موضع الضبع فلم يرها، فأخذ سيفه وكنانته وطفق يبحث عنها حتى أدركها فقتلها وأنشأ يقول :

ومن يصنع المعروف في غير أهله
يلاقي الذي لاقى مجير أم عامر

جموع لا واحدة لها

الأبابيل : الفرق الكثيرة من الطير أو الحيوان أو الإنسان.

- التعاشيب : العشب .. يقال : أرض مملوءة بالتعاشيب إذا كان فيها عشب كثير.

التماسي: الدواهي. قال مرداس الدبيري:

أدوارها كيما تلين وإنني
لألقى على العلات منها التماسيا

خذ عني اثنتين

قال المنصور لولده: خذ عني اثنتين: لا تقل في غير تفكير، ولا تعمل بغير تدبير. وفي هذا المعنى قال الفضل: المشورة فيها بركة، وإني لأستشير حتى هذه الحبشية الأعجمية، وقال أعرابي أيضاً: لا فقر أعظم من الجهل، ولا ظهير أقوى من المشورة، وقيل من بدأ بالاستخارة وثنى بالاستشارة فحقيق ألا يخيب رأيه وقال الشاعر:

إن اللبيب إذا تفرد أمره
فتق الأمور مناظراً ومشاوراً
وأخو الجهالة يستبد برأيه
فتراه يقتسف الأمور مخاطرا

من أقوال الحكماء

- قال الفضيل بن عياض: إني لا أستحي من الله أن أقول: توكلت على الله، ولو توكلت عليه حق التوكل ما خفت ولا رجوت غيره.
- قال ذو النون المصري: من ذكر الله على الحقيقة نسي في جنب ذكراه كل شيء، وحفظ الله عليه كل شيء، وكان له عوضاً عن كل شيء.
- قال لقمان الحكيم لابنه: احذر واحدة هي أهل للحذر. قال: وما هي؟ قال: إياك أن تري الناس أنك تخشى الله وقلبك فاجر.
- لما هلك الإسكندر قامت الخطباء على رأسه فكان قولهم: الإسكندر كان أمس أنطق منه اليوم وهو اليوم أوعظ منه أمس.

زكـاة الأسهـم

تقدم إلى اللجنة المدعو/ يعقوب وسأل عما يلي:

ساهمت مستثمراً بمقدار من الأسهم في شركة عقارية وحصلت في آخر العام على منحة عبارة عن أسهم ومقدار معين من الأرباح النقدية، فكيف يكون إخراج زكاة أموالي في هذه الحالة باعتباري مستثمراً غير مضارب وباعتباري مضارباً؟ وبالنسبة للمنحة والربح هل ينتظر مرور حول عليها، أم أضمها إلى أموالي الأخرى وأخرجها في الوقت المعتاد لإخراج الزكاة وهو (٥ من رمضان) مثلاً.

وهل يكون إخراج الزكاة على قيمتها يوم استلامها أم يوم إخراج زكاتي المعتادة؟ وهل يكون إخراج الزكاة من الأصول أم من الأرباح؟

وفي حالة ما إذا لم تربح الشركة أو لم توزع أرباحها في نهاية العام فما الواجب عليَّ كمستثمر؟

- أجابت اللجنة:

أنه إذا كانت أكثر أعمال الشركة استثمارية فتكون الزكاة على الأرباح المتحصلة من هذه الأسهم وعلى الأسهم التي أخذها كمنحة، ولا يشترط حولان الحول على الأرباح مطلقاً، بل تضم إلى باقي أمواله ليزكيها، ولا يشترط حولان الحول على هذه الأموال الجديدة، والعبرة بقيمة هذه الأسهم يوم وجوب الزكاة وهو حولان الحول أو بعبارة أخرى هو (٥ من رمضان) كما جاء في استفتائه.

أما إذا كان الغرض من اقتناء الأسهم المتاجرة بها فإنها تزكى الأصول والأرباح (زكاة عروض التجارة).

أما بالنسبة لحالة عدم حصول ربح للشركة فإن كان السهم بقصد الاستثمار فلا زكاة على هذه الأسهم وإن كان للمتاجرة (المضاربة بالأسهم) فإنه يزكي قيمة الأسهم كما سبق ولو لم تربح وفي حالة تحقق ربح لم يوزع تصبح الزكاة على هذه الأرباح ديناً في الذمة يجب إخراجها عند قبض الربح دون اشتراط حولان حول جديد وذلك إذا بلغ نصاباً ولو مع غيرها من الأموال الزكوية، والله سبحانه وتعالى أعلم.

هل يأخذ غير المحتاج من الوصية ؟

حضر إلى اللجنة المدعو/ فلاح، وطلب الاستفتاء التالي:

أوصت جدتي لأمي بتوزيع ثلث مالها على يد أولادها الذين من ضمنهم والدتي، وقد ورثت والدتي مبلغاً من المال من مال والدتها مضافاً إليه الثلث، والوصية التي أوصت بها جدتي هي توزيع الثلث للخيرات، والمحتاج من أولادها يأخذ منه حلالاً عليه.

والمطلوب: والدتي توفيت وكانت مريضة عقلياً منذ ثلاثين سنة وأنا قيِّم عليها:

١ - فهل أخرج الثلث أيضاً من ميراث والدتي وأوزعه بين إخوتي كما فعلت والدتها ليشمل الخير جميع الأبناء، واتحمل الإدارة والمسؤولية جميعاً؟

٢ - هل والدي زوج والدتي يعطى من الثلث للإدارة والحاجة وتحمل المسؤولية؟

- أجابت اللجنة:

بعد الاطلاع على نص الوصية: بأن ثلث مال المتوفاة الأولى (جدة المستفتي) يصرف كله للخيرات، ولا يعطى أحد من أولادها ولا أولاد ابنتها إلا عند الحاجة، إذا كان دخل كل واحد منهم لا يكفيه للطعام والكسوة والسكن، وأما زوج ابنتها فلا يستحق منه شيئاً إلا إذا تحققت حاجته. والله أعلم.

توفي وله زوجة كفيفة ، فهل عليها عدة ؟

تقدم المدعو/ محمد، وأخبر اللجنة:

بأن والده قد توفي وله زوجتان، إحداهما «بصيرة» والأخرى «ضريرة»، فهل تستويان في العدة أم أن هناك مفارقات بينهما بسبب العاهة. وهل تنتصف العدة بينهما؟

- أجابت اللجنة بما يلي:

إن البصيرة والضريرة تستويان في العدة، ولا فرق بينهما بسبب عاهة من العاهات، فتعتد كل منهما عدة وفاة كاملة، وهي أربعة أشهر وعشرة أيام، ابتداء من وقت الوفاة، مع عدم الإخلال بواجبات العدة. والله أعلم.

رجعة المطلقة بعد انتهاء عدتها

تقدم إلى اللجنة المدعو/ راسم، وأفاد:

أنه طلق زوجته وهو في حالة غضب بلفظ: «أنت طالق بالثلاث»، ومضى على ذلك مدة أربعة أشهر أو خمسة، ولم يسبق له أن طلّق قبل هذه المرة ولا بعدها، ويسأل هل يجوز له مراجعة زوجته الآن؟ مع العلم أنها حاضت أربع مرات منذ يوم الطلاق إلى الآن؟

- أجابت اللجنة بما يلي:

إن زوجته بانت منه بطلقة واحدة بانقضاء عدتها بنزول الحيض ثلاث مرات، وله أن يعقد عليها عقداً جديداً بمهر جديد وولي وشاهدي عدل إن وافقت مطلّقته على ذلك، وتعود إليه على طلقتين، وأفهمته اللجنة أنها محرّمة عليه حتى يعقد عليها. والله أعلم.

يحيا العدل

بقلم : محمود علي عبدالرحمن

منذ كان الإنسان وحيث يكون، سيبقى العدل حلم حياته وأمل مفكريه وجوهر شرائعه وسياج أمنه، كذلك كان وسيبقى رائداً لركبه على طريق الرخاء والتقدم والسلام وصانع الحضارات وحارسها وغاية الغايات.

وإذا كان العدل هو حلم الإنسان الدائب الذي لم يكف دوماً عن السعي إلى تحقيقه، وكان سعيه قد كلل بخطوات من نجاح، أكدت كل خطوة منها هذا التلازم الرفيع بين العدل وارتقاء الإنسانية في درجات سموها، كما أكدت أن الإنسانية ليست بالغة ذراها الرفيعة في قمة وجودها الذي يتجلى فيه القبس النوراني الكامن فيها، إلا محمولة على راحة العدل وساعده.

وإذا كان العدل هو أداه بلوغ الإنسانية لذراها السامقة، فإن الإنسان محور هذه الإنسانية وجوهرها المطلق ليس ببالغه إلا على قواعد راسخة يُرسي فيها قيم العدالة بينه وبين نفسه ومع أهله وبين أبنائه ومع الآخرين، وإذا ما تحقق ذلك فستُخمد جذوة نار الظلم، من أجل مجتمع الأنفع والأكرم والأسمى.

وإذا ما أظلّ العدل أمة بظلاله الوارفة اكتسى بنوها لباس الأمن والطمأنينة والاستقرار، وأثمرت شجرة العدل اليانعة، فلا يخشى في ظلها صغير بطش كبير، ولا يطغى حاكم على محكوم، فالكل أمام العدل سواء.

والظلم أقسى ما يؤلم النفس البشرية، ويشعل نيران الغضب في داخلها، ويؤدي إلى زعزعة المجتمعات وتقويض استقرارها وضياع هيبتها وسقوط كيانها، وما قصه لنا القرآن عن القرية الظالم أهلها ليس عنا ببعيد.

وقد يطول ليل الظلم ويدلهمُّ، ولكن هيهات هيهات أن تحول دون شمس العدل غيوم الباطل، فمهما أوتي الباطل من زخرف القول ولحنه، ومهما قوي عوده واشتد فلابد يوماً أن ينكسر، لتشرق أضواء العدل الباهرة محطمة حُجب الظلم وأستاره، لحظتذاك يدوي بين الجدران يكاد أن يُحطم الأركان، هتاف عال غال علو الحق وغلوه «يحيا العدل».

كلمتان خفيفتان على اللسان قويتان في المعنى والبنيان تنطق بهما أفواه لطالما كممها ظلم الصمت فتاقت لبريق الحق، فما أن تنطلق كلمات الحكم ناطقة بالعدل، حتى يعلو الهتاف كالرعد، مجلجلاً ساعتئذ لاتكاد أن تسمع للظالم ركزاً ولا تراه إلا منكّس الرأس تقرع الكلمات أذنيه، وتهوى عليه كالصاعقة فلا تسمع منه إلا همساً.

فما أجملك يا عدل وما أعظمك تتغنى بك الأفواه طرباً وكفاك قدراً وشرفاً أن كنت للرحمن اسماً ووصفاً، وخسئت أيها الظلم وخاب أهلوك، يقول الحق سبحانه (وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلماً) طه:١١١. ■

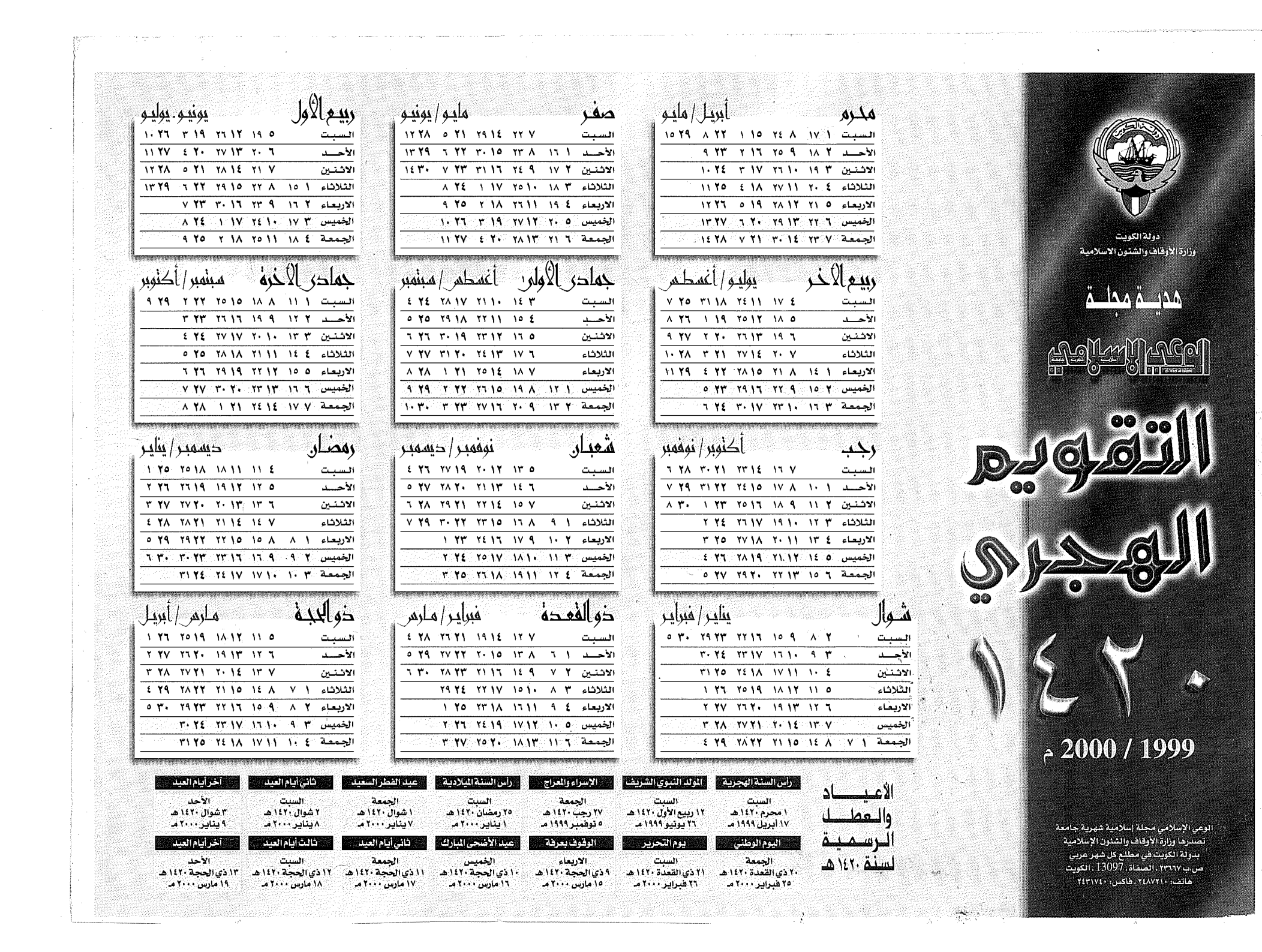

محرم — أبريل / مايو

السبت	١	١٧	٨	٢٤	١٥	١
الأحد	٢	١٨	٩	٢٥	١٦	٢
الاثنين	٣	١٩	١٠	٢٦	١٧	٣
الثلاثاء	٤	٢٠	١١	٢٧	١٨	٤
الاربعاء	٥	٢١	١٢	٢٨	١٩	٥
الخميس	٦	٢٢	١٣	٢٩	٢٠	٦
الجمعة	٧	٢٣	١٤	٣٠	٢١	٧

السبت	٢٢	٨	٢٩	١٥	٢٢	٨
الأحد	٢٣	٩	٣٠	١٦	٢٣	٩
الاثنين	٢٤	١٠	٣١	١٧	٢٤	١٠
الثلاثاء	٢٥	١١	١	١٨	٢٥	١١
الاربعاء	٢٦	١٢	٢	١٩	٢٦	١٢
الخميس	٢٧	١٣	٣	٢٠	٢٧	١٣
الجمعة	٢٨	١٤	٤	٢١	٢٨	١٤

ربيع الآخر — يوليو / أغسطس

السبت	٤	١٧	١١	٢٤	١٨	٣١
الأحد	٥	١٨	١٢	٢٥	١٩	١
الاثنين	٦	١٩	١٣	٢٦	٢٠	٢
الثلاثاء	٧	٢٠	١٤	٢٧	٢١	٣
الاربعاء	١	١٤	٨	٢١	١٥	٢٨
الخميس	٢	١٥	٩	٢٢	١٦	٢٩
الجمعة	٣	١٦	١٠	٢٣	١٧	٣٠

السبت	٢٥	٧	٣٢	١٨	٢٥	٧
الأحد	٢٦	٨	١	١٩	٢٦	٨
الاثنين	٢٧	٩	٢	٢٠	٢٧	٩
الثلاثاء	٢٨	١٠	٣	٢١	٢٨	١٠
الاربعاء	٢٩	١١	٤	٢٢	٢٣	١١
الخميس	٣٠	١٢	٥	٢٣		
الجمعة	٣١	١٣	٦	٢٤		

رجب — أكتوبر / نوفمبر

السبت	٧	١٦	١٤	٢٣	٢١	٣٠
الأحد	١	١٠	٨	١٧	١٥	٢٤
الاثنين	٢	١١	٩	١٨	١٦	٢٥
الثلاثاء	٣	١٢	١٠	١٩	١٧	٢٦
الاربعاء	٤	١٣	١١	٢٠	١٨	٢٧
الخميس	٥	١٤	١٢	٢١	١٩	٢٨
الجمعة	٦	١٥	١٣	٢٢	٢٠	٢٩

السبت	٢٨	٦	٢٩	١٥	٢٢	٨
الأحد	٢٩	٧	٣٠	١٦	٢٣	٩
الاثنين	٣٠	٨	٣١	١٧	٢٤	١٠
الثلاثاء	٣١	٩	١	١٨	٢٥	١١
الاربعاء	١	٢٩	٤	٢٢	٢٦	١٢
الخميس	٢	٢٩	٥	٢٣	٢٧	١٣
الجمعة	٣	٢٤	٦	٢٤	٢٨	١٤

شوال — يناير / فبراير

السبت	٢	٨	٩	١٥	١٦	٢٢
الأحد	٣	٩	١٠	١٦	١٧	٢٣
الاثنين	٤	١٠	١١	١٧	١٨	٢٤
الثلاثاء	٥	١١	١٢	١٨	١٩	٢٥
الاربعاء	٦	١٢	١٣	١٩	٢٠	٢٦
الخميس	٧	١٣	١٤	٢٠	٢١	٢٧
الجمعة	١	٧	٨	١٤	١٥	٢١

السبت	٢٣	٢٩	٣٠	٥		
الأحد	٢٤	٣٠				
الاثنين	٢٥	٣١				
الثلاثاء	٢٦	١				
الاربعاء	٢٧	٢				
الخميس	٢٨	٣				
الجمعة	٢٢	٢٨	٢٩	٤		

ذو القعدة — فبراير / مارس

السبت	٧	١٢	١٤	١٩	٢١	٢٦
الأحد	١	٦	٨	١٣	١٥	٢٠
الاثنين	٢	٧	٩	١٤	١٦	٢١
الثلاثاء	٣	٨	١٠	١٥	١٧	٢٢
الاربعاء	٤	٩	١١	١٦	١٨	٢٣
الخميس	٥	١٠	١٢	١٧	١٩	٢٤
الجمعة	٦	١١	١٣	١٨	٢٠	٢٥

السبت	٢٨	٤	٢٩	١٥	٢٢	٨
الأحد	٢٩	٥	٣٠	١٦	٢٣	٩
الاثنين	٣٠	٦	٣١	١٧	٢٤	١٠
الثلاثاء	٣١	٧	١	١٨	٢٥	١١
الاربعاء	١	٢٧	٢	١٩	٢٦	١٢
الخميس	٢	٢٧	٣	٢٠	٢٧	١٣
الجمعة	٣	٢٢	٤	٢٠	٢٨	١٤

صفر — مايو / يونيو

السبت	٧	٢٢	١٤	٢٩	٢١	٥
الأحد	١	١٦	٨	٢٣	١٥	٣٠
الاثنين	٢	١٧	٩	٢٤	١٦	٣١
الثلاثاء	٣	١٨	١٠	٢٥	١٧	١
الاربعاء	٤	١٩	١١	٢٦	١٨	٢
الخميس	٥	٢٠	١٢	٢٧	١٩	٣
الجمعة	٦	٢١	١٣	٢٨	٢٠	٤

السبت	٢٨	١٢	٢٩	٥	٢٢	١٢
الأحد	٢٩	١٣	٣٠	٦	٢٣	١٣
الاثنين	٣٠	١٤	٣١	٧	٢٤	١٤
الثلاثاء	٢٤	٨	١	١٧	٢٥	١٥
الاربعاء	٢٥	٩	٢	١٨	٢٦	١٦
الخميس	٢٦	١٠	٣	١٩	٢٧	١٧
الجمعة	٢٧	١١	٤	٢٠	٢٨	١٨

جمادى الأولى — أغسطس / سبتمبر

السبت	٣	١٤	١٠	٢١	١٧	٢٨
الأحد	٤	١٥	١١	٢٢	١٨	٢٩
الاثنين	٥	١٦	١٢	٢٣	١٩	٣٠
الثلاثاء	٦	١٧	١٣	٢٤	٢٠	٣١
الاربعاء	٧	١٨	١٤	٢٥	٢١	١
الخميس	١	١٢	٨	١٩	١٥	٢٦
الجمعة	٢	١٣	٩	٢٠	١٦	٢٧

السبت	٢٤	٤	٢٥	١١	٢٢	٨
الأحد	٢٥	٥	٢٦	١٢	٢٣	٩
الاثنين	٢٦	٦	٢٧	١٣	٢٤	١٠
الثلاثاء	٢٧	٧	٢٨	١٤	٢٥	١١
الاربعاء	٢٨	٨	٢٩	١٥	٢٦	١٢
الخميس	٢٩	٩	٣٠	١٦	٢٧	١٣
الجمعة	٣٠	١٠	٣١	١٧	٢٨	١٤

شعبان — نوفمبر / ديسمبر

السبت	٥	١٣	١٢	٢٠	١٩	٢٧
الأحد	٦	١٤	١٣	٢١	٢٠	٢٨
الاثنين	٧	١٥	١٤	٢٢	٢١	٢٩
الثلاثاء	١	٩	١٦	٨	١٥	٢٣
الاربعاء	٢	١٠	١٧	٩	١٦	٢٤
الخميس	٣	١١	١٨	١٠	١٧	٢٥
الجمعة	٤	١٢	١٩	١١	١٨	٢٦

السبت	٢٦	٤	٢٧	١٢	٢٤	١٠
الأحد	٢٧	٥	٢٨	١٣	٢٥	١١
الاثنين	٢٨	٦	٢٩	١٤	٢٦	١٢
الثلاثاء	٢٩	٧	٣٠	١٥	٢٧	١٣
الاربعاء	١	٢٩	٢	١٦	٢٨	١٤
الخميس	٢	٢٩	٣	١٧	٢٨	١٥
الجمعة	٣	٢٤	٤	١٧	٢٨	١٦

ربيع الأول — يونيو - يوليو

السبت	٥	١٩	١٢	٢٦	١٢	٣
الأحد	٦	٢٠	١٣	٢٧	١٣	٤
الاثنين	٧	٢١	١٤	٢٨	١٤	٥
الثلاثاء	١	١٥	٨	٢٢	١٥	٢٩
الاربعاء	٢	١٦	٩	٢٣	١٦	٣٠
الخميس	٣	١٧	١٠	٢٤	١٧	١
الجمعة	٤	١٨	١١	٢٥	١٨	٢

السبت	٢٦	١٠	٢٧	١٧	٢٤	٨
الأحد	٢٧	١١	٢٨	١٨	٢٥	٩
الاثنين	٢٨	١٢	٢٩	١٩	٢٦	١٠
الثلاثاء	٢٩	١٣	٣٠	٢٠	٢٧	١١
الاربعاء	٣٠	١٤	٣١	٢١	٢٨	١٢
الخميس	٣١	١٥	١	٢٢	٢٩	١٣
الجمعة	١	١٥	٢	٢٣	٣٠	١٤

جمادى الآخرة — سبتمبر / أكتوبر

السبت	١	١١	٨	١٨	١٥	٢٥
الأحد	٢	١٢	٩	١٩	١٦	٢٦
الاثنين	٣	١٣	١٠	٢٠	١٧	٢٧
الثلاثاء	٤	١٤	١١	٢١	١٨	٢٨
الاربعاء	٥	١٥	١٢	٢٢	١٩	٢٩
الخميس	٦	١٦	١٣	٢٣	٢٠	٣٠
الجمعة	٧	١٧	١٤	٢٤	٢١	١

السبت	٢٩	٢	٣٠	١٦	٢٣	٩
الأحد	٣٠	٣	٣١	١٧	٢٤	١٠
الاثنين	٣١	٤	١	١٨	٢٥	١١
الثلاثاء	١	٢٨	٢	١٩	٢٦	١٢
الاربعاء	٢	٢٨	٣	٢٠	٢٧	١٣
الخميس	٣	٢٣	٤	٢٠	٢٨	١٤
الجمعة	٤	١٨	٥	٢١	٢٨	١٥

رمضان — ديسمبر / يناير

السبت	٤	١١	١١	١٨	١٨	٢٥
الأحد	٥	١٢	١٢	١٩	١٩	٢٦
الاثنين	٦	١٣	١٣	٢٠	٢٠	٢٧
الثلاثاء	٧	١٤	١٤	٢١	٢١	٢٨
الاربعاء	١	٨	١٥	٢٢	٢٢	٢٩
الخميس	٢	٩	١٦	٢٣	٢٣	٣٠
الجمعة	٣	١٠	١٧	١٧	٢٤	٣١

السبت	٢٥	١	٢٦	١٨	٢٥	٢
الأحد	٢٦	٢	٢٧	١٩	٢٦	٣
الاثنين	٢٧	٣	٢٨	٢٠	٢٧	٤
الثلاثاء	٢٨	٤	٢٩	٢١	٢٨	٥
الاربعاء	٢٩	٥	٣٠	٢٢	٢٩	٦
الخميس	٣٠	٦	٣١	٢٣	٣٠	٧
الجمعة	٣١	٧	١	٢٤	٣١	٨

ذو الحجة — مارس / أبريل

السبت	٥	١١	١٢	١٨	١٩	٢٥
الأحد	٦	١٢	١٣	١٩	٢٠	٢٦
الاثنين	٧	١٣	١٤	٢٠	٢١	٢٧
الثلاثاء	١	٧	٨	١٤	١٥	٢١
الاربعاء	٢	٨	٩	١٥	١٦	٢٢
الخميس	٣	٩	١٠	١٦	١٧	٢٣
الجمعة	٤	١٠	١١	١٧	١٨	٢٤

السبت	٢٥	١	٢٦	١٢	٢٦	٣
الأحد	٢٦	٢	٢٧	١٣	٢٧	٤
الاثنين	٢٧	٣	٢٨	١٤	٢٨	٥
الثلاثاء	٢٨	٤	٢٩	١٥	٢٩	٦
الاربعاء	٢٩	٥	٣٠	١٦	٣٠	٧
الخميس	٣٠	٦	٣١	١٧	٣١	٨
الجمعة	٣١	٧	١	١٨	١	٩

الأعياد والعطل الرسمية لسنة ١٤٢٠ هـ

رأس السنة الهجرية	المولد النبوي الشريف	الإسراء والمعراج	رأس السنة الميلادية	عيد الفطر السعيد	ثاني أيام العيد	آخر أيام العيد
السبت ١ محرم ١٤٢٠ هـ ١٧ أبريل ١٩٩٩ م	السبت ١٢ ربيع الأول ١٤٢٠ هـ ٢٦ يونيو ١٩٩٩ م	الجمعة ٢٧ رجب ١٤٢٠ هـ ٥ نوفمبر ١٩٩٩ م	السبت ٢٥ رمضان ١٤٢٠ هـ ١ يناير ٢٠٠٠ م	الجمعة ١ شوال ١٤٢٠ هـ ٧ يناير ٢٠٠٠ م	السبت ٢ شوال ١٤٢٠ هـ ٨ يناير ٢٠٠٠ م	الأحد ٣ شوال ١٤٢٠ هـ ٩ يناير ٢٠٠٠ م
اليوم الوطني	**يوم التحرير**	**الوقوف بعرفة**	**عيد الأضحى المبارك**	**ثاني أيام العيد**	**ثالث أيام العيد**	**آخر أيام العيد**
الجمعة ٢٠ ذي القعدة ١٤٢٠ هـ ٢٥ فبراير ٢٠٠٠ م	السبت ٢١ ذي القعدة ١٤٢٠ هـ ٢٦ فبراير ٢٠٠٠ م	الاربعاء ٩ ذي الحجة ١٤٢٠ هـ ١٥ مارس ٢٠٠٠ م	الخميس ١٠ ذي الحجة ١٤٢٠ هـ ١٦ مارس ٢٠٠٠ م	الجمعة ١١ ذي الحجة ١٤٢٠ هـ ١٧ مارس ٢٠٠٠ م	السبت ١٢ ذي الحجة ١٤٢٠ هـ ١٨ مارس ٢٠٠٠ م	الأحد ١٣ ذي الحجة ١٤٢٠ هـ ١٩ مارس ٢٠٠٠ م

اللجنة الكويتية المشتركة للإغاثة

تشريد . إبادة وهتك أعراض .. دماء ودموع !!

كوسوفا تستغيث؟

فهل من معتصم يجيب؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : - « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » رواه مسلم

تستقبل التبرعات في :

حساب كوسوفا : ٥/ ٣٦٥٨٣ بيت التمويل الكويتي

مقر اللجنة الرئيسي - الشرق - شارع أحمد الجابر - مبنى الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية - الدور الرابع ت : ٢٤٤٥٧٢٠ - بيجر: ٩٣١٧٥٥٧

وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية - بيت الزكاة - الهيئة الخيرية الاسلامية العالمية واللجان التابعة لها - جمعية الاصلاح الاجتماعي واللجان التابعة لها - جمعية احياء التراث الاسلامي واللجان التابعة لها - جمعية النجاة الخيرية واللجان التابعة لها - جمعية الشيخ عبد الله النوري الخيرية - لجنة الفلاح الخيرية - جمعية المعلمين الكويتية - الاتحاد الوطني لطلبة الكويت الجمعية الطبية الكويتية - جمعية الرعاية الاسلامية - الجمعية الخيرية للتضامن الاجتماعي - الجمعية الثقافية الاجتماعية النسائية - جمعية بيادر السلام النسائية